غسان شربل

لعنة القصر





حوارات مع:

الياس الهراوي

نبيه برّي

رفيق الحريري

ميشال عون



غسان شربل

لعنة القصر

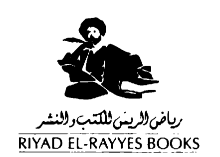
حوارات مع:

الياس الهراوي

نبيه برّي

رفيق الحريري

ميشال عون



رياض الريس للكتب والنشر
RIYAD EL-RAYYES BOOKS

The Palace Curse

Interviews with Elias Hrawi, Nabih Berri, Rafic Hariri, Michel Aoun

by Ghassan Charbel

First Published in January 2008

BEIRUT - LEBANON
elrayyes@sodetel.net.lb - www.elrayyesbooks.com

ISBN 9953 - 21- 318 - 6

الطبعة الأولى: كانون الثاني (يناير) ٢٠٠٨

لشراء النسخة الإلكترونية:
www.arabicebook.com

تصميم الغلاف: غريتا خوري
(محترف بيروت غرافيكس)

المحتويات

مقدمة

في ٥ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٩ تجرّع الياس الهراوي الكأس التي يتجرعها النواب الموارنة الطامحون كلما انتخب زميل لهم رئيساً للجمهورية. سجل في جلسة الانتخاب في القليعات اعتراضه على حظّه وعاد بحفنة أصوات ثم رأى رينيه معوض يعلن رئيساً ويؤدي القسم.

لم يكن الأمر مفاجئاً. كان قد حسم قبل أيام حين توقف النواب في باريس في طريقهم إلى بيروت بعد اختتام لقائهم التاريخي في الطائف. لم يتنبه النواب الموارنة في العاصمة الفرنسية إلى اختفاء زميلهم معوض تلك الليلة، وهي كانت حاسمة. فقد سلك النائب الشمالي سراً طريق دمشق للفوز بموافقة لاعب لا بد من موافقته اسمه حافظ الأسد.

بعد أعوام على تلك الرحلة الحاسمة سألت الرئيس رفيق الحريري عن صحة حدوثها. رد مبتسماً. أعدت السؤال فقال: «ذهب في طائرتي». هل شاركت في ترتيب الزيارة؟ قال: «وهل تعتقد أن طائرتي تذهب من دون إذني». وهل كان معوض مرشحك؟ أجاب: «كان اختيار معوض ثمرة التقاء إرادات لبنانية وعربية ودولية». سألته إن كان قد بحث مع المرشح الذي ذهب إلى دمشق في طائرته دوره في عهده المقترب فأجاب: «لم نناقش هذا الأمر».

تجرع الياس الهراوي الكأس وراح يستعد للعيش في ظل فخامة الرئيس رينيه معوّض. لم يدر في باله أن «لعنة القصر» التي شطبت في ١٩٨٢ الرئيس المنتخب بشير الجميل ومشروعه قبل توليه مهماته ستتدخل ثانية. في الثاني والعشرين من تشرين الثاني/نوفمبر نفسه تطاير جسد معوض مع ذكرى استقلال لبنان. استشهد الرجل الذي يشبه الطائف بروحيته قبل نصوصه. وبعد ٤٨ ساعة كان الهراوي يقسم اليمين في شتوره رئيساً لجمهورية منصوبة على طريق بيروت - دمشق. كان اسم «حارس الرئاسة والرئيس» في تلك الأيام جميل السيّد المقيم في مديرية المخابرات في الجيش في انتظار دور أكبر وأخطر.

«لعنة القصر» التي اغتالت معوض غيّرت تفسير الطائف ومصير الجمهورية ومصائر كثيرين. غيّرت مصير الهراوي وجعلته رئيساً. وغيّرت مصير رئيس حكومة العسكريين العماد ميشال عون الذي ترك أمين الجميل القصر في عهدته بعدما تعذر انتخاب رئيس خلفاً له. فمعوض كان يأمل استعادة القصر من عون من دون إراقة دماء والاستعانة

بالقوات السورية لفرض الهزيمة على جزء من الجيش اللبناني. وستضرب «لعنة القصر» العماد عون في ١٣ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٩٠ على يد قوات سورية وأخرى تابعة للجيش اللبناني الذي صار اسم قائده العماد إميل لحود. اضطر عون الى الفرار تحت وطأة العملية العسكرية التي جعلها غزو صدام حسين الكويت ممكنة كأحد الأثمان التي استحقتها سورية نتيجة مشاركتها في عملية إلغاء الغزو ونتائجه. لجأ عون إلى السفارة الفرنسية ومنها الى المنفى.

غيّر اغتيال معوض أيضاً مصير رفيق الحريري نفسه. أغلب الظن أن معوض لم يكن يرى دوراً للحريري في عهده يتجاوز رئاسة هيئة وطنية للإعمار أو حقيبة للإعمار. أما الهراوي فقد كان يرى منذ اللحظة الأولى أن الحريري هو التغطية الذهبية لعهده والمفتاح السحري لمواجهة الخراب والتدهور والأزمات. ولم يكن سراً أن الهراوي ينتظر الضوء الأخضر من دمشق لوضع السرايا الحكومية في عهدة رفيق الحريري الذي كان قد نسج في دمشق علاقات قوية وباهظة.

في سنة ١٩٩٢ شهد لبنان وللمرة الأولى منذ عقدين انتخابات نيابية قاطعتها القوى الأوسع تمثيلاً لدى المسيحيين. كان واضحاً أن تركيبة البرلمان الجديد تلائم تماماً نهج تلازم المسارين والمصير، ما يعني عملياً قيام وحدة لبنانية - سورية ستكون أطول وحدة عربية قبل أن تنهار تحت وطأة لعنة القصر في ٢٠٠٥.

أسندت رئاسة البرلمان في ١٩٩٢ إلى نبيه بري، رئيس حركة «أمل» الذي كان يحمل أوراقاً عدة. مجيئه من عباءة

الإمام المغيب موسى الصدر ومشاركة «أمل» في المقاومة غداة الغزو الإسرائيلي للبنان في ١٩٨٢ وأرجحية تمثيله لطائفته وتزعمه انتفاضة ٦ شباط (فبراير) ١٩٨٤ التي أكملت عملية لقصم ظهر عهد أمين الجميل كان قد بدأها «صديقه اللدود» وليد جنبلاط في «حرب الجبل» في أيلول (سبتمبر) ١٩٨٣.

بعد انتخابات ١٩٩٢ شعرت دمشق أن مكاسبها في لبنان ستكون مهددة إذا استمر البلد مدفوعاً نحو انهيار اقتصادي شامل. المكاسب السياسية الكبرى التي تحققت كانت بدورها تحتاج الى تغطية في مواجهة المقاطعة المحلية وذيولها السياسية والاقتصادية. هكذا أعطيت الرئاسة الثالثة للحريري الذي هبط في نادي رؤساء الحكومات حاملاً صورة المنقذ. ترسانة مالية. وترسانة علاقات عربية ودولية. هاتف قادر على الاتصال بمواقع القرار على تناقضها وطائرة لا تنام.

كان عهد الهراوي هو العهد الذهبي لبري في رئاسة المجلس. كان لاعباً كبيراً سواء انعقد الود داخل الترويكا الرئاسية مع الهراوي والحريري أو انقطع حبل الود موقتاً بانتظار وساطة سورية لترميمه وتأكيد القدرة على الإمساك بالخيوط مفردة ومجتمعة. وكان عهد الهراوي العهد الذهبي للحريري أيضاً، ذلك أن قدراً غير قليل من التواطؤ كان قائماً بينهما، لكن التحالف الكامل كان ممنوعاً على حد قول الحريري نفسه.

عهد إميل لحود كان مختلفاً. هندس أصلاً على قاعدة

التطابق مع دمشق في الشأن الإقليمي وعلى التطابق مع المقاومة في جنوب لبنان في الشأنين الداخلي والإقليمي. وفي هذا العهد الذي سيشهد تحرير الجنوب في العام ٢٠٠٠ سيصبح السيد حسن نصرالله الأمين العام لـ «حزب الله» صاحب الكلمة الأولى في الطائفة الشيعية في لبنان، لكن ذلك لا يلغي بقاء بري حاجة لبنانية وسورية ودولية. وأظهر بري براعة في قراءة التوازنات والتوجهات مكنته من النجاة من لعنة القصور الرئاسية.

كانت الترويكا الرئاسية غارقة في تجاذباتها واتفاقاتها في عهد الهراوي، وكان مندوب دمشق في عنجر اللبنانية يحرس اللعبة ويحرك الخيوط. في هذا الوقت كان ميشال عون يعيش مع مرارة المنفى ويرعى رغبة متنامية في العودة والثأر. الثأر من سورية التي خسر حرباً ضدها والثأر من اللاعبين المحليين الذين حاربهم وحاربوه وفي طليعتهم وليد جنبلاط وسمير جعجع. في هذا الوقت كان جعجع يقبع في سجن وزارة الدفاع في اليرزة بعدما نجح تفجير كنيسة سيدة الذوق في ١٩٩٤ في اصطياده لفتح دفاتره. واستوقفني أن الحريري لم يكن مقتنعاً بالرواية الرسمية لانفجار الكنيسة وأنه تفادى المجاهرة بشكوكه.

تحرك الوسطاء على خط دمشق لفتح ملف عودة عون إلى لبنان، وكان الجنرال يقلّب الأمر ويفكر في الثمن الذي لا بد من دفعه لجعل عودته «مقبولة». الثمن يعني أن لا يكون معادياً للحود و«حزب الله» وسورية. وهو كان قد ذهب بعيداً في معركته مع دمشق. في موازاة ذلك كان جعجع يقيم في السجن بلا أمل جدي في الخروج بعدما رفض دفع

ثمن جعل خروجه «مقبولاً». فجأة تحركت «لعنة القصر» ضربت الحريري والبلاد والتوازنات والوجود العسكري السوري في لبنان. خرج «الحكيم» وعاد الجنرال. دم الحريري جعل ممكناً ما كان مستحيلاً أو مكلفاً أو صعباً. خرج جعجع لينضوي في نهج «انتفاضة ١٤ آذار». وعاد عون ليصبح حليفاً لـ «حزب الله» وصديقاً غير معلن لدمشق.

* * *

بعض التواريخ لا يسقط من الذاكرة. في أميركا وعلى مدى أعوام كان الأميركي يسأل الآخر أين كنت في ذلك النهار ويقصد ٢٢ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٦٣ يوم اغتيال جون كينيدي. تاريخ لبنان الحديث حافل بالنهارات المؤلمة القاتلة لكن يوم اغتيال الحريري بدا الأشد وطأة وهولاً.

في شباط/فبراير ٢٠٠٥ غلبتني الحشرية الصحافية وألححت على زميلنا إبراهيم حميدي، مدير مكتب «الحياة» في سورية، لمعرفة ما دار في الزيارة الأخيرة التي قام بها نائب وزير الخارجية السوري وليد المعلم إلى بيروت والتقى خلالها قيادات سياسية بينها الرئيس رفيق الحريري. ضاعف حشريتي أنني كنت قد التقيت الحريري قبل أسابيع ولمست أنه زعيم المعارضة اللبنانية أو زعيم «المعارضات»، وأنه يرى الانتخابات النيابية المقتربة فرصة لثأر من قرار التمديد للرئيس لحود. أمام الحاحي اقترح حميدي أن أقوم بزيارة للتعرف إلى المعلم الذي لم يكن سراً أنه سيتولى قريباً حقيبة الخارجية.

الثانية عشرة ظهر ١٤ شباط/فبراير دخلنا مكتب المعلم. استفسرنا عن الوقت المتاح فقال إن لديه ارتباطاً في الواحدة والنصف لتناول الغداء مع وزير خارجية إسبانيا ميغيل أنخيل موراتينوس والوزير فاروق الشرع. أجرينا جولة أفق في الشؤون الفلسطينية والإيرانية والشجون العراقية واستهلكنا النصف الثاني من المقابلة في السؤال عن زيارة المعلم إلى لبنان ولقائه مع الحريري. سألته إن كان لا يزال يتوقع رؤية الحريري في دمشق، فرد بالإيجاب، مشيراً إلى اتصال قريب تم بينهما. وأعرب عن اعتقاده أن الأمور قابلة للعلاج. كنت أسأل عن الحريري ولم يخطر ببالي أن الرجل كان قد تحول جثة محترقة قبالة بحر بيروت.

في الواحدة والنصف إلاّ خمس دقائق غادرنا مكتب المعلم. فور الخروج تفقدت هاتفي الجوال لأكتشف سلسلة رسائل واتصالات تتحدث عن انفجار هائل في بيروت وشكوك حول مصير الحريري نفسه. وهكذا تحول الموعد الآخر في الثانية إلى مجرد متابعة للفضائيات بعدما اتضحت ملامح الزلزال.

ذهبت إلى الفندق لكتابة افتتاحية «الحياة» فلم أجد لها عنواناً أفضل من «رجل لا يتسع له المكان». وتشاورت مع الزملاء في الصحيفة فلم نجد عنواناً لليوم التالي غير «رفيق الحريري شهيداً ولبنان على خط الزلازل».

أين كنت ذلك اليوم؟ شاب اسمه سعد الحريري كان في الطائرة من الرياض إلى أبوظبي في رحلة عمل. لم يدر في خلده أن القدر اتخذ قراراً باستدعائه وسيتبلغه فور هبوطه

في المطار. نظر إلى هاتفه فاكتشف سيلاً من الرسائل. غيّر الشاب وجهة رحلته ووجهة عمره. اتجه إلى قريطم ليرى في انتظاره جموعاً غاضبة ورجلاً اسمه وليد جنبلاط سيلعب في تلك الليلة دوراً حاسماً في إسقاط لغة الغموض أو المهادنة من البيانات والعبارات. ومنذ تلك اللحظة سيتحول سعد الحريري لاعباً على خط الزلازل المشتعل بالمواقف والمخاوف.

في السابعة مساء ذلك اليوم كان لي موعد ثالث اقتصر الحديث فيه على الكارثة والذيول والارتدادات. غادرت دمشق صباحاً إلى بيروت وكانت الطريق الحزينة المشلولة المقفرة تنبئ بأيام صعبة. وحين ذهبت إلى قريطم لتقديم العزاء وسمعت أقوال المعزين لازمني شعور بأن ضربة البارحة ستقصم ظهر لبنان إلى أجل طويل.

* * *

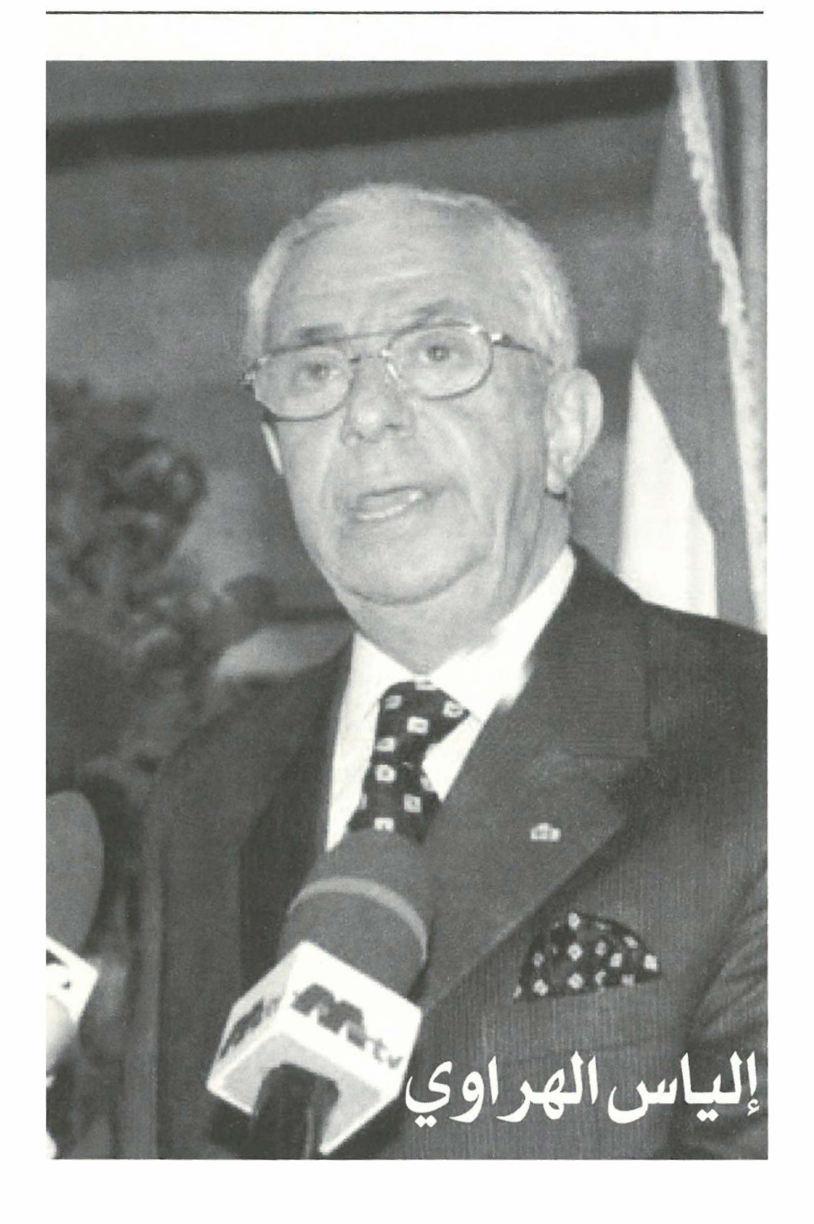
قبل شهور حرضني الكاتب والناشر الصديق رياض نجيب الريس على ارتكاب كتاب جديد زاعماً أن تجربة كتابي السابق «ذاكرة الاستخبارات» كانت «مشجعة». عدت إلى أوراقي فاستوقفتني أربعة أسماء تربط بينها لعنة القصر أو لعبة القصر على الأقل. والأسماء لأربعة رؤساء هم الهراوي وبري والحريري وعون. أربعة رجال التقيتهم مرات عدة وحاورتهم وكانت الحصيلة اعترافات وروايات.

لم أخضع الحوارات لأي عملية تحديث أو تشذيب. ولم أدخل في استنتاجات. رأيت أن المقارنة كما الاستنتاج هي من حق القارئ. ولا بد من التذكير أن هذه الحوارات التي

نشرت في مجلة «الوسط» وصحيفة «الحياة» في سياق سلسلة «يتذكر» أجريت انطلاقاً من هاجس صحافي ولم تصمم أصلاً لتجتمع في كتاب. أكثر ما يمكن أن يطمح إليه عمل من هذا النوع هو التذكير بمحطات وأدوار وروايات تكشف موقع المتحدث ونهجه وخياراته. ولعلها تطمح الى أن تضع مادة ما في تصرف أي باحث مدقق أو مؤرخ. لم أسمح لعلاقات الود أو الصداقة التي ربطتني باللاعبين الأربعة أن تنال من حيادية الصحافي السائل.

وفي الختام أشعر بواجب تقديم الشكر إلى زملاء في «دار الحياة» لم يبخلوا علي بأي مساعدة وأخص بالشكر ناشر «الحياة» سمو الأمير خالد بن سلطان بن عبدالعزيز فلولا تشجيعه لما كان لسلسلة «يتذكر» أن تبصر النور إذ استلزم إعدادها أسفاراً في اتجاهات عدة وآلاف ساعات العمل. وأتمنى أن يساهم هذا الكتاب في تسليط الضوء على بعض المحطات في تاريخنا الحديث المضطرب الذي ينذر أحياناً بجعلنا بلا وطن.

غسان شربل



إلياس الهراوي

لماذا الرئيس الياس الهراوي؟ الجواب بسيط والأسباب كثيرة. الجواب هو أن الحوار مع كبار اللاعبين على المسرح اللبناني، على اختلاف مواقعهم وأهوائهم وانتماءاتهم، يبقى ناقصاً ما لم يتح له التسلل إلى ذاكرة الهراوي المثقلة بالعناوين والتفاصيل. والأسباب كثيرة. منذ خروجه من قصر الرئاسة عام ١٩٩٨ لم يدل بأي حديث صحافي. وإخراج رئيس سابق عن صمته مسألة تثير شهية الصحافة والصحافيين. وهو صاحب أطول عهد في تاريخ لبنان المستقل (١٩٨٩ــــ١٩٩٨) إذ لم يتح لأي من أسلافه مثل هذه الإقامة المديدة في القصر. وبعضهم دفع ثمن مجرد ارتكاب حلم التمديد. وهو صاحب أول عهد رئاسي بعد اتفاق الطائف وكان عليه أن يجرب قيادة البلاد بصلاحيات رئاسية مختزلة. وهو أولاً وأخيراً الياس الهراوي بجرأته وصراحته وعفويته... وسهامه اللاذعة التي يصعب أن تشق طريقها إلى النشر.

كان عهده الطويل استثنائياً وصعباً ولم يتردد في اتخاذ قرارات بالغة الصعوبة. انتخب رئيساً والبلاد واجمة إثر اغتيال الرئيس رينيه معوض الذي تطاير جسده مع الاستقلال (٢٢ تشرين الثاني ـــ نوفمبر ١٩٨٩) بعد ١٧ يوماً من انتخابه. انتخب للرئاسة لكن قصرها كان في عهدة الجنرال ميشال عون رئيس حكومة العسكريين التي شُكلت إثر شغور مركز الرئاسة في ٢٣ أيلول (سبتمبر) ١٩٨٨ لدى انتهاء ولاية الرئيس أمين الجميل. وكان على الهراوي أن يسترجع القصر ففعل بعد قرار صعب ومؤلم دعمت سورية تنفيذه.

كان قدر الياس الهراوي أن يواجه أقوياء وأن يشارك أقوياء، وكان عليه أن يعاند مرة وأن يناور مرة أخرى ليحجز للرئاسة موقعاً يليق بها، ولنفسه مقعد اللاعب البارع في لعبة شديدة التعقيد لا تفسح المجال لأكثر من انتصارات محدودة وهزائم صغيرة تمدد لتوازنات وتجاذبات تحتاج دائماً إلى رعاية الراعي كي لا تتحول أزمات مستعصية.

كان قدره أن يلاعب الأقوياء. يصارعهم ويلاطفهم وحين تتراجع الروح الرياضية تسلك الأزمة طريق بيروت ـــ دمشق فتبرد التصريحات ويروح الجميع يتدربون مجدداً على العيش في بيت «الزوجية» الشائك الذي نسج دستور الجمهورية الثانية صلاحيته وأراجيحه.

كان يترأس مجلساً للوزراء يضم بين أفراده مجموعة من «جنرالات» الحرب بكل ما تعنيه من مدافع ومكاسب وإنجازات. وحين ألقت الميليشيات سلاحها صارت الحروب تدور داخل «ترويكا» الرئاسات بالتسريبات والمناورات والاعتكافات. وحين تشتد الرياح كانت الأزمات تسلك طريق ضهر البيدر فيترم

الزواج الثلاثي على قاعدة هدنة جديدة.

لم يكن عهد الياس الهراوي عهد أزمات فقط بل كان أيضاً عهد إنجازات: إعادة توحيد المؤسسات ونزع سلاح الميليشيات بعد رشوتها بحصة من السلطة وإطلاق عملية إعادة الإعمار ومحاولة احتواء التدهور الاقتصادي المروع وإعادة لبنان إلى الخريطة الدولية ودعم المقاومة ضد الاحتلال الإسرائيلي في جنوب لبنان والبقاع الغربي. وفي ذلك العهد وضعت أسس تلازم المسارين بين سورية ولبنان على قاعدة العلاقات المميزة الوافدة من الطائف والتي ترجمت في معاهدة وقعها الهراوي مع الرئيس حافظ الأسد.

تحدث الرئيس الهراوي عن أبرز محطات عهده. روى قصة إزاحة العماد عون وكشف أنه نصح الدكتور سمير جعجع قائد «القوات اللبنانية» بمغادرة البلاد فأبى ثم تحول الوزير السابق سجيناً في وزارة الدفاع. تحدث عن الحكومات واعتبر قرار المجيء برفيق الحريري رئيساً للحكومة قراراً صائباً، ونفى أن يكون أحرق رؤساء الحكومات من أجله، لكنه لاحظ أن الحريري رجل صعب. وكشف أن الرئيس الأسد فاتحه بالتمديد وأنهما كتما السر سبعة أشهر فأخطأ كثيرون. وأكد أن الجيش التزم أوامر السلطة السياسية في عهده ونفى أن يكون سعى إلى إزاحة قائده يومذاك العماد إميل لحود.

سألناه عن محطات كثيرة وحملنا إليه الاتهامات التي وُجهت إلى عهده واتسع صدره فراحت الإجابات تسلط الضوء وتغني الحوار.

* * *

■ فخامة الرئيس هل أنت الآن في وضع المراقب أو المتقاعد سياسياً؟

ــ لا، لست متقاعداً أبداً. أنا في خضم الحياة السياسية. السياسة نوع من الإدمان وأنا فيها منذ ٥٧ سنة. أوصلت شقيقي الأكبر إلى النيابة ثم أوصلت شقيقي الآخر في ١٩٦٥ في انتخابات فرعية ومنعتني «الشعبة الثانية» وكنت قد دخلت السجن على يدها في ١٩٦٨ وخسرت بفرق نحو مئتي صوت وبفعل تدخلات صارخة، ثم فزت في ١٩٧٢.

■ ألا يغريك التقاعد السياسي؟

ــ أعوذ بالله. أنا مستمر في القيام بواجباتي الوطنية. لا أحب كلمة متقاعد. لن أتقاعس عن أيّ عمل وطني.

■ وهل يمكن أن تكون معارضاً؟

ــ إذا كانت هناك مسألة وطنية معرضة للمس كالديموقراطية والحرية أكيد سأعارض وبصوت مرتفع.

■ لقب الرئيس السابق يثير قدراً من المرارة لدى بعضهم، ما هو شعوركم بعد مغادرتكم قصر الرئاسة؟

ــ سؤالك في محله. أنا على عكس بقية الرؤساء الذين غادروا الحكم وكانت لديهم غصة. لو استعدنا تاريخ الرؤساء منذ الاستقلال لوجدنا الآتي: ترك الشيخ بشارة الخوري الرئاسة والبلد في حال إضراب، وترك الرئيس كميل شمعون القصر وصوت الرصاص يلعلع، وعندما وصل الرئيس فؤاد شهاب وجد أن بيروت ستكون ثقيلة كمقر فاختار صربا مقراً للرئاسة. بعده بدأ الرئيس

شارل حلو في صربا وانتقل إلى سن الفيل. كنت قد بدأت قبل نهاية ولايتي في ١٩٩٨ أهيئ نفسي للخروج وبعضهم لم يصدق حين قلت أن لا نية لدي في التمديد أو البقاء ولو بنسبة واحد في الألف، وإنني سأرفض لو عرض عليّ ذلك.

لا أشعر بغصة أبداً. ما أردته في حياتي السياسية، خصوصاً في الوضع الذي كان فيه لبنان حين توليت الرئاسة، تحقق منه قدر كبير، أترك للآخرين أن يحكموا على ما أنجزت. لقد فعلت ما لم أكن أحلم بأن نتوصل إليه، وإذا كانت السنوات التسع التي أمضيتها في الرئاسة شهدت بعض الأخطاء فجلّ من لا يخطئ. هذا يذكرني بما كنت أسمعه في درس التعليم الديني ونحن على مقاعد الدراسة. كان المعلم يقول لنا إن الإنسان بطبيعته معرض للخطأ، حتى بابا الفاتيكان يمكن أن يخطئ حين يتكلم خارج الإنجيل. ليس من حق المرء أن يدّعي أنه لم تحدث أخطاء خلال تسع سنوات من الممارسة. لم أحقق كل ما تمنيت تحقيقه لكنني حققت الكثير. كلمة غصة غير موجودة لديّ وضميري مرتاح.

■ بين الحكام السابقين من يخشى حكم التاريخ، فهل أنتم من هؤلاء؟

ــ ليس لدي أي إحباط أو شعور بالقلق والخوف. ليكتب التاريخ ما يشاء. ما أتمناه هو أن يكتب التاريخ بحياد ونزاهة وأن تؤخذ في الاعتبار الظروف التي اتخذت فيها القرارات والخطوات.

■ في لبنان يحلم كل نائب ماروني بتولي رئاسة الجمهورية، متى راودك هذا الحلم للمرة الأولى، خصوصاً أنك من بيت سياسي؟

ــ لا معنى للعمل السياسي في غياب الطموح. كان طموحي أبعد من النيابة. أنا انطلقت في زحلة من «الكتلة الشعبية»، ولو بقيت فيها لما تمكنت من دخول الحكومة أو تولي الرئاسة. خلال الحرب التي شهدها لبنان كنت منضوياً في تجمع نيابي ينظر إلى التطورات من غير المنظار الذي استخدمه المتحاربون أو المتخاصمون، وهذا التجمع سمي «تجمع النواب الموارنة المستقلين». انتهجنا نوعاً من السياسة أوصلت اثنين من الأعضاء إلى الوزارة في عهد الرئيس سركيس، وهما الشيخ بطرس حرب الذي تولى حقيبة الأشغال العامة وحقيبة التربية وخلال وجوده في الثانية صار للعلم اللبناني عيد سنوي في ٢٠ تشرين الثاني (نوفمبر). وتوليت أنا حقيبة الأشغال العامة والنقل في الحكومة التي ألّفها الرئيس شفيق الوزان واستمرت من أواخر العام ١٩٨٠ إلى انتهاء الولاية الرئاسية في ١٩٨٢. طمحت إلى الوزارة وكذلك إلى الرئاسة. شاركت في اجتماعات بكركي في ١٩٨٨ ولم أكن بين الأسماء الخمسة التي سماها البطريرك، لكنني كنت حريصاً على دعم أي اسم من تجمعنا يسميه البطريرك، وهذا ما حدث إذ ورد اسم النائب بطرس حرب.

■ لنعد إلى عام ١٩٨٨ وعشية شغور مركز الرئاسة. ماذا كنت تفعل وبماذا كنت تفكر؟

ــ يذكر الجميع أن المبعوث الأميركي ريتشارد مورفي جاء في تلك الأيام بعد محادثات أجراها في دمشق وقال إن سورية والولايات المتحدة توافقتا على أن يكون النائب مخايل الضاهر رئيساً للجمهورية، ونقلت عنه عبارة «مخايل الضاهر أو الفوضى». كانت هناك صداقة تجمعني بالضاهر، وعلى رغم ذلك رفضت ودعوت إلى اجتماع في منزلي حضره ١٤ نائباً. ألّفنا وفداً وزرنا الرئيس أمين

الجميل وأبلغناه رفضنا تعيين رئيس للجمهورية.

هنا أريد أن أقول إن الشيخ أمين الجميل لم يبذل جهداً لتسهيل انتخاب خلف له، وكان يحلم بالتمديد مدة سنتين ولا أعرف برنامجه. وفي هذا السياق ذهب قبل انتهاء ولايته بيومين إلى دمشق وكان يصحبه في تلك الرحلة مَنْ صحبه. وعاد إلى اجتماع بكركي الموسع بالهليكوبتر.

■ **ماذا جرى في ذلك الاجتماع؟**

ـ وصلنا إلى بكركي فرأينا غبطة البطريرك نصرالله صفير مجتمعاً بالعماد ميشال عون (قائد الجيش آنذاك). غادر عون ثم وصل الشيخ أمين واختلى بالبطريرك قليلاً ثم بدأ الاجتماع. قال الجميل: «الحقيقة أنني كنت أفكر بالتمديد، لكن لم أتمكن. معروض مخايل الضاهر إذا وافقتم». رفض الحاضرون هذا الخيار، وعندئذ لم يبق أمام الجميل غير تأليف حكومة انتقالية لتتولى الإشراف على إجراء انتخابات رئاسية في ظل شغور مركز الرئاسة. في اليوم الأخير استدعي النائب بيار حلو إلى القصر لتأليف الحكومة وطلب مني أن أذهب معه لمساعدته. فقلت له إن من الأفضل أنْ تطلب من غيري لأن الأجواء في القصر غير مواتية ووجودي معك لن يريحهم. أجرى حلو اتصالات فيما رئيس الجمهورية منهمك بتحضير كلمة الوداع. ولم يوفق حلو فاعتذر. وفي تلك الليلة أعلن الجميل الحكومة العسكرية برئاسة عون ثم أذاع رسالته الوداعية. طبعاً جرت قبل ذلك محاولة لإجراء تعديل في حكومة الرئيس سليم الحص الذي تولى رئاسة الحكومة بعد اغتيال المرحوم الرئيس رشيد كرامي، لكن المحاولة لم تنجح.

هنا أريد أن أشير إلى أمر، عندما تولى الرئيس الحص رئاسة الحكومة بعد اغتيال الرئيس كرامي في ١٩٨٧ لم تكن الخطوة دستورية أو قانونية، بل نتيجة اتفاق ضمني بين الرئيس الجميل ورئيس مجلس النواب حسين الحسيني وقبل الحص ذلك. كان رئيساً للوزراء بالوكالة أو التكليف وكانت تلك الصيغة هرطقة.

بدأت الحكومة العسكرية التي شُكلت من أعضاء المجلس العسكري عهدها نصف حكومة، إذ رفض الأعضاء المسلمون المشاركة. في حكومة من هذا النوع يجب أن يحمل القرار توقيع كل الوزراء، لكنهم تقاسموا الحقائب وانطلق عهد الحكومتين والجيشين وسائر أشكال الانقسام.

■ لكنك كنت تحلم بالرئاسة قبل ذلك؟

ـ دعني أعود بالذاكرة إلى تلك الفترة. كان تلفزيون المؤسسة اللبنانية للإرسال «ال.بي.سي» يبث في تلك الفترة برنامجاً عن انتخابات الرئاسة اسمه «أيها اللبنانيون» تقدمه الصحافية مي كحالة وهو استضاف عدداً من المرشحين وغير المرشحين. اشترطت للمشاركة في البرنامج أن لا يحذف شيء من كلامي وعندما وافقوا قبلت. سئلت في المقابلة: هل أنت مرشح؟ فأجبت: وماذا ينقصني من شروط الترشيح؟ تحدثت بصراحة وأذيع البرنامج كاملاً.

عندما وصلنا إلى الطائف كنت مرشحاً عملياً. وقع الخيار على غيري لكنني ترشحت في الدورة الأولى ونلت خمسة أصوات.

■ ما هي التطورات التي أدت إلى انعقاد مؤتمر الطائف؟

ـ برزت قناعة أميركية أوروبية بعدم جواز استمرار الوضع في لبنان

على ما هو عليه، وحصلت ضغوط في هذا الاتجاه. وتبلورت رغبة عربية في عدم جواز إبقاء لبنان منقسماً ومتحارباً. ويجب ألا ننسى أن السلاح الذي كان يصل إلى ما كان يسمى «المنطقة الشرقية» كان عراقياً، علماً أن السلاح العراقي كان يصل في السبعينيات إلى الفريق الآخر. وفي عهد الحكومتين كانت المساعدات العراقية التي تصل تقسم بين حكومة عون و«القوات اللبنانية» برئاسة الدكتور سمير جعجع. وفي تلك المرحلة لعبت أجهزة الاستخبارات الخارجية دوراً كبيراً ولهذا كنت أقول: «ليست حرب اللبنانيين بل حرب الآخرين على لبنان». طبعاً قبل الطائف يجب أن نشير إلى الجهود التي بذلتها اللجنة السداسية العربية برئاسة الكويت واللقاءات التي عقدت في الكويت وتونس لكنها لم تتكلل بالنجاح.

هنا أريد أن أشير إلى أنه على هامش احتفالات الفاتح من سبتمبر في ليبيا حصل لقاء بين الرئيسين الشاذلي بن جديد وحافظ الأسد. تمنى الرئيس الجزائري عقد قمة عربية لمناقشة الوضع في لبنان ثم قُرّر عقد القمة في الدار البيضاء وكان لبنان غائباً بسبب التشرذم الحاصل. من قمة الدار البيضاء انبثقت اللجنة الثلاثية العربية التي ضمت السعودية والمغرب والجزائر. لم تشارك سورية في اللجنة لكنها أكدت رغبتها في تسهيل مهمة اللجنة، وقد أدّى الرئيس حافظ الأسد دوراً بارزاً في دعم اللجنة وتنوير طريقها.

أنا أعتقد بأن الثوابت التي نوقشت في الطائف وصارت جزءاً من دستورنا، جاءت من مناقشات اللجنة الثلاثية العربية. وانعقد لقاء الطائف وأعلنت نتائجه.

أريد أن أقول إنني لم أكن موافقاً على كل ما أقر في الطائف، لكن

هاجس إعادة الشرعية ووقف القتال وتوحيد البلد كانت له الأولوية. لهذا السبب حاولت خلال فترة رئاستي أن أطرح بعض التعديلات التي تصوّب عدداً من المسائل.

■ **من كان مهندس الطائف؟ هل هو مبعوث اللجنة الثلاثية العليا الأخضر الإبراهيمي أم الرئيس حسين الحسيني أم الرئيس رفيق الحريري؟**

ــ لا أريد المساهمة في توزيع الألقاب ولا في نزعها، وبعد الإنجاز يمكن العثور دائماً على عدد غير قليل من المهندسين. طبعاً كان للرئيس الحسيني بحكم موقعه دور. وكان للرئيس الحريري، وكان يومذاك الشيخ رفيق، دور سابق طابعه إنساني يتمثل في منح دراسية وجرافات لإزالة الركام واتصالات. وربما كان لديه طموح سياسي منذ تلك الأيام إذ لا يولد السياسي بين ليلة وضحاها. الحقيقة أن الأخضر الإبراهيمي انطلق من دعم عربي كامل واتصل بكل الفرقاء اللبنانيين، وواكب وزراء اللجنة الثلاثية هذا العمل قبل لقاء الطائف وخلاله وتحركوا لإزالة العقبات من دون التدخل في التفاصيل بين النواب. أعتقد بأن الهندسة الأساسية كانت هنا بين الإبراهيمي ووزراء اللجنة الثلاثية.

■ **هل ظهر خلال انعقاد لقاء الطائف أن النائب رينيه معوض سيكون الرئيس المقبل؟**

ــ كان المرحوم رينيه معوض يحلم بالرئاسة، والأمر نفسه بالنسبة إلى المرحوم جورج سعادة. وأنا شخصياً كنت مرشحاً. ظهرت أجواء بالنسبة إلى معوض. الجو الذي كان موجوداً خصوصاً لدى الرئيس الحسيني ومن يمون عليهم كان متجهاً نحو رينيه معوض.

كان ينقص هذا الجو أن تأتي موافقة من آل فرنجية. وهنا يجب ألا ننسى أن سورية كانت معنية بالتطورات ولها رأي. ذهب وزير الخارجية السعودي الأمير سعود الفيصل إلى دمشق، وهو بذل جهوداً كبيرة في الطائف، ومعه الشيخ رفيق الحريري، وحين عاد منها ظهر أن رينيه معوض سيكون المرشح، خصوصاً أن الرئيس سليمان فرنجية أبلغ دمشق أن لا اعتراض لديه على انتخاب رينيه رئيساً. هكذا حصلت الانتخابات ولم يفز في الدورة الأولى. أنا انسحبت في الدورة الثانية. ترشحت على رغم معرفتي النتائج لسببين: الأول طموحي والثاني للرد على من أشاع أن كل الذين ذهبوا إلى الطائف حصلوا على ما يكفي لإسكاتهم وأردت أن أؤكد أن لا أحد يستطيع إسكاتي أو منعي من اتخاذ موقف.

■ **قبل توجهكم إلى القليعات لانتخاب الرئيس وخلال وجودكم في باريس قيل إن الرئيس رينيه معوض ذهب سراً في طائرة الحريري إلى دمشق والتقى الرئيس حافظ الأسد؟**

ـ أنا كنت أقيم في فندق والرئيس معوض أقام في منزله. يومذاك لم أكن على علم. سمعت لاحقاً أنه ذهب في طائرة الشيخ رفيق إلى دمشق وعاد بعد الاجتماع إلى باريس.

■ **هل كان الرئيس الحريري يعمل لرينيه معوض حينذاك؟**

ـ أفضل أن توجه السؤال إليه.

■ **هل بذل جهوداً لديك لسحب ترشيحك؟**

ـ نعم حاول وقال لي إن الأمور منتهية وإن رينيه سيكون الفائز.

رفضت الانسحاب للأسباب التي أوضحتها سابقاً. في الطائرة المتجهة إلى القليعات كان واضحاً أن رينيه سيكون الرئيس وكان إدمون رزق يكتب له خطاب القسم الذي عرض أيضاً على نصري المعلوف. حصلت الدورة الأولى، فنال رينيه ٣٤ صوتاً وجورج سعادة ١٦ صوتاً وأنا ٥ أصوات.

■ اغتيل الرئيس معوض، كيف صرت الرئيس؟

ـ يوم عيد الاستقلال أتيت من زحلة لأنني من النواب القلائل الذين يقيمون في المنطقة الشرقية والذين لم يعتبروا أنفسهم مهجرين. كنت بين المهنئين في السرايا وطلب مني أن أبقى إلى فترة بعد الظهر قائلاً إنه سيفرغ من تأليف الحكومة ويريد أن يسألني من أرشح من تجمع النواب الموارنة المستقلين. ضحكت وقلت له: لماذا تحملني هذه المسؤولية؟ أنا سأؤيد من تختاره أنت.

كنت في طريق عودتي إلى زحلة ولدى وصولي إلى نبع الصفا استوقفنا حاجز عليه أربعة شبان وراحوا يقولون: «لا يريدون قيام الدولة لقد قتلوا رئيس الجمهورية». فتحت الراديو وإذا بي أسمع موسيقى كلاسيكية. وصلت إلى زحلة وتلقيت اتصالاً من زملائي في تجمع النواب الموارنة المستقلين أبلغوني فيه أنهم آتون لزيارتي وأنهم سيدعمون ترشيحي. عارضت العائلة لكنني لم أقتنع. صباحاً وصل نحو ٢٥ من الزملاء النواب وقالوا: تفضل، قلت إلى أين؟ فأجابوا أن السيد حسين الحسيني دعا إلى اجتماع وغداء للنواب في بعلبك، فقلت لهم إنني لم أبلّغ بالدعوة. ألحوا عليّ، فذهبت على رغم أنني لم أكن مدعواً. في تلك الليلة تلقيت نصيحة بعدم العودة إلى زحلة. سألت عن السبب فقيل: احتياطات أمنية لأن الأنظار متجهة إليك بالنسبة إلى الرئاسة. وانتقلنا إلى «بارك أوتيل» في

شتورة وانتظرنا وصول النواب من باريس. لم تستطع الطائرة الهبوط في مطار رياق فهبطت في دمشق، وكانت السيارات في انتظارهم. اكتمل النصاب. أذكر أن صائب بك سلام جاء من جنيف. بدأت الاجتماعات مساء ودعا الرئيس الحسيني في اليوم التالي إلى اجتماع تمهيدي للبحث في مكان الانتخاب، ولم أبلّغ بالدعوة. أصرّ زملائي، فنزلت إلى الصالون وطلبت الكلام في الاجتماع. قلت إنني لم أبلّغ بالاجتماع وأعلنت أنه ما دام الترشيح في هذا الظرف الصعب يعني التضحية والشهادة، فليسمح لي أن أكون شهيداً بين هؤلاء الشهداء، وبالتالي أنا مرشح.

لاحظت أن بعضهم امتعض من كلامي. طرحت فكرة الذهاب مجدداً إلى القليعات فعارضت خوفاً من أن تفسر كأنها نوع من التحدي، إذ لم يكن الرئيس معوض قد دفن بعد. قلت إذا كنتم تريدون الانتخاب على أرض لبنانية حكومية فهناك مطار رياق. وذكّرتهم بأن الرئيس الياس سركيس لم يتمكن من أداء اليمين الدستورية في بيروت فعقدت جلسة القسم في شتورة «بارك أوتيل». اقترحت المكان نفسه وعند الضرورة في مطار رياق، واتفق على «بارك أوتيل». جرى الاقتراع. لم أحصل في الدورة الأولى على النسبة المطلوبة دستورياً. في الدورة الثانية عثر على ست أوراق بيضاء. لم أحاول أن أعرف من هم هؤلاء الستة وأسلوب تبييض الوجه معروف. ما أذكره هو أن النائب ميشال ساسين علم باكتمال النصاب ورفض أن ينزل من غرفته إلى قاعة الانتخاب ثم غادر إلى باريس، ومكث ستة أشهر في الفندق ثم عاد إلى لبنان.

■ **بين اغتيال الرئيس معوض وانتخابك ألم تذهب إلى دمشق؟**

ــ لم أذهب. هنا أريد أن أقول إن المقابلة التلفزيونية كانت صريحة وواضحة بحيث إنني لم أعد أحتاج إلى الذهاب وكأنني احتاج إلى نيل شهادة حسن سلوك. قلت قناعتي علانية في شأن العلاقات اللبنانية ــ السورية وكذلك في الشأن الداخلي.

■ هل تقصد أنك لم تتلق أي إشارة من دمشق؟

ــ الكلام الذي قيل لي عن ضرورة عدم التوجه إلى زحلة حرصاً على أمني كان بإيحاء سوري، وهذا يعني أنني كنت (ضاحكاً) المولود المنتظر لرئاسة الجمهورية. لست غبياً إلى درجة عدم فهم الإشارات. أنا لم أجتمع بالرئيس الأسد إلا بعد أسبوع من انتخابي.

■ ألم يكن لديك شعور بالخوف ساعة انتخابك؟

ــ يشهد الله أنني أؤمن دائماً بالمقدر وأعتبره كائناً لا يمحى. لم يرف لي جفن حين كنت أمرّ على الحواجز المسلحة خلال الحرب. وحين توليت ترتيبات إخراج «القوات اللبنانية» من زحلة في ١٩٨١ قيل لي ستُقتل غداً بين زحلة وتعلبايا، ولم أخف، وأذكر أنني أجبت بأنه إذا خلّصت زحلة وقُتِلتُ من أجلها فلا أرى ذلك كثيراً عليها.

■ ماذا بعد الانتخابات؟

ــ تركت «بارك أوتيل» بعد ثلاثة أيام وذهبت إلى ثكنة أبلح حيث استضفت في بيت صغير يضم غرفتين للنوم وداراً بسيطة وهو بيت المسؤول عن «الشعبة الثانية» في الجيش اللبناني في البقاع يومذاك اللواء جميل السيد. كان البيت المخصص لقائد المنطقة متروكاً ويحتاج إلى تجهيز. انتقلت إلى هذا البيت لاحقاً. أمضيت في البقاع ٤٤ يوماً.

■ **مَن أخذ القرار بإزاحة ميشال عون؟ من قام بالوساطات؟ أهو الأخضر الابراهيمي؟**

ـ لم يأت اليّ الأخضر الابراهيمي. كنت أتمنى أن أخلص القضية بنفسي مع ميشال عون وان أعيّنه وزيراً إذا أراد. وعرضت عليه ذلك بواسطة رُسل خير. الكلام تركي. كان يسبّهم. وكان لا يزال في القصر. وطلبت منه تسليم الجيش إلى إميل لحود من دون أن نرتكب مجازر بعضنا مع بعض. وآن الأوان لتقف الدولة اللبنانية وعفا الله عمّا مضى ولن نقرّب صوبك لا من قريب ولا من بعيد. وإذا أردت أُعيّنك «سوبر وزير».

■ **لكن ليس وزيراً للدفاع؟**

ـ لا. لا. رفض ولم يفكر دقيقة واحدة وقال لهم على ما أذكر في آخر ليلة حين شددت عليه: قولوا له (لي) إن شاء الله يطلع الضوء عليه حيّاً. وكان سيرسل في اليوم التالي وفداً لمفاوضة فريق من السوريين في ضهور الشوير.

■ **ما هي العوامل التي سهّلت إزاحة عون؟**

ـ أولاً قرار إزاحة عون أنا اتخذته. ولا أخجل في أي شكل من الأشكال. وبحثت هذا الأمر في مجلس الوزراء، أيام سليم الحص، منهم مَنْ كان موافقاً ومنهم من خاف هدر الدماء. وكنت وضعت في بالي، إذا لم أُنجز هذه القضية، فسأرحل إلى منزلي. هل يمكن أن أفرح بأن أكون رئيساً للجمهورية ومُهجّراً من جزء منها؟ أذكر كلما كنا نريد اتخاذ قرار كان بعض الوزراء وفي مقدمهم إدمون رزق، يقدم لي محاضرة متسائلاً: «لماذا تتخذ هذا القرار والحكومة حكومتان والدولة دولتان؟».

■ ألم يسهّل غزو العراق للكويت إزاحة عون؟

ـ القرار كان في جيبي وهو بسيط. ثلاث صفحات تبرر القرار الذي سأتخذه تاريخياً. تلوته في مجلس الوزراء. والقرار ثلاثة أسطر: «يكلف الجيش اللبناني بقيادة العماد اميل لحود وضع حد للتمرد. وإذا كان غير جاهز على صعيدي العدد والعدّة، بموجب اتفاق الطائف، يمكنه أن يستعين بالقوات السورية الموجودة على الأرض اللبنانية». هذا هو القرار. والجلسة استغرقت أربع ساعات ونصف الساعة، وكانت قبل إزالته بأسبوع أو أقل. الجلسة كانت الأربعاء وأُزيح السبت في ١٣ تشرين الأول (أكتوبر).

■ هل كان الرئيس الحص متردداً في استخدام القوة؟

ـ أولاً لا يمكنك أن تقول للرئيس الحص إن هناك حادثاً قد تسقط فيه نقطة دم. هذه طبيعته. لكن بعد جدال أربع ساعات ونصف الساعة وجد أن أكثرية الوزراء أصبحت معي، علماً أنني قلت لهم: «لا أعدكم بشيء، وليس لديّ خطة محكمة جاهزة، قد أُوفّق وقد لا أُوفّق». وأنا كنت قد درست الوضع، بيني وبين نفسي، في المنطقة. فلا الأميركي يسمح بذلك، ولا الفرنسي يسمح بذلك خصوصاً أن السفير الفرنسي رينيه آلا كان يقول لي: أسمع أنكم تريدون إزاحة عون عسكرياً، ستخسرون عشرة آلاف عسكري ولن تستطيعوا إزاحته لا بالمروحيات ولا بالطائرات، لأن المنطقة كلها ملغومة. كان واضحاً أن الفرنسيين معه. الأميركيون لم يقولوا مرة استعملوا القوة. وكان الجواب أن الأمر لبناني، إذا وُفّقتم فلكم التهاني وإن لم تُوَفقوا نسكت. أما إذا وقعت ضحايا فسنحتج ونصدر بياناً ضدكم. هذا ما قالوه.

■ **هل بحث الرئيس الأسد مع وزير الخارجية الأميركي يومذاك جيمس بيكر في هذا الموضوع؟**

ــ لا. حين انتهينا من ميشال عون لم يكن أحد في المنطقة واعياً إذا كان هناك عون أم الياس الهراوي. الجيوش كلها كانت تزحف إلى منطقة الخليج ليخلصوا من صدام ويحرّروا الكويت.

■ **كيف تدخّل سلاح الطيران السوري ولم يحتجّ الإسرائيليون؟**

ــ طائرة واحدة حلّقت لا اثنتان. طائرة واحدة مرّت وألقت قذيفة قرب الأنطونية لا على القصر الجمهوري فركب هو (عون) فوراً بالملالة ورحل إلى السفارة الفرنسية. وراح يفاوضني من هناك، فلم أردّ عليه على الهاتف. اتصل بي السيد آلا (السفير الفرنسي) وقال: «إن عون يودّ التحدث إليك». فقلت له Merci لا أريد التحدث اليه. فقال: «لا وسيلة عنده ليقول إنه رضخ». فقلت له «عنده إذاعة الـFM». قال: «لا يوجد اتصال». فقلت له: «كيف تتصل بي؟ ولماذا تتصل بي؟ اتصل بإذاعته». وإذا بهم في التاسعة يبثون كلامه: «اطلب إلى جميع القوات في الجيش اللبناني أن تضع نفسها في تصرّف العماد إميل لحود». لماذا وقعت ضحايا؟ لأنه لم يبلّغ غرفة عملياته بأن تتوقف. القوة المشتركة من الجيش اللبناني والسوري، الآتية في ثلاث فرق من ثلاث نواح: فرقة في اتجاه بيت مري، وأخرى نحو القصر الجمهوري عن طريق عاليه ــ ضهر الوحش، وثالثة من بسوس. القوة التابعة لعون لم تُبلّغ بوقف النار. دخل المهاجمون من دون إطلاق نار حاملين العلم اللبناني ويذيعون بمكبّر الصوت: «سلام يا إخوان». وإذا بفرقة تهجم وتحصدهم، وحكي يومذاك عن وقوع مئات القتلى من الفريقين.

■ من قاد العملية عسكرياً؟

ــ من جانب الدولة إميل لحود.

■ هل كان لديكم برنامج لاعتقال ميشال عون؟

ــ لو بقي في القصر كان من المؤكد أنه سيعتقل. لكن كنت أكيداً أنه سيرحل لأنه جرّب الطريق ودرسها، وعلمت قبل نحو عشرة أيام أن ملالة تقيس الطريق من القصر إلى السفارة وكم تستغرق. بمجرد أنه شعر بجدية التهديد ركب في الملالة وترك زوجته وبناته.

■ هل أخرج إيلي حبيقة عائلة عون إلى السفارة؟

ــ لا. وصل إلى القصر ضابط سوري وقال لزوجة عون بالحرف الواحد: «سيدتي تربينا على احترام السيدات. خذي وقتك، إذا قررت البقاء هنا فابقي، وإذا قررت الرحيل فساعة تأمرين نحن في خدمتك، نوصلك إلى حيث تشائين». ضبّت أغراضها بنحو عشر ساعات في ١٣ حقيبة. في هذه الأثناء وصل حبيقة فقال لها: «هل تعرّض لك أحد؟». قالت: «لا». وقال لها: «ساعة تأمرين أنا حاضر». هذا ما علمته فيما بعد، وأوصلوها إلى السفارة.

■ أقام في السفارة مدة طويلة، ثم أُجريت ترتيبات خروجه؟

ــ في السفارة ارتبكوا به وليس نحن، إذ لحق به (اللواء عصام) أبو جمرة و(اللواء إدغار) المعلوف والنساء. وأصبحوا جميعاً هناك، أكلاً وشرباً ونوماً.

■ **هل كان إجراء نفي؟**

ــ لا. طلب الفرنسيون أن يأخذوه. أنا لم أحتم عليهم ذلك. والدليل أننا أصدرنا قانون عفو وشمله. لكن طبعاً، لا أستطيع أنا ولا غيري، أن نعفو عن ليرة واحدة متوجبة عليه للدولة.

■ **أهذا هو الجانب الوحيد العالق في موضوع عون؟**

ــ نعم فقط قصة عملة. والقرار كان مُعللاً: إذا تعاطى العمل السياسي خلال خمس سنوات أو صرّح أو قال كذا... فهذا العفو كأنه لم يكن. عقد بعد خروجه مؤتمرات صحافية كثيرة. لم نثر المسألة. لاحقاً جاء الفرنسيون ورتّبوا له موضوع رحيله. وأنا قلت لهم إذا أراد البقاء في منزله فليبق ولن نتعرض له. لا مانع عندنا، خصوصاً بعدما أمسكنا بزمام الأمور. فقالوا: «الأفضل أن يرحل». وأحضروا جنرالاً من هناك على رأس فرقة. وطلبوا مساعدة الحرس الجمهوري والأمن العام، وأخذوه بحراً لا براً.

■ **هل كنت تعرفه؟**

ــ ولو، كيف لا أعرفه؟ فهو صهرنا (متزوج من زحلة)، وبقيت علاقتي به جيدة إلى تاريخ ١٧ آذار (مارس) ١٩٨٩، وهو تولى في ٢٣ أيلول (سبتمبر) ١٩٨٨ وبقيت علاقتي به جيدة إلى ١٧ آذار حين ذهبت إليه و«تشارعت» معه وقلت له: «لن ترى وجهي». وأذكر أن الجدال كان حول إطلاقه قذائف على منطقة الاونيسكو. قلت له: «أنت تقصف المرافئ والمنطقة الغربية، هل يمكنني أن أعرف إلى من أنت مسنود؟ ضحايا الباص من الأطفال ٣٨ ضحية. وإذا أردت أن تقول أن السوريين قصفوا، فهذا كلام. أنت قصفت والمصدر واضح. ماذا تريد من المرافئ أبقيت مفتوحة أم لا؟ وأخذت

مرفأ بيروت فلم يرضوا معك والدليل أنهم لم يُبقوا لك الوزراء الثلاثة المسلمين. وشكّلوا حكومة ثانية. طوّل بالك، لننتظر الحل الدبلوماسي، ونحن نفاوض لك في الشام مع أصدقائنا، وإذا أردت نوصلك إلى الرئاسة، أتريد أكثر من ذلك؟».

لكن، عبثاً. لا يتكلم عون بمنطق. أكلّمه من الشرق فيردّ عليّ من الغرب. وكان ذاهباً بالهوجة يصفقون له في الخارج.

اجتمعنا في ١٧ آذار (مارس) وبعد ذلك لم أره إلا قبل ذهابنا إلى الطائف حين طلب استقبال النواب وكنّا ٢٦ نائباً. واستقبلنا في القبو لا في الطابق العلوي، خائفاً من أن تأتيه ضربة. وكان بيننا نحو أربعة مسلمين والبقية مسيحيون. وللأسف، «التبخير» دارج في لبنان في أي وقت كان. بدأوا بالإشادات. قال: «نحن أوقفنا المدفع ونحن طلبنا هذا الاجتماع الذي سعى إليه الأخضر الإبراهيمي، لكن سأقول لكم: «لا تذهبوا إلى هناك وتفرّطوا بلبنان. وعسى أن يكون فيكم الأمل كي لا يمرغوا لكم أبوازكم (أفواهكم)، مرغ البوز (الفم) بقليل من الدبس أو العسل». قال البعض: «أطال الله عمرك. الله يخليك يا من ردّ شرفنا. رفعت إصبعي، وكان يسجّل المحضر (مدير القصر الجمهوري) جوزف جريصاتي، وقلت له: «Mon General كل هذا الكلام الذي تقوله نحن نربأ بك أن تتهم أناساً أوادم بكلام لا طعم له». أذكر أن رينيه معوّض شدّ عليّ وقال: «اسكت ولا تتكلم لأن العيون مفتوحة عليكم».

فقلت له بصوت عال: «فيك تسكت». وقلت له (عون): «الباخرة تخرج، يوماً بعد يوم، ثلاثمئة راكب من جونيه، أين أصبح

المسيحيون؟ ماذا نفعل للمنطقة؟ اعذرونا أيها الإخوة المسلمون». فقال: «لا أسمح بهذا الكلام». فقلت له: «لماذا جمعتنا؟ لتقول لنا أمثولة ونسكت. نحن ذاهبون إلى الطائف فإذا اقتنعنا وافقنا، وإذا لم نقتنع فلن نوافق. ولا تتهمنا لا بمرغ «بوز» ولا ببوسة بوز». قال: «لا أسمح بهذا الكلام». فقلت له: «تسمح به». وساندني طارق حبشي ونديم سالم. وقالوا له: «أحضرتنا لنسمع رأيك وتسمع رأينا. وإذا كنت متوافقاً مع الأخضر الإبراهيمي فلماذا أحضرتنا؟». تجادلا معه، وانتهى الأمر، وقال لي رينيه: «هذه المرّة سيعتدون عليك». فقلت له: «يعتدون على هونيك شغلة».

رحلنا. ذهب فريق كبير من طريق قبرص بعدما انتقلوا إليها بالمروحيات. أما أنا فذهبت من طريق المطار.

■ يبدو أنك لا تكنّ مودة للإبراهيمي؟

ـ لا. جاء بعد انتخابي ودعوته إلى الغداء مع زوجته. لم اكن طرفاً في المفاوضات التي أجراها مع المتقاتلين.

■ كم مرّة التقيت الرئيس الأسد خلال وجودك في الرئاسة على مدى ٩ سنوات؟

ـ نحو ٢٠ مرة. في أول الأمر، بعد عون، كانت اللقاءات كثيفة، وفيما بعد أصبحت كل ستة أشهر. وأقول لك لو لم تحصل حرب الكويت وتشغل الجميع فلم ينظروا إلى ما يحدث في لبنان، لكانت صعبة عليّ.

■ أنجزتم القضية من دون ترتيب ما، بأن يقبل الإسرائيليون بتدخل الطيران السوري؟

ــ من دون ترتيب، ولم يعرف في لبنان أحد سواي في أي ساعة ستحصل المعركة، ولم نراجع الأميركيين.

■ مَنْ كان يعرف بالساعة الصفر؟

ــ أنا. وفي سورية الرئيس الأسد. وحين أرسل نائب رئيس الأركان وأقام في عاليه أخبره. وأنا أخطأت يومذاك. نحن غيّرنا الساعة، أما هم فلا. الساعة السادسة، خبطت على رأسي وقلت: هل عدّلوا رأيهم؟ فقالوا لي: طوّل بالك لم تحن بعد، عندما تبلغ السابعة عندك تكون عندهم السادسة. ثم، في هذا الوقت، تحمّمت بهدوء وارتديت ملابسي وراحوا يخبطون على باب الحمام. سأل عنك وزير الدفاع والجنرال.

وبعد العملية جاء إليّ عمر مسيكة وأدرنا التلفزيون فرأيت الدكتور سليم الحص يقول: «أيها المواطنون» يبشّرهم بانتهاء التمرد. فعدت بالذاكرة إلى ما حصل في مجلس الوزراء، ثم جاء الحص. وقال: «مبروك». فقلت له: «شكراً، مبروك للبنانيين، والله يقدّرنا لنقيم دولة». وسألني: «يبدو أنك ذاهب». فقلت له: «لديّ كلمة، سأوجهها إلى اللبنانيين وأعود إليك».

* * *

في الجزء الثاني من الحوار مع الرئيس اللبناني السابق الياس الهراوي قال إن الجيش التزم أوامر السلطة السياسية في عهده وتحدث عن علاقته بالعماد اميل لحود قائداً للجيش ورئيساً للجمهورية. وأكد أن اختيار رفيق الحريري رئيساً للوزراء كان قراراً صائباً لكنه لاحظ أنه رجل «صعب»، مشيراً إلى أنه حاول

ذات يوم إزاحته من منصبه. وكشف الهراوي أنه نصح الدكتور سمير جعجع قائد «القوات اللبنانية» بالمغادرة لكنه أبى ثم صار الأمر في يد القضاء. هنا نص الحوار:

* * *

■ **يلاحظ أن زياراتك لقصر بعبدا قليلة حالياً؟**

ــ أذهب حين يكون ثمة داع. لا أريد الإكثار من الزيارات حرصاً على وقت الرئيس. إذا اتصل فأنا حاضر. ليس لديّ سبب للذهاب. ليست لدي تركيبة سياسية أعدها ولا أريد توظيف أحد. زرته ثلاث مرات. كلف خاطره ورد لي الزيارة.

■ **غالباً ما كانت العلاقة بين رئيس الجمهورية وقائد الجيش مشوبة بالتوتر لانتمائهما إلى الطائفة المارونية، وبسبب الحديث عن طموحات، وهو أمر مستمر منذ عهد الرئيس كميل شمعون؟**

ــ الفارق شاسع بيني وبين الرؤساء السابقين. ستعجب من هذا الكلام. نحن تسلمنا الجيش في ١٩٤٦ ولم يكن قد قوي عدداً أو عتاداً. كان الأمن العام هو العين التي تراقب وتسر إلى الرئيس. في أيام الرئيس فؤاد شهاب تغيرت المسألة. صار اسم أمن الجيش «الشعبة الثانية». في بلدان العالم تشتغل «الشعبة الثانية» بأمن الجيش، أما عندنا فراحت تتعاطى السياسة لمصلحة رئيس الجمهورية. كان رئيس «الشعبة الثانية» يعين بناء على رغبات رئيس الجمهورية، وربما هذه كانت إحدى النقاط التي تثير حساسية قائد الجيش. هكذا تصرف أنطون سعد ثم غابي لحود وبعده جول بستاني ثم جوني عبده في عهد الرئيس سركيس، وبعد ذلك سيمون قسيس

في عهد أمين الجميل. أنا شخصياً عندما عُينّ قائد الجيش (العماد إميل لحود) كان الكلام بيني وبينه واضحاً وصريحاً، وكنا لا نزال في أبلح. اتُفق في الطائف على أن لا تتدخل مديرية الاستخبارات في شؤون اللبنانيين، ميدانها أمن الجيش وحده. قلت للعماد لحود أنا لن أتعاطى وعينّ أنت مدير الاستخبارات، فعين العقيد خليل جلبوط ثم عينّ ميشال رحباني. لم يكن هناك سبب للتنافر. طبعاً كان عليه أن ينتظر قرارات مجلس الوزراء.

■ إذاً تستطيع القول أن الجيش في عهدك كان يلتزم أوامر السلطة السياسية؟

ـ نعم في المسائل الكبرى هذا واضح. أما داخل المؤسسة العسكرية أو بعض الاتصالات فأنا لم تكن لديّ أجهزة خاصة بي لأعرف. أنا أقول إنهم لم يرفضوا تنفيذ أوامر السلطة السياسية وأنا لا أرحم في هذه المسألة.

■ عندما انتخبت هل كان تعيين العماد لحود قائداً للجيش من الأمور المسلّم بها؟

ـ نعم كان الرئيس رينيه معوض يعمل في هذا الاتجاه في موازاة العمل لتشكيل الحكومة التي قيل إن عدم تشكيلها ساهم في التشجيع على اغتياله لإحداث فراغ.

■ هل يعقل ألا تكون هناك أي معلومات حول اغتيال الرئيس معوض؟

ـ جربت بكل قوة ولم نصل إلى شيء. ومع ذلك أقول إننا عثرنا بالصدفة على من قتل داني شمعون وليتنا نعثر على من اغتال

الرئيس معوض. عملت الأجهزة الأمنية ولم تنجح في الإمساك بخيط. كانت هناك تقديرات أشارت إلى دور أجهزة عراقية أو فلسطينية. ضغط شخص على «الريموت كونترول» وكانت العبوة إلى جانب الطريق ودمرت سيارة المرحوم رينيه. لم يثبت شيء ولم توجه التهمة إلى أحد.

طبعاً، صدر قانون العفو العام واستثنيت منه الجرائم المحالة على المجلس العدلي، إما بسبب طابعها السياسي الحاد أو لأنها تتعلق برجال دين. وتركت لمجلس الوزراء مهلة يمكنه خلالها إصدار عفو في هذه المسائل. بدأ بدرس عفو يشمل اغتيال طوني فرنجية وفي الوقت نفسه اغتيال بشير الجميل. وهنا أريد أن أوضح قضية. لقد أشركنا سمير جعجع قائد «القوات اللبنانية» آنذاك في الحكومة. والسبب هو الآتي: في أول لقاء مع الرئيس الأسد قال لي: «يا أبو جورج سأعطيك خبرتي. عندما ألّفت أول وزارة في ١٩٧٢ كانت في الساحة السورية أحزاب كثيرة. أشركتهم في الحكومة ولم أحصر الأمر بحزب البعث. وراحت الأمور تتبلور تدريجاً. أتمنى عليك، وعفا الله عما مضى، أن تسعى إلى ضم الجميع بعيداً عن أي حقد». وللإنصاف أُشرك سمير جعجع ووقع الرئيس عمر كرامي المرسوم على رغم الشبهات التي كانت تحوم حول «القوات» في قضية اغتيال شقيقه المرحوم رشيد كرامي. لم نترك أحداً. أشركنا الأساتذة سليمان فرنجية وإيلي حبيقة وسمير جعجع وأسعد حردان. وكنت قبلها قد عرضت على ميشال عون أن يشارك وأن يكون سوبر وزير، فرفض.

■ **هل كانت العلاقة طبيعية بينك وبين العماد لحود في السنوات الست الأولى من عهدك؟**

ـ نعم، وتستطيع أن تسأله عن هذا الأمر.

■ **حتى بعد تمديد ولايتك؟**

ــ بعض القريبين منه يقولون إنني أخذت ثلاث سنوات كان يفترض أن تكون له. أطال الله عمره، السنوات أمامه.

■ **هل تغيرت العلاقات بينكما خلال فترة التمديد؟**

ــ لم أشعر بأي تغيير. كان التعامل بيننا على أكمل وجه.

■ **هل شعرت مثلاً بأن أجهزة كانت تعمل ضد التمديد؟**

ــ كان هناك نواب ضد التمديد.

■ **من كان له دور أساسي في تمديد ولايتك؟**

ــ فاتحني الرئيس الأسد بهذا الموضوع. قال لي: «يا أبو جورج راح من وقت رئاستك قبل وصولك إلى بعبدا ثلاث سنوات وثمانية أشهر وهو وقت طويل. خدمة للسياسة التي ننتهجها معاً أتمنى أن تتقبل تمديد ولايتك ثلاث سنوات». أجبته: لم يفكر أحد بالتمديد إلا تعرقلت أموره، وكذلك من مدّد! قال: «أعتقد بأن الأمور ستمشي لأن السياسة التي تنتهجها هي الأفضل للبلد والأقرب إلى ما نطمح إليه جميعاً، خصوصاً الإخوة في لبنان».

اتفقنا على ألا نعلن هذه المسألة قبل أن يحين الوقت. هنا أخطأ كثيرون وبدأوا بالتحركات واستطلاعات الرأي وبينهم من قال إننا ارتطمنا بالزجاج لأننا لم نكن على علم بما يدور.

■ **كم من الوقت حفظتما السر؟**

ـ سبعة أشهر ولم يعرف به أحد حتى أفراد عائلتي.

■ **الحريري لم يكن على علم؟**

ـ إذا كان على علم فلم أكن أنا المصدر. هل عرف أبو جمال (عبدالحليم خدام نائب الرئيس السوري) من الرئيس الأسد ولمّح أمامه؟ لا اعرف. طبعاً كان الحريري قد تكلم عن التمديد قبل سنة، خلال عيد مار الياس في زحلة، وكانت الأمور بدأت تتحسن في لبنان. أقمت غداء في منزلي في تموز (يوليو) ١٩٩٤ حضره أبو جمال وحكمت الشهابي ونبيه بري. قال الحريري: يا فخامة الرئيس سنطلب منك طلباً. لا تعتقد أنك ستذهب في ١٩٩٥. نحن لا نزال بحاجة إليك ونريد أن تمدد الولاية. وكان ردي أن عليّ أخذ الأمثولة ممن مدّد سابقاً وكيف انتهى، ولهذا أعتذر عن عدم قبول التمديد.

■ **ألم يكن للرئيس الحريري دور أساسي في التمديد؟**

ـ كان موافقاً ومؤيداً ولم يعترض ولو للحظة. القصة كما ذكرتها حرفياً. كان اللقاء مع الرئيس الأسد ثنائياً وكتمنا السر.

■ **متى أُبلغت للمرة الأولى أن العماد لحود سيكون رئيس الجمهورية المقبل؟**

ـ منذ أن بدأ رئيس المجلس النيابي يجري استشاراته في ١٩٩٥. أنا وضعت مادة تقول إن على موظف الفئة الأولى أن يستقيل قبل سنتين إذا أراد أن يترشح للرئاسة. مرة قائد الجيش ومرة حاكم مصرف لبنان. الهدف هو عدم استخدام الموقع للوصول إلى

الرئاسة. عندما طرح بعض النواب تعديل الشقين في المادة أي التمديد من جهة وإلغاء شرط الاستقالة المسبقة لموظفي الفئة الأولى من جهة أخرى، فهمت أن لحود مرشح، وقلت إن الدستور يحرم ذلك. بعد ثلاث سنوات نضجت المسألة.

■ **متى بُحث موضوع تولي العماد لحود الرئاسة بينك وبين الرئيس الأسد؟**

ـ قبل شهر ونصف شهر تقريباً من موعد الانتخابات.

■ **هل كانت هناك أسماء أخرى؟**

ـ نعم. كان هناك بطرس حرب ونسيب لحود وجان عبيد. فارس بويز كان يقول لا، لكنني أعرف أنه في سره يريد الرئاسة. الطموح مشروع. طبعاً هناك مسائل تستحق الذكر. النائب سليمان فرنجية أيد التمديد. وعمر كرامي أيده رافعاً يديه الاثنتين الأمر الذي أحدث التباساً بين التمديد بـ١١٠ أصوات أو بـ١١١. لكن هؤلاء كانوا من مؤيدي العماد لحود. ظهرت القصة واضحة في آخر عيد للجيش في عهدي.

■ **قيل إنك ذهبت ذات يوم إلى دمشق لإزاحة قائد الجيش من منصبه؟**

ـ لا. أعوذ بالله. قد يكون هذا الكلام من اختراع جهاز ما لكسب ودّه. بالنسبة لي حتى الضباط الذين كانوا مع ميشال عون لم نجرب أن نقاضيهم.

■ **من فاتحك بموضوع العماد لحود؟**

ـ هذه قصة لا يفاتح بها إلا الرئيس الأسد. قلت له وصلنا إلى الاستحقاق فما هو رأيكم؟ قال: «هناك رأي عام في لبنان مؤيد لوصول العماد لحود».

■ **هل كان الحريري يعمل من أجل خيار آخر؟**

ـ نزل إلى المجلس وأيد لحود.

■ **كلهم ينزلون في النهاية ويصوتون؟**

ـ لا أعرف من كان مرشحه قبل ذلك. كانوا يقولون مرة إن مرشحه روبير غانم ومرّة جان عبيد.

■ **يُشاع أن الرئاسة عرضت على جان عبيد قبل انتخابك؟**

ـ لماذا لم يقبلها؟

■ **يشاع أنك طرحت اسم رفيق الحريري في دمشق لرئاسة الحكومة فور انتخابك؟**

ـ سأقول لك أمراً قد لا تصدقه. لم يتبادر إلى ذهني في تلك الأيام أن الحريري سيكون رئيساً للحكومة. أنا كنت أعرف أنه موجود في السعودية وأعماله مزدهرة ولم أجد سبباً يدفعه إلى المجيء، ولم تكن المسألة مطروحة. عندما ألّف الرئيس الحص الحكومة الأولى كانت لها مهمة محددة هي إنهاء تمرد ميشال عون. بعد إنهاء التمرد بدا الرئيس الحص متعباً إذ كان في الحكومة منذ ١٩٨٤ وتولى رئاستها بعد اغتيال الرئيس كرامي في ١٩٨٧. شعرت بأنه متعب، حينذاك تم الاتفاق على الرئيس عمر كرامي وكانت لحكومته مهمة هي حل الميليشيات. وفي وجود تلك

الحكومة أرسلنا الجيش إلى الجنوب وعبر خط الأولي. الحكومة الثالثة كانت مع الرئيس رشيد الصلح. عندما حصلت أحداث أيار (مايو) ١٩٩٢ واشتعلت إطارات المطاط واندلعت التظاهرات استقال الرئيس كرامي. سأله الصحافيون في تلك الأيام عن الدولار فقال ليست مهمتي أن أعرف كيف يصعد الدولار وكيف ينزل. كان هناك من التقط هذا الكلام وروجه لإشعال البلد. رأى الرئيس كرامي أن الرئيس الحريري استخدم الوضع الاقتصادي لإسقاط حكومته وأنه قام بشراء دولارات أو بيعها. ولا يزال الرئيس كرامي على قناعته رافضاً تغييرها. أنا شخصياً أشك في صحة هذا الاتهام، فلو كان الحريري يفعل ذلك لفعله الآن خصوصاً أن أجواء الحرية تسمح بمثل هذه الأعمال. حكومة الرئيس رشيد الصلح كانت مهمتها الانتخابات وظل اللواء سامي الخطيب وزيراً للداخلية.

■ استعنتم بخبرته كطباخ انتخابات؟

ـ (يضحك)، لا. هنا أريد أن أشير إلى مسألة لا تزال تؤلمني. السيد حسين الحسيني كان شبه ديكتاتور في عهد أمين الجميل إذ كان يقرر كل شيء بسبب الشلل الحكومي، ولم يكن هناك من موازنة منذ ١٩٨٤. بعد صعود الدولار جاء موظفون سابقون إلى الرئيس الحسيني وقالوا له تقاضينا تعويضات نهاية الخدمة ولم تعد تعادل شيئاً. هنا قدم الحسيني اقتراح قانون يفيد بأن من قبض تعويضه منذ العام ١٩٥٩ يستطيع أن يرده إلى الخزينة مع فائدة ١٢ في المئة ويعود إلى جدول التقاعد. أحدهم مثلاً قبض يومها ٢٥٠ ألف ليرة، أي ثروة آنذاك، رد المبلغ مع فائدته التي يفترض ألا تتعدى رأس المال أي ٥٠٠ ألف ليرة وبدأ يقبض تقاعداً شهرياً قيمته مليون و٥٠٠ ألف ليرة. هذا شمل كل الموظفين المتقاعدين.

اصطدمنا، وأعدت القانون إلى المجلس معللاً. راجعت النواب وأثير الموضوع في لقاء في سورية. أذكر أن الرئيس الأسد خاطب الرئيس الحسيني قائلاً: أبو علي على ماذا اتكلت في إعداد هذا القانون؟ فرد: «الدولة عندنا غنية ولديها أرزاق وذهب». نظرت إلى الرئيس الأسد وقلت له: «لعله يفكر في بيع مباني مجلس النواب أو السرايا أو قصر بعبدا. ماذا لدينا من أرزاق؟ مشاعات تابعة للبلدية.

تدخل الرئيس الأسد وقال: «نحن قررنا زيادة رواتب الموظفين ٢٥ في المئة وقد وفرنا ما يغطي تكاليف ٢٣ في المئة من الزيادة ولم نعلنها في انتظار توفير ما تبقى وكي لا نقع في عجز. هذا القانون غير مناسب».

انتظر الرئيس الحسيني حتى موعد طرح القانون المتعلق بالانتخابات والدوائر وطرح قبله القانون الذي أعدته، فصُدق وعارضه على ما أذكر خمسة نواب. لهذا السبب اقترحت في عهدي بعض التعديلات الدستورية. هكذا لامس الدولار عتبة الثلاثة آلاف ليرة في ١٩٩٢.

رحت أبحث الأمر وأسأل عن الحل. أنهينا التمرد ووقعنا في كارثة اقتصادية، سألنا وسألنا وكان الجواب يتردد: هناك رفيق الحريري. حصل لقاء في اللاذقية مع الرئيس الأسد حضر أبو جمال جانباً منه. اعتقدوا يومذاك أنني مستاء لأن ابني سقط في الانتخابات، فقلت لهم إن سقوطه وسام على صدري إذ لم يحصل أن سقط نجل رئيس الجمهورية. في السابق كان يكفي أن يدعم رئيس الجمهورية مرشحاً ليفوز بأصوات تفوق تلك المدرجة في لوائح الشطب، كما حصل مع الرئيس تقي الدين الصلح في بعلبك ومع الدكتور عبدالله الراسي في عكار.

في اجتماع اللاذقية أجرينا بحثاً شاملاً ونمت ليلة هناك. تطرقنا إلى الوضع الاقتصادي، وقلت: لا يجوز أن نبقى على ما نحن عليه. وأوضحت أن السلام قد يقرع الأبواب بعد اجتماعات مدريد فكيف أستقبله أنا في لبنان وليس لدي ماء أو كهرباء أو هاتف ولا جسور ولا طرقات؟ بيروت مهدمة والجرذان تسرح ومشكلة المهجرين متفاقمة بعدما قام عدد من غير المهجرين باحتلال شقق أيضاً. لذلك سمي وادي أبو جميل بوادي الذهب نظراً إلى التعويضات التي دُفعت لإخراج المهجرين. طرح اسم الحريري واتفقنا عليه. وحين كنا نتفق في سورية كان التيار يمر سريعاً فيأتي النواب ويطالبون به. حتى رؤساء الوزارات طالبوا به. الدكتور الحص قال إن «الشيخ رفيق منيح في الوقت الحاضر»، والأستاذ عمر كرامي قال: «لا حول ولا قوة، الشيخ رفيق الشيخ رفيق». هنا أعود بالذاكرة ويحضرني أن الرئيس صائب سلام طالب برفيق الحريري قبل مجيء رشيد الصلح. قال لي: «أعتقد أنه إذا جاء رفيق رئيساً للحكومة يمكنه أن يساعد البلد».

■ هل طرحت جهات لبنانية أخرى اسم رفيق الحريري؟

ـ اعتقد بأن وليد جنبلاط طرح الاسم وأتمنى ألا أكون مخطئاً. الحقيقة أن نتائج الانتخابات حددت أشياء كثيرة خصوصاً بالنسبة إلى رئاسة المجلس. أضعفت النتائج موقف الحسيني بسبب الانتكاسة التي منيت بها لائحته فيما جاء نبيه بري على رأس كتلة كبيرة.

■ يقال إن الحريري اقترح عليك تأليف حكومة تكنوقراط؟

ـ هذا غير صحيح.

■ **يُنقل عنه أنه لم يكن يريد إشراك رموز الحرب أو بعضها؟**

ــ فليسمح لنا، ففي الطائف اتفقنا على ضرورة احتواء الميليشيات وأشركناهم في الحكومة التي شكلها الرئيس عمر كرامي. الدكتور سمير جعجع تمهل أسابيع وقال أريد روجيه ديب ممثلاً لي فعينّاه. لو بقي ديب في الوزارة ولاحق قصة العفو لوصلنا إليه. طلبت منهم وقتاً لأفاتح الرئيس سليمان فرنجية بإمكان شمول العفو قضية اغتيال نجله طوني على أن تمر مع العفو قضية اغتيال بشير الجميل التي كنت أنوي التحدث فيها إلى صولانج الجميل. قال ديب: «إذا لم يشمل العفو قضية فرنجية فلن أحضر أي جلسة أخرى». مشى ولم يعد أحد يطرح الموضوع. في حكومة رشيد الصلح اعتذر جعجع في الوقت الذي كانت تعلن فيه الحكومة.

■ **ماذا كانت مطالب الرئيس الحريري في الحكومة الأولى؟**

ــ كان يريد وزارة المال. خرجنا من الطائف بما يشبه التفاهم على وجود أربع حقائب أساسية هي الخارجية والدفاع والداخلية والمال. أصر الإخوان الشيعة على أن يتولى وزير منهم حقيبة المال ليكون لهم توقيع في كل مرسوم. حصل خلاف وانتهت المسألة بأن أعطي الحريري المالية وأوكلها إلى فؤاد السنيورة.

■ **هل الصداقة بينك وبين الحريري سابقة لتوليه رئاسة الحكومة؟**

ــ بدأت الصداقة عملياً في الطائف. أما كيف تعرفت إليه فقد رويتها لك. ذات ليلة كان الحريري وجوني عبده عند الرئيس أمين

الجميل في القصر. كنت نائماً في منزلي وكان القصف شديداً. أيقظني جوني وقال: «معي رفيق الحريري ونريد أن نأكل وننام هنا». وهذا ما حصل.

■ جاء رفيق الحريري في صورة المنقذ. ألم تتخوف على التوازنات في عهدك؟

ــ للأسف فصل الثوب في الطائف وكأن شبح أمين الجميل لا يزال قائماً في القاعة. أُخذتْ من رئيس الجمهورية بعض الصلاحيات. أنا لم أكن عضواً في لجنة الصياغة هناك. طرحت بعض التعديلات خلال رئاستي لأن رئيس الجمهورية إذا رفض توقيع مرسوم يحق له أن يعترض عليه في مجلس الوزراء، وإذا أصر الوزراء يصبح مضطراً إلى التوقيع أو ينشر المرسوم من دون توقيعه. مهلة القانون ٣٠ يوماً. يرده الرئيس في اليوم التاسع والعشرين معللاً أو ينشر من دون توقيعه. ألزم رئيس الجمهورية بالمهل ولم يلزم بها الوزراء. فإذا تقرر تعيين مدير عام ولا يوقع الوزير تمر شهور ولا شيء في الدستور يلزمه. الرئيس الحسيني أبقى مرسوم تعويضات الموظفين سنة في أدراجه ثم أيقظه وكان أحد الأسباب الرئيسة للكارثة المالية. قالوا يكلف ٤ بلايين أو ٦ بلايين. أنا أجريت حساباً أظهر أنه يكلف ٧٦ بليون ليرة. في النهاية كلف مئة بليون.

■ هناك تهمة يرددها البعض وهي أن الرئيس الهراوي استهلك ثلاثة رؤساء للحكومة بانتظار تعيين الحريري؟

ــ إذا كانت لدي هذه المقدرة على استهلاك رؤساء الحكومات فإنني أشكر أصحاب هذه الشائعة. هذا يعني أنني حذق جداً. ألم يكتب أخيراً أنه كانت هناك دمعة في عيني لأن عمر كرامي قرر

الاستقالة. للتاريخ أقول إنني سألته إلى أين تذهب يا عمر؟ نحن على استعداد لأن نعدل الحكومة معك. للأسف أعتقد بأن أحدهم أوحى له بحسنات الاستقالة. والحقيقة أن اسم سامي الخطيب طرح قبل رشيد الصلح.

■ جاء الحريري وحقق إنجازات؟

ـ نعم كان لديه مشروع وكنا شركاء في الأهداف. نحن أيضاً نريد كهرباء وماء وهاتفاً وإعادة المهجرين وإعادة بناء البنية التحتية. كنا نريد إنجازاً لإراحة الناس.

■ يقال إنك حاولت ذات مرة إبعاد الحريري عن رئاسة الحكومة؟

ـ صحيح. أعتقد أن ذلك حصل خلال الحكومة الثانية. بكل أسف لم يعد في بعض المراحل يراعي الحدود. فسَّر الطائف على أن رئيس الوزراء هو كل شيء وبدأ ينزعج من النقد أو المعارضة وينظر إلى أي وجهة نظر مخالفة كأنها محاولة تخريب.

كانت هناك نقاط اتفاق مع الرئيس الحريري وكانت هناك نقاط تباين واختلاف. مثلما جرى لاحقاً. أنا أعتقد أنّ علينا أن نفتح الباب لمزيد من التمازج بين اللبنانيين، ولهذا مثلاً طرحت موضوع الزواج المدني الاختياري. اتخذ الرئيس الحريري موقفاً غريباً لجهة تشدده في معارضة المشروع. أفهم أن يراعي السياسي وسطه وشعبيته، لكن أرى أن عليه أن ينظر إلى المستقبل. لا أحد يريد المس بالأديان، لكن من دون العلمنة لا أرى مستقبلاً لتركيبة في مثل هذا التنوع الطائفي.

هناك خلاف سابق. ذات يوم قرأ في جريدة «الأنوار» خبراً يتحدث، وعلى لسان مصادر قيل إنها قريبة من رئيس الجمهورية، عن شروط الياس الهراوي وما أريده من الحريري. ذهب إلى منزله وقال إنه لن يغادره ولن يقدم استقالته. اعتصم في منزله واعتكف لاعتقاده أنني وراء الخبر. لم اتصل به وبعد أيام تيقن أن لا علاقة لي بالخبر، فاتصل وجاء. قال لي: «اعتبرني مثل أولادك. أنت تقول لي إنك أكبر مني بـ١٩ عاماً». أجبته: هل معقول يا رفيق أن تبني موقفاً على خبر لم تتحقق منه؟ قصة الصحافة في لبنان جزء من حياته السياسية وحرياته، وعليك القبول بالصحافة يوم تشيد ويوم تنتقد.

■ **إذاً حاولت إزاحة الحريري ولم تنجح؟**

ـ ليست مسألة نجاح. كانت الأجواء تدعو إلى التهدئة ووجدت أن مصلحة البلد أهم من تغيير الحكومة. وإذا سمينا تأييد الحريري «موجة» فإن هذه الموجة ظلت مستمرة أيضاً في عهد غيري، وقد أيدته الأكثرية النيابية في عهد الرئيس لحود. هو رفض المجيء. أنا لم أحرق رؤساء الحكومات على أمل المجيء بالحريري. ربما كان بينهم من أحرق نفسه.

أعتقد أن خيار الحريري كان صحيحاً في وقت مجيئه. التعقيدات بدأت حين راح الحريري يصر على حصة أكبر مما هو معقول ومقبول. في الحكومة الثالثة التي ألّفها كان يريد كل المقاعد السنية، وعندما لم يحصل ذلك حاول أن يحصر عدداً من الحقائب بنفسه.

■ **هل كانت تحدث قطيعة كاملة بينك وبينه؟**

ـ عندما اعتكف بسبب الخبر الصحافي. في المرات الأخرى كنا نخفف الاتصالات الهاتفية، بعد طرح قصة الزواج المدني الاختياري كان غاضباً جداً.

■ ثمة من يقول إنك «بلفته» في تلك الجلسة وطرحت المشروع فجأة على التصويت؟

ـ هذا غير صحيح. أنا وضعت اقتراح القانون ووزعته على الوزراء مطبوعاً في كراس، وقلت لهم سنناقشه بعد أسبوع أو أسبوعين إذا لاقى قبولاً. طبعت كلمة الاختياري بخط عريض لمنع أي التباس. لا أعرف ماذا حدث من تطورات جعلتني أؤجل مناقشة المشروع نحو ٤٠ يوماً. عندما طرح المشروع احتج الحريري باستياء غير مبرر. قلنا له إذا لم ينل ثلثي الأصوات فلا داعي له. طرحناه وكانت النتيجة صريحة. عارض المشروع ستة وزراء بينهم الحريري. أعتقد أنه غضب لأنه لم يجد وقتاً كافياً «لإقناع» بعض الوزراء.

■ يقولون مثلاً انك كنت تتعمد إمرار الكرة للوزراء المشاكسين لكي ينتقدوا الحريري؟

ـ هذا هو الفرق بيني وبين الحريري، عدّ الحريري مجلس الوزراء خاتماً في إصبعه يحركه كما يشاء. أنا رأيت مجلس الوزراء مؤسسة، مجلس الوزراء ليس مجرد مقر. إنه يحتاج إلى أمين عام وهذا لم يحدث.

■ هل كان يغلب التعاون مع الحريري على التنافس؟

ـ أريد أن أقول لك إن الحريري صعب.

■ أين مكمن الصعوبة؟

ـ هو يرى أن الذي يريده يجب أن يتحقق حتى لو كان الرأي العام غير راض عنه، ويرى أنه في سبيل طموحه والمخطط الذي كان لديه يجب أن يجري كل شيء بسهولة من دون عوائق. ورويداً رويداً حاول أن يقول إنه هو الحاكم. وهذا ما كان يؤدي إلى «نقزات» إن على صعيد الوزراء أو على صعيد شخصي. وكنت أحاول تهدئة الأجواء في مجلس الوزراء، لكن هناك وزراء كثراً كانوا يتضايقون. مرة عتب عليّ قائلاً إنه سمع كلاماً عن لساني مفاده أن ليس هناك أبرع وألبق منه في العمل لكن ينقصه التواضع. ضحكت وسألته: «هل سمعت هذا الكلام فقط مني؟».

■ والعلاقة مع الرئيس نبيه بري؟

ـ ممتازة الآن.

■ وخلال عهدك؟

ـ كانت الخلافات قليلة. مرة حدث خلاف حول مسألة. في السياسة لا الخلاف دائم ولا الصداقة دائمة.

■ أُشيع أنك حاولت إقناع داني شمعون بمغادرة منزله قبل وقت قصير من اغتياله، ما صحة ذلك؟

ـ سأروي لك ما حصل معي: بعدما أزيح ميشال عون، أرسلت شخصين إلى داني شمعون لأنني كنت قلقاً عليه على رغم أنه من الذين كانوا يهاجمونني، ليحضراه مع زوجته وأولاده إلى المقر الموقت، وكان قد جاءني من همس في أذني وقال لي: سمير (جعجع) لن يتحمل زعيمين في الشرقية. وكانت النتيجة أن تلقيت

رسالة من داني يقول فيها: «فخامة رئيس الجمهورية المعظّم، تحية وبعد، زارني نسيبكم ونقل إليّ رغبتكم في أن انتقل إلى مقر فخامتكم أنا والعائلة. وكذلك زارني الأستاذ إيلي حبيقة ونقل إليّ هذه الرغبة. أطمئنكم اني والعائلة في ألف خير. وآمل أن يكون لديكم الوقت لتستقبلوني يوم الثلاثاء وأشكركم على هذه العاطفة أنا والعائلة». وشرحوا له كيف سيرحل على أن أرسل سيارتي المصفحة مع مواكبة من الحرس الجمهوري ليصل إلى مقر إقامتي.

أخذت المكتوب وقرأته ولا أزال أحتفظ به. وهو يحمل اسم حزب الوطنيين الأحرار مع رقم الصادر، وفي أسفله توقيع: رئيس حزب الوطنيين الأحرار داني شمعون.

وكان هناك خطر على جبران تويني، ويومذاك طلب مني مروان حمادة والوزير ميشال المر أن نساعده وقد استطعنا تهريبه، لأنه بعدما انتهى ميشال عون لم يكن يُعرف من كان يلبس اللباس العسكري، أكان قواتياً أم غير قواتي.

وعندما اغتيل داني شمعون مع عائلته كنت في دمشق أشكر مساعدتهم على الخلاص. وبتّ ليلتها في دمشق على أن ألتقي الرئيس الأسد العاشرة والنصف صباحاً.

صحوت باكراً وحلقت ذقني وتحمّمت، وإذا بمرافقي الضابط حسين اللقيس يطرق الباب ويصرخ: يا ريس يا ريس. ففتحت الباب واستقبلته ملتفّاً بمنشفة وكان يحمل راديو ويبكي. وقال لي: اغتالوا داني شمعون. فغصصت ولم اعد أستطيع الكلام. يا ويلاه! أرسلت في طلبه فلم يرضَ! وعدني بالمجيء يوم الثلاثاء!

في التاسعة والنصف جاء الرئيس الأسد وسألني: ماذا حدث في بيروت؟ فقلت له: ما سمعته. فقال: «يا أبا جورج نوع كهذا من الاغتيالات السياسية يحصل في كل العالم، لكنهم يغتالون الرجل السياسي، أما اغتيال الزوجة والأطفال لإفناء عائلة فهذا نسق إسرائيلي. ومؤكد أنهم في لبنان سيتهمون سورية. أنا آسف أيضاً معك. أستبقى لنكمل الاجتماع؟». فقلت له: لا. ركبت السيارة وهو يودعني في قصر الضيافة، ثم ترجلت وقلت له: سيادة الرئيس، يا أبا باسل، سأقول لك كلمة: عندنا في الإنجيل كلمة مأثورة «لا خفي إلا سيظهر ولا مكتوم إلا سيعُلن». أتمنى أن يعرف فاعل هذه الحادثة.

عدت إلى بيروت وجاءني السيد دوري ليشكرني على إرسال ممثل لي في الدفن. فقلت له: يا ليت ظروفي سمحت لذهبت وشاركت. لكن هل تعرف أنني فاوضت أخاك لأحضره إلى هنا. فقال: لا. فأحضرت له المكتوب وقلت له: إذا أردت نسخة منه أعطيك. وأشكر ربي لأنني لم أمزقه، مع أنني حين جاءني «نرفزت» وكدت أمزقه لكن لم أفعل. فقال لي: هذا نصيبه. فقلت له: على اي حال أنت تعرف كيف كانت علاقتي بأبيك ولا داعي لتأتي اليّ وتشكرني على واجبي. الله يقدّرنا على الإمساك بالفاعل. ورحل.

■ **عرضتم على سمير جعجع الاشتراك في الحكومة وعُيّن وزيراً. هل كانت مشاركته صعبة؟**

ــ أبداً. عمر كرامي قُتل أخوه واتهم جعجع بقتله، لكنه وقّع تجاوباً مع رغبة الإخوان. وسبق أن قلت لك في الحديث، إن نصيحة الرئيس الأسد كانت إشراك الناس جميعاً والابتعاد عن الانتقام.

«ضمّهم جميعاً وفيما بعد تُرتّب الأمور». أخذت النصيحة في حسابي. كلهم كانوا في الداخل: سليمان فرنجية ونبيه بري وإيلي حبيقة وسمير جعجع ووليد جنبلاط وأسعد حردان. لم أدع أحداً في الخارج وعرضت أن يدخل ميشال عون حكومة اتحاد فرفض رفضاً باتاً.

■ أخذت موافقة جعجع على إشراكه في الحكومة وصدرت المراسيم؟

ــ حين طلب مني هذا الأمر، بدأت أسعى إليه. وفي الحكومة التي ألّفها عمر كرامي كان متوتراً عندما كان يوقّع المرسوم. سمير جعجع رضي وقرأ اسمه وزيراً للدولة مثل وليد جنبلاط. لكنه انتظر شهرين وتفاوض مع الوزير فارس بويز، وقال له: «أنا لن أحضر جلسات مجلس الوزراء وأريد مقعداً في داخله لمن يمثلني». بدأوا يتحدثون عن أسماء فتناهى إليّ أنه يريد روجيه ديب، فيما كان قد قال من قبل إنه يقترح ثلاثة أسماء أو أربعة وأنا اختار واحداً، لم يترك لي الخيار. أناس كانوا يتحدثون عن جورج عدوان وآخرون عن نادر سكر. وبعد ذلك أصبح هناك «سوء تفاهم»، كما يقولون بينه وبين نادر سكر الذي كان الأقرب. ويومذاك كنت أفضّل نادر لأنه مسيّس ويمكن الإفادة منه لحل مئة مشكلة. لكنه أراد روجيه ديب.

■ هل كانت لديه مخاوف أمنية؟

ــ لا أعرف.

■ جرت لقاءات بينه وبين اللواء غازي كنعان؟

ـ أنا سهّلت له اللقاءات، وكان كنعان يذهب إليه. إنها عقدة في هذا البلد وعليك أن تفضّها. يمكنك فضّها بالمدفع ويمكنك فضّها بالكلام، وأنا فضّلت أن يكون الكلام مكان المدفع والقصف والقتل.

■ **ثم عيّن في حكومة رشيد الصلح وزيراً؟**

ـ في حكومة رشيد الصلح، أنا سألته هل تريد أن تكون وزيراً أم لا؟ لا تلعب عليّ كالمرّة السابقة. قال لي: «سأكون وزيراً وسأشارك في الانتخابات». قلت له: أنا لن أكبّر الوزارة وأقصى حدّ لها ٢٤ وزيراً فقط، هل تريد أن تكون وزيراً؟ أجاب: نعم. رتبتها مع رشيد الصلح ووزعت الحقائب على الأسماء. وفيما كان الصلح يعلن الحكومة على التلفزيون أُذيع على LBC اعتذار سمير جعجع.

■ **هل كانت قصة اعتقال سمير جعجع محرجة جداً لك؟**

ـ سأروي لك القصة كاملة. حين فجّر بيت الكتائب كان ثمة اجتماع للفرع الطالبي في بيت الكتائب. مؤكد أن الأنظار اتجهت كلها، ضمنياً، إلى سمير جعجع بعد خسارته معركة رئاسة حزب الكتائب أمام جورج سعادة. لا ممسك في اليد. وأنا كنت مضطراً للذهاب إلى الشام. وأذكر أن بيت الكتائب فجّر في ٢٠ كانون الأول (ديسمبر). ذهبت إلى الشام في ٢١ كانون الأول. وعلى الحدود دار حديث بين الأمنيين السوريين، وسألهم «أبو جمال» (خدام): هل أخبرتموه؟ فسألته: ماذا؟ أخذني جانباً وقال لي: «بعد القصة التي حدثت في بيروت قد يصل «الموس» إليك وعليك أن تنتبه إلى نفسك أمنياً وألا تتنقل هكذا». في

الليلة نفسها بقيت في دمشق بعد الاجتماع، وراحت مسألة أمني تجول في بالي.

كان الجميع يعرفون أنني باق في الشام، لكنني فضّلت مغادرتها الواحدة والنصف ليلاً إلى بيروت وتعجّب الجميع. لم أظهر مخاوفي ولكنني توقعت أن يحصل شيء في البلد. فقلت في نفسي: أول أمر عليّ القيام به، تشجيع سمير جعجع على المغادرة إسوة بكثير من معاونيه الأمنيين لأن الأنظار متجهة إليه. استدعيت نادر سكر ومي (كحّالة) وبيار الضاهر. وقلت لهم: لا يستسهل أحد منكم ما سأقوله لكم، أنا أرى أن شيئاً سيحصل في البلد قد لا أستطيع ردّه. اذهبوا إلى سمير جعجع وقولوا له إن الرئيس عائد من الشام غير مطمئن ويودّ ألاّ يطعنك في ظهرك، «قد يأتي برق ورعد وغيم أسود ويهطل مطر كبير ويصيبك. خذ زوجتك وارحل. قبل مدة سافرت وعدت وأمنّا لك دخولاً من المطار لا عن طريق قبرص». وشارك السوريون في إيصاله إلى منزله. أخذ الأمر بالاستهزاء ورفض المغادرة، وقال: لم أعد أرغب في التعاطي بهذه المسألة. ذهب بيار (الضاهر) وحيداً وتحدث إليه فاستهزأ بالأمر. ثم اتصل بنادر فذهب إليه وكلّمه جدياً، وحين تحدث أخذت زوجته المسألة جدياً. همَّ (سمير) بالدخول إلى غرفته ضاحكاً، فقالت له: «اسمع ما يقوله لك». فقال لها: «لا يهمني وليحصل ما يحصل».

حصل هذا في ٢٢ كانون الأول/ديسمبر. وفي شباط/فبراير فُجّرت الكنيسة (سيدة النجاة)، فادلهمّت الدنيا، وهل يعقل أن يكون سمير جعجع مَن فجّر الكنيسة؟

في هذا الوقت كان التحقيق قد بدأ جدياً في قضية نسف بيت

الكتائب، ولم نصل إلى أي سبيل يوصلنا إلى النتائج. وأنا على رغم التنبيه الأمني شاركت في الجناز في الكنيسة التي وقع فيها الانفجار. وحين أنهى البطريرك رثاءه، طلبت الكلام. رثيتهم وقلت: أنا لست معزياً. أنا آت لتقبّل التعازي. وآسف لأنني لن أستطيع الجلوس في الصالون لتقبّل التعازي مع الأهالي وأنا منهم لأن شقيقتي توفيت وعليّ المشاركة في التشييع.

الإخوة السوريون تداولوا بعضهم مع بعض في هذه القضية. وفي الوقت نفسه أصدرت النيابة العامة التمييزية استنابات لكل الأجهزة الأمنية. وتمكنت مخابرات الجيش من إلقاء القبض على أحدهم وكان يأتي ويذهب إلى صور والحدود الإسرائيلية، وبعد التحقيق راحوا يستدعون شهوداً. وبين إفادة شاهد وآخر روى أحدهم كيف قتل داني (شمعون). قصة الكنيسة نقلتنا إلى قضية داني شمعون. وعندما تيقنت منها استدعيت القاضي الذي تسلّم التحقيق عندما قتل داني، الرئيس الأول (اليوم) القاضي منير حنين. وهو من دير القمر (بلدة داني شمعون) وأنا عيّنته قصداً لأعطي اطمئناناً لآل شمعون. وسألته: هل أنت مستعد لإكمال التحقيق، ما دام عندنا بصيص أمل؟ خذ عشر دقائق واجلس في المكتب وحيداً، افحص ضميرك وقرر. أنا لا أجبرك ويمكنني تعيين آخر مكانك. وبعد البحث معه قال لي: أنا أريد إكمال التحقيق. وكان مصراً على أن يكون التحقيق في قصر العدل لا عند جهاز الاستخبارات، ولم يكن يعطيهم كلمة واحدة. وعندما تيقّن جاء إليّ وقال لي: أصبحت أكيداً أن سمير جعجع ارتكبها من خلال الإفادات. فقلت له: باعتبارك مسؤولاً أصدر استنابة قضائية لأنني سأكلف أحد الأجهزة الأمنية بإحضاره.

في هذه الأثناء توفي باسل نجل الرئيس الأسد.. لأفاجأ بسمير جعجع ذاهباً إلى التعزية. واتهمت بأنني دبّرت الأمر مع الاستخبارات السورية، فيما لم أكن على علم لا من قريب ولا من بعيد. وسألني عناصر من جهاز الاستخبارات والجيش: هل أنت أرسلته للتعزية؟ قلت: لا علم عندي. السوريون واكبوه من نهر إبراهيم إلى القرداحة حيث قدم التعزية وصافح الأسد. ثم اصطحبه «أبو يعرب» وجلس معه في منزل جميل الأسد، وقال له: «كنا نتمنى الزيارة في مناسبة فرح لا في مناسبة كره. متى تريد أن تزورنا في الشام؟». فكان جوابه «جئت للتعزية. أنا سياستي شيء والتعزية واجب إنساني وهي شيء آخر».

في هذه الأثناء بدأ جعجع يرحّل مسؤوليه الأمنيين الذين كان قد كلّفهم باغتيالات وارتكابات وتفجيرات. واحد ذهب إلى أستراليا وآخر إلى كندا وغسان توما إلى الولايات المتحدة وإلى ما هنالك. وهو باق وعنده حيطة أمنية لها أولِ ولا آخر لها.

كُلّفت قوة من الجيش بإحضاره، أردت وضع حد لهذه القضية. كنت أنتظر في المكتب مترقباً كيف ستتم هذه المسألة، وإذ بمدير الاستخبارات ميشال الرحباني يتصل بي ويقول: «فخامة الرئيس، هل أكلف فرقة من الجيش بإحضار جعجع ثم ترسل سياراتك وتحضره إليك؟». فقلت له: أنا؟ قال: «نعم سياراتك».

سألت الحرس الجمهوري عن السيارات وأبلغوني أن السيدة منى (زوجة الرئيس) ذهبت للتعزية بجوزف أبي نادر، وهو كان رفيقي في المدرسة، في منزله في أدما. والطريق نفسها. فالقوة التي رابطت على مفرق طريق سمير جعجع رأت السيارات فقالوا إن الرئيس

أرسل يحضره. قلت للرحباني: طوّقوا السيارتين وإذا لم يستسلم من في داخلهما للجيش أطلقوا النار. الضابط الذي كان يرافق منى، من آل الأسير من صيدا، ترجّل من السيارة ونظر فوجد زميله وسأله: «لماذا تشهرون علينا الأسلحة؟ هذه السيدة منى كانت تعزّي وهي عائدة إلى القصر». وحين وصلت كانت تصرخ وتقول لي: «بدّك تقتلني». واتصلتْ بإميل لحود وقالت له: «يا جنرال أتعمل بي هذا؟». فقال لها: «لماذا تسألينني إسألي زوجك فهو من طلب إرسال القوة».

ونحو التاسعة والنصف ليلاً انطلقوا من هناك (غدراس) ووصلوا في العاشرة. وهنا قامت القيامة. لماذا سجن عند الاستخبارات؟ لماذا في وزارة الدفاع لا في مكان آخر؟ إذا أريد له أن يبقى حياً فليبق في وزارة الدفاع. أما إذا أريد له أن يتعرض للموت، وقد تتهم الدولة بقتله، فليسجن في رومية مع المساجين والله عليم بما يحصل.

■ **ألم يحصل أي تدخل خارجي للحيلولة دون اعتقاله؟**

ــ أبداً. هنا في الداخل جرى كلام كثير من المسيحيين اللبنانيين.

وكانت زوجة جعجع قد جاءت إلى القصر باكية فأذنت لها بالدخول، قالت: «ما طلبته من قبل أنا مستعدة لتنفيذه فآخذه وأرحل». قلت لها: «سبق السيف العذل. وأصبحت القصة لدى القضاء وأنا لا يمكنني التدخل معه».

■ **ألم تجر أي محاولة لإصدار عفو عنه؟**

ــ لم يطلب أحد. وفي المدة التي كنت فيها، صدر في حقه أول

حكم وكان لا يزال يُحاكم في دعاوى ولم أكن على استعداد لأن أوقّع له عفواً.

* * *

يواصل الرئيس اللبناني السابق الياس الهراوي حديثه عن العلاقات مع سورية ورئيسها حافظ الأسد مسترجعاً محطات قديمة وحديثة في العلاقات الثنائية وفي الشأن اللبناني الداخلي. هنا نص الحوار:

* * *

■ متى كان أول لقاء لك مع الرئيس الأسد، وفي أي مناسبة؟

ــ أول لقاء كان في العام ١٩٧٥، في عداد وفد أثناء تهيئة الأجواء لانتخاب رئيس للجمهورية خلفاً للرئيس سليمان فرنجية. وكان الإخوة السوريون يدعمون وصول الرئيس الياس سركيس، ولم يكن هناك إمكان للقاء اللبنانيين خلال الأحداث، فأصبح معظمهم يذهبون إلى سورية. أنا من جملة الناس الذين ذهبوا، ذهبنا ككتلة نواب بقاعيين لا كتجمع نواب موارنة. ودار حديث أولاً مع نائب الرئيس عبدالحليم خدام الذي كان وزيراً للخارجية. وخلال المناقشة فهمنا أن دمشق تفضل الياس سركيس للرئاسة، ثم قابلنا الرئيس الأسد، وتطرق الحديث إلى المجازر في لبنان واحتمال المساعدة السورية لوقفها. وفيما عاد النواب بالطائرة إلى بيروت، طلبت أنا العودة براً إلى زحلة، لأن المستشفى الوحيد فيها (مستشفى تل شيحا) كان قد فقد الكثير من تجهيزاته ولم يعد فيه أمصال وقطن

وشاش، بسبب الأحداث وانقطاع الطرق. وكان زحليون في مركز البطريركية الكاثوليكية في الشام قد جهزوا أدوية ويسعون إلى إيصالها إلى زحلة. وكان وصولها إلى الحدود اللبنانية سهلاً، أما وصولها إلى زحلة فكان صعباً. يومها طلبت من الرئيس الأسد المساعدة في تمريرها. فقال: «من كل بد، لكن نم الليلة في دمشق وغداً تذهب». وأذكر تماماً أنه طلب مني أن أمضي ليلتي في النادي العسكري لا في فندق، ربما حرصاً على حياتي أو نظراً إلى كثرة اللبنانيين في دمشق، إذ بلغ عددهم حينذاك نحو ٦٠٠ ألف.

طلبت من الإخوة السوريين سيارتين لنقل الأدوية إلى زحلة. وهذا ما حصل. وعلمت بعد أشهر وخلال زيارة أخرى لدمشق، أن الشباب الذين رافقوني إلى زحلة، أخبروا عن الوضع المأسوي الذي كانت تعانيه.

ذلك كان أول لقاء. وفي ما بعد حين توليت مركزاً وزارياً في عهد الرئيس سركيس أوكل إلي مرات عدة زيارة الشام، وكان، قبل أن أصبح وزيراً، قد طلب مني زيارتها في مهمة لشرح قضايا بقاعية. أما على الصعيد السياسي فكان الرئيس سركيس يرسل وزير الخارجية آنذاك فؤاد بطرس.

وفي ما بعد حين كنت أذهب لزيارة الرئيس الأسد، كانت توضع مروحية في تصرفي هنا، وعندما أصل إلى مطار المزة أجد مسؤولين من وزارة الخارجية والقصر الجمهوري في انتظاري ليصطحبوني إلى فندق أرتاح فيه قليلاً، حتى حلول الموعد فأذهب للقائه. وفي أحد اللقاءات لم يكن في مكتبه فاستقبلني في منزله ساعتين ونصف ساعة، كان ذلك في العام ١٩٨١، أي في السنة التي حصلت فيها

أحداث زحلة التي انتهت بترتيبات خروج «القوات اللبنانية» وضمان سلامة المدينة.

■ هل كان ذلك بتكليف من الرئيس سركيس؟

ـ كنت أشكو لدى الرئيس سركيس من الوضع القائم في زحلة، فقال لي: «عليك أن ترتبها فوق وليس عندي». لذلك سهّل لي المهمة للوصول لأن بحثاً جدياً دار في مجلس الوزراء، وكنا ثلاثة وزراء من زحلة، وكنت أقول في نفسي: هل تعطي استقالتي نتيجة؟ وكلّفت يومها. وقيل لماذا تناقش الأمر في مجلس الوزراء الذي لا يمكنه أن يفعل شيئاً. واتفقنا في المجلس على أن أذهب إلى الشام.

ذهبت إلى الشام بالمروحية وجلست مع الرئيس الأسد ساعتين ونصف ساعة وعدت ومجلس الوزراء كان لا يزال مجتمعاً في القصر الجمهوري لأن التنقل كان صعباً من الناحية الأمنية، ولم يكن في مقدور رئيس الحكومة أن يذهب إلى بيروت الغربية من القصر الجمهوري ويعود اليه مساء، فبقي الجميع منتظرين في القصر. وعدت بالحل، لكن المؤسف أن الخطة التي عرضتها على قائد «القوات اللبنانية» بشير الجميل ـ وحينها تعرفت إلى إيلي حبيقة ـ استغرق تنفيذها ٩٣ يوماً وقاسينا الأمرين، فيما طرحنا الحل بعد سبعة أيام من اندلاع الأزمة. وكنت قد طرحت دخول عناصر الجيش الموجودين في أبلح ليؤمنوا الحماية والطمأنينة للمدينة، ولم يكن هناك قبول باستخدام الجيش، بل تفضيل لدخول قوى الأمن الداخلي. ونقل عناصر «القوات اللبنانية» بحافلات قوى الأمن الداخلي إلى بيروت، بعدما كلفت المعارك الكثير من الدم.

■ هل كانت المفاوضات صعبة مع بشير الجميل؟

ــ نعم صعبة، وفي النهاية قلت له، مضطراً، جغرافياً ما هي حصتك في زحلة؟ وأكثر من ذلك وصلت معه في الحديث إلى حد القول: لو كانت هناك طريق تصل جبل لبنان بزحلة لترك أهلها ورحلوا، ولما بقي مسيحي واحد في البقاع. كان دخول «القوات» زحلة خطأً كبيراً.

■ ماذا كان يريد من زحلة؟

ــ لا أعرف. ربما ليصبح أقرب للقتال مع السوريين.

■ هل كانت علاقتك مع بشير عادية؟

ــ عندما تعرفت إليه، كانت عادية، وبعدما انتهت قضية زحلة، أذكر أن الطريقة لم ترقه وهدد. وقال الياس الهراوي «بلفني» ولا تزال هناك قوات سورية قرب زحلة. لكنه بعدما شاهدني على التلفزيون في لقاء مباشر، عشية وصول الشباب إلى بيروت، غيّر رأيه، وتناول الغداء إلى مائدتي بعدما فتحت الطريق.

خسرت زحلة كثيراً في الأحداث. فهي كانت المستشفى والمدرسة والتجارة لكل أهل البقاع، واليوم كل المحال والأبنية والشركات باتت تمتد من شتورة إلى المصنع، لأن زحلة أقفلت. وعلى طريق بعلبك الأمر نفسه.

■ هل تعاطى الموفد الأميركي فيليب حبيب بهذه المفاوضات؟

ــ لا. ولا بأي شكل. التقيته مرة مصادفة في القصر الجمهوري ولم تكن لي علاقة معه.

■ **إذاً قصة زحلة حلها الرئيس الأسد؟**

ـ حلها الرئيس الأسد. والحل أحضرته معي بعد اندلاع الأحداث بسبعة أيام أو ستة. لكن الإخوة في «القوات اللبنانية» لم يرضوا. وبتكليف من مجلس الوزراء، ذهبت إلى الأسد فقال: «ماذا جاء يفعل هؤلاء الشباب من بيروت في زحلة؟ هل اعتدى أحد على زحلة من اللبنانيين؟ في أول اعتداء قتلوا لنا سبعة من الجنود والضباط، فنحن لم ندخل زحلة، ولم ندخل لبنان، لنقتص من الشعب اللبناني، بل جئنا لنوقف مجازر. والخطأ أن فريقا أعتقد أننا دخلنا جيشاً له، وأن فريقاً آخر اعتبر أننا أعداء له. ضُربنا في صيدا وتحملنا الضربة هناك، لأننا لم نذهب لنحارب بل لنجمع البلد. ثم ضُربنا في العام ١٩٧٨ مرة ثانية في المنطقة الشرقية قرب ثكنات الجيش. ونشكر ربنا أننا لم نؤخذ يوماً بضغينة أو بحقد. كان في إمكاننا أن نفعل كل شيء».

■ **كيف كانت شخصية الرئيس سركيس، الذي كنت وزيراً في عهده؟ وكيف كانت علاقتك به؟**

ـ في الأصل، لم تكن بيني وبين الرئيس سركيس مودة ومحبة، لأن علاقتي مع الشهابية لم تكن جيدة قط.

■ **لماذا عينت وزيراً؟**

ـ يذكر الرئيس سركيس أنني ساهمت في توفير النصاب النيابي لانتخابه، إذ اصطحبت فريقاً من النواب إلى قصر منصور، وعانينا الأمرين حتى وصلنا إلى الجلسة. كان هناك قصف وكان في رفقتي زميلي نديم سالم. تعذبنا كثيراً لنصل إلى قرب المجلس ولم نستطع دخوله. وحين دخلنا كان النصاب يحتاج إلى نائبين أو ثلاثة.

وكانت خطوط الهاتف قد قطعت عن المجلس وطلبوا مني أن اتصل بجوزف سكاف من المحكمة العسكرية. ورحت أتلطى قرب الحائط حتى وصلت إلى المحكمة. كان هناك ضابط من آل كرم من البقاع، فأمن لي اتصالاً بجوزف سكاف وأبلغته أن قوة سترسل إليه لمواكبته، وكان عنده ميشال معلولي وناظم القادري. جاؤوا بعد انتظار طويل وكان الطقس حاراً في أيار (مايو). وكان الاتفاق أن يجرى الانتخاب في آذار (مارس) لكن الأمر امتد حتى أمنوا نصاباً. لم يفز في الدورة الأولى، ووجدتْ خمس أوراق بيض. وفي الدورة الثانية فاز ووجد في الصندوق ثلاث أوراق بيض.

■ **شاركت في انتخاب بشير الجميل؟**

ــ أكيد.

■ **لماذا؟**

ــ كنا مقتنعين بأننا نريد رئيساً للجمهورية. الرئيس سركيس لم يرض في أي شكل أن يمدد ثانية واحدة. وعرفت، لاحقاً، أن حاله الصحية هي التي منعته على رغم أن قوى دولية طلبت منه التمديد سنتين. جاء وزير الخارجية الفرنسي كلود شيسون وطلب منه ذلك، لا فقط باسم فرنسا، بل باسم السوق الأوروبية المشتركة والأميركيين، ولم يرض. ونظراً إلى العلاقة بيني وبينه، نصحني سركيس بانتخاب بشير.

■ **هو نصحك بذلك؟**

ــ نعم.

■ ألم تخافوا من تأييد بشير الجميل في تلك المرحلة؟

ــ بشير حين تحتك به، تدرك أنه لم يكن كما كان يعتقد بعضهم، أي أنه سيكون عميلاً للإسرائيليين ويبيعهم الدولة. والدليل انه اختلف مع رئيس حكومة إسرائيل مناحيم بيغن في أول لقاء. ولا أعرف هل ساهم هذا الخلاف في اغتياله. وقد تردد بعد اغتياله أنه كان على موعد مع مسؤول سوري رفيع المستوى في ٢٧ أيلول (سبتمبر).

■ انتخبت بشير وانتخبت أمين؟

ــ هذا واجب، سواء وضعت ورقة بيضاء أم سوداء، هذا يخص كل شخص. لكن أن تجلس في منزلك وأنت نائب، فهذا ليس جائزاً.

■ العام ١٩٨٢ انتخب أمين، هل بقيت علاقاتك مع سورية قائمة؟ وهل استمرت لقاءاتك بالرئيس الأسد؟

ــ أصبحت العلاقة مباشرة في سورية مع نائب الرئيس السيد عبدالحليم خدام، وفي مرات قليلة مع العماد حكمت الشهابي لأنه كان رئيساً للأركان. أما الرئيس الأسد فلم ألتقه خلال عهد أمين الجميل، إلا حين وقع الاتفاق الثلاثي.

■ شاركت في حفل توقيع هذا الاتفاق في العام ١٩٨٥؟

ــ شاركت فيه ولم أكن من معدّيه. ذهبت أنا والوزير فؤاد بطرس ومجموعة من اللبنانيين لأننا كنا قد ذقنا الأمرين، وقلنا لعل هذا الاتفاق يوقف الحرب في لبنان وبعد ذلك لكل حادث حديث.

وكان اللقاء بين قادة الميليشيات، ونحن ذهبنا كسياسيين مؤيدين. تم التوقيع بين الأفرقاء، وكان نبيه بري رئيس «حركة أمل» ووليد جنبلاط رئيس الحزب التقدمي الاشتراكي وإيلي حبيقة عن «القوات اللبنانية». والدولة اللبنانية كدولة لم تدخل لا من قريب ولا من بعيد. إنما قيل إن الرئيس الجميل كان في زيارة لجدة، وأجريت مكالمات هاتفية بينه وبين المسؤولين في سورية كي لا يقال إنهم يقومون بشيء من وراء ظهره. وكان موافقاً. وقال: أمنيتي أن يتوافق اللبنانيون بعضهم مع بعض. وكم تكون فرحتي كبيرة إذا انتهت الحرب. هكذا قيل لنا أثناء الاجتماع. والمؤكد أن الوزير فؤاد بطرس وسواه مطلعون أكثر مني لأنهم كانوا يتحدثون معه.

بعدما تم التوقيع تقرر عقد لقاء مع الرئيس الأسد، فبقينا في الشام، لكنه استقبل كل فريق على حدة. استقبل فريق الشرقية ثم استقبل الباقين وليد جنبلاط ونبيه بري، ومعهم جوزف سكاف. وتعجبت لذلك، ما هي الأسباب؟ لا أعرف. أنا دخلت مع فؤاد بطرس وميشال المر وميشال إده وإيلي حبيقة وسواهم. وحصل أمر لا أنساه إلى اليوم، ولم أكن أعلم به سابقاً. قال الرئيس الأسد إنه يعرف من الحضور الكرام الأساتذة فؤاد بطرس والياس (الهراوي) وكريم (بقرادوني) والبقية لا يعرفهم. فتوليت أنا تعريفه بهم: هذا فلان وهذا فلان وهو يحدق بهم. وبدأ حديثه مع كريم بالقول: «وصلتني هديتك، كتابك الذي أنجزته أخيراً «السلام المفقود» وأريد أن أشكر لك ما كتبته عني وعن شخصيتي كثيراً. لكن، يا كريم أليس الكتاب ناقصاً؟». قال له: «أين النقص يا سيادة الرئيس؟». قال: «لماذا لم تكتب أن الشيخ بيار (الجميل) عرض علينا أن نقيم وحدة لبنانية ـ سورية، وأنا رفضت، وقلت له إن الشعب يصنع الوحدة، لا أنا أو أنت؟». فقال له: «يا سيادة الرئيس هذا ملكك لا ملكي».

وقال له أيضاً: «لماذا لم تكتب أن الرئيس كميل شمعون طلب إنشاء نوع من الكونفيديرالية بين الأردن وسورية ولبنان؟»، وكان الجواب ما قلته للشيخ بيار نفسه. قلت للرئيس شمعون إن الأمور لم تستوِ بعد لنصل إلى حلول كهذه. نعم، يا إخوان، الدولة السورية وحزب البعث من شعاراتهما الوحدة والاشتراكية، لكن أريد أن أطمئنكم وأقول لكم إذا لم يرد الشعب الوحدة فلا أحد يستطيع أن ينجزها. والدليل ما حصل بيننا وبين الإخوة المصريين، قد يأتي وقت نستطيع أن ننجز فيه اتحاداً مع موريتانيا قبل أن نتمكن من إنجاز اتحاد بين السوريين واللبنانيين، على رغم أنهم شعب واحد في دولتين، فهذا الاتحاد يحتاج إلى موافقة الشعب عليه لا القيادات السياسية، هل فهمت يا كريم؟»، فأجابه: «نعم». ثم قال الرئيس الأسد: «ما دمت تقول إن هذا ملكي، أليس ما ذكرته في كتابك، في شؤون أخرى، ملك أصحابه أيضاً؟». فقال له: «هذا ما كتبت». فنظر إليه وهزّ برأسه.

وأنا أعود بالذاكرة إلى يوم قصدني كريم (بقرادوني) في المنزل وقال لي: ذهبت إلى الرئيس سركيس وحاولت أن أعرف منه كيف أنقذت زحلة وكيف تم الاتفاق بينك وبينه. فقال له إنه لم يتعاط بالأمر وليذهب ويسأل الياس الهراوي، فسألني وأجبته: يا عزيزي حين أريد أن أخبرك كيف تمت أكتب أنا. لذلك لن أعطيك شيئاً. وبالفعل إذا راجعت كتاب كريم تجد أنه كتب عن أحداث زحلة سطرين لأنه لم يكن على اطلاع على شيء وأنا لا أستطيع أن أطلع كل الناس على الوسائل التي استعملتها، والطريقة التي استطعت بها إخراج الشباب من زحلة. أخرجتهم وكنت مطمئناً إلى أنهم لن يعتقلوا وسيخرجون بسلاحهم الفردي، وخرجوا في باصات قوى الأمن الداخلي.

■ يحكى الكثير عن شخصية الرئيس الأسد وأسلوبه. ماذا تقول في ضوء تجربتك الطويلة معه، خصوصاً أنها بدأت بين رئيس قوي لدولة قوية ورئيس منتخب لدولة...؟

ــ (مقاطعاً) دويلة. أولاً نادراً ما تجد شخصية كشخصية الرئيس الأسد، في هذا العمق والفهم. إنه مطلع على كل المواضيع، وهو أكيد من الذين يقرأون كثيراً ويقيمون تقاطعاً بين كل ما يتلقونه. في سورية أجهزة كثيرة وكلها تكتب. ولم أره يوماً مأخوذاً بخبر تلقاه وليس متيقناً منه مئة في المئة، إذ يطلب إعادة درسه.

ولست أنا، بل كل الذين تعاطوا معه، أكانوا عرباً أم أجانب، يرون كم لديه من عمق في هذه القضايا. إذا سألته سؤالاً يأخذك إلى خلفيته السياسية لنصف ساعة أو ساعة تقريباً وعليك أن تفهم أثناء حديثه ما هي العلاقة بالسؤال.

في السنة الثانية من عهدي أصبح لبنان دولة وصار هناك نوع من الود المتبادل بيننا ولم تعد العملية مجرد لقاء بين رئيس جمهورية لبنان ورئيس جمهورية سورية. أصبح هناك تقريباً شخصان متحابان، لأن الطريقة التي تعاملت بها معه وطدت الثقة بيننا، وهذا ما جعلني أحكي معه كل شيء. وما وطد هذه الثقة بيننا، أنه لم يقرأ مرة في الصحف عما دار بيني وبينه. ما من مرة عدت (إلى بيروت) وتبجحت وأخبرت حتى أقرب المقربين مني شيئاً. وهذا ما جعله يطرح معي كل القضايا، وحيدين خلال ساعات وساعات، يتخللها غداء وهذا ما أوصلنا إلى معاهدة الأخوة التي كانوا متخوفين منها.

■ **من؟**

ـ المتخوفون منها كثر من اللبنانيين. والدليل أن جورج سعادة لم يذهب إلى دمشق لحضور توقيعها وكان وزيراً، وكذلك روجيه ديب. لم يوافق سمير جعجع على ذهابهما، على رغم محاولتي إقناعهما بالتوجه. وأذكر أنني حين وصلت إلى شتورة، انتظرت الوزراء ليصلوا. كنت أشعر بأن بعضهم لا يريد الذهاب، وربما عادوا واستدركوا الأمر، لا أريد أن أسميهم كي لا يقولوا إنني أجرّح بهم. كنت أسمع مذ كنت صغيراً أن الدولة السورية لم تقر مرة بوجود لبنان إلا على مضض. وعندما أُسست الجامعة العربية لم يكن هناك سوى سبع دول مستقلة تستطيع أن تؤلفها. الوفد السوري آنذاك قبل عضوية لبنان على مضض، لا بل إن رئيس الحكومة السورية سعدالله الجابري، قال لمصطفى النحاس باشا وللملك سعود «سنرضى على سبيل التجربة». انظر إلى أين وصلت التجربة؟ لم نحس مرة أننا يمكننا أن نأخذ ونعطي معهم على أننا دولة وهم دولة على رغم تبادل الزيارات.

وكان ثمة لبنانيون يطمحون إلى انتخاب رئيس للجمهورية من دون أخذ رأي الغير، لكن كلنا يعرف كم تأثر لبنان بالوساطات الخارجية. واحد فقط تولى سدة الرئاسة من دون وساطة هو سليمان فرنجية، بفارق صوت واحد (عام ١٩٧٠ عن الياس سركيس)، لأنه لم تكن هناك إيعازات، لكنني أذكر تماماً أن حميد فرنجية نام رئيساً للجمهورية واستيقظ في اليوم التالي على «يعيش فتى العروبة الأغر» (كميل شمعون)، ولا أود العودة كثيراً إلى هذا التاريخ، لكن لبنان دولة صغيرة وكان بعض زعمائها بعد الاستقلال يطلب المساندة أو الدعم. لذلك رأينا أن معاهدة الأخوة بين الجمهوريتين اللبنانية

والسورية هي أمر مهم إذا ثبتنا خطياً العلاقات بين البلدين، فلا يقول أحد اننا نريد أن نزيل لبنان حتى يصبح واحداً مع سورية، كما لم يعد من مبرر للعلاقات المتوترة معها. هذا الإنجاز حصل خلال عهدي وأنا أفتخر به.

كان ذلك العام ١٩٩١، أثناء حكومة عمر كرامي. وأذكر بعد خطابي الذي ألقيته، أنني سمعت من يقول «إن الرئيس الأسد لو لم يكن يحبك لما تحمل هذا الخطاب منك». فقد قلت يومها إن لبنان لا يستطيع أحد أن يبتلعه أو يأكله.

■ **ألم يكن يزعجك كرئيس للجمهورية أن سورية، وعلى مستوى ديلوماسي رفيع، تستقبل مسؤولين لبنانيين آخرين، وأن اللعبة السياسية في لبنان تفترض دائماً الاحتكام إليها؟ هل هذه أصبحت هذه من الثوابت، أي أن الحكومة لا تؤلف إلا بدور سوري ما؟**

ـ أشكر لك هذا السؤال الذي أجبت عنه في مقابلة تلفزيونية مع طلاب جامعيين وصحافيين: سورية لم تطلب يوماً أن يذهب كل الناس إليها. والمؤسف أن (سياسيين) لبنانيين كانوا يملأون الدنيا خطباً عن الاستقلال والحرية فيما كانت سياراتهم «طالعة نازلة» إلى دمشق، وبينهم من كان إذا أراد تعيين حاجب يطلب من السوريين التوسط. وكنت اسألهم أن يخففوا زياراتهم هذه لأن (المسؤولين) السوريين بدأوا يتضايقون.

■ **هذه تهمة موجهة إليك، إذ كنت تشكو الرئيس الحريري لدى السوريين وكان السيد خدام يتدخل دائماً بينكما.**

ــ لا. مرة واحدة تدخل لا أكثر ولا أقل، لأن رفيق الحريري قرأ خبراً في جريدة «الأنوار» لم يكن من صنعي ولا من تسريبي. نشرته «الأنوار». من اخترعه؟ لا أعرف. اعتكف ثم جاء واعتذر وقال لي «معك حق لا علاقة لك بالأمر». أنا لم أشكُ أي رئيس حكومة لدى دمشق.

■ **حكي كثيراً في موضوع الترويكا. كانت هناك خلافات دائمة بين أعضائها؟**

ــ كلمة ترويكا أنا لا أرضى بها لا من قريب ولا من بعيد. وأقول لك بصريح العبارة من اخترعها.

■ **من؟**

ــ عندما سافرنا معاً إلى الأمم المتحدة (الرئيس الهراوي ورئيسا المجلس النيابي حسين الحسيني ورئيس الحكومة عمر كرامي)، لم يكن الهدف أن يكون أحدنا ناطوراً على الآخر، بل لأن العالم كان لم يزل غير مقتنع بأن التفاهم قائم في لبنان. ذهب رئيس المجلس وليس له أي دور. يذهب رئيس الجمهورية وقد يصطحب معه وزير الخارجية أو رئيس الحكومة إذا أحب سياسياً. لكن حين ذهبنا جميعاً كنا نريد أن نقول للناس: تفضلوا واشهدوا أن في البلد وحدة. جريدة «السفير» كتبت: سافرت الترويكا. هذه عبارة ربما كانت تتردد في الاتحاد السوفياتي في الماضي. وأنا أتعجب، هل حصل مرة، ولم يكن رئيس المجلس صبري حمادة أو كامل الأسعد يأتي إلى رئيس الجمهورية ويتدخل في قضايا له مصلحة فيها؟ مع أننا لا نزال نعيش في جو طائفي. فلا نجرب الهرب من الحقيقة. هذا يمثل الشيعة والثاني يمثل السنّة والثالث يمثل الأرثوذكس والرابع

يمثل الكاثوليك. لا مهرب. جوزف سكاف كان يدخل الوزارة، ليس لأنه «حافظ الممحي» بل ثمة طائفة عليك أن تمثلها، وهو الوجه الأوفر حظاً فيها بعد هنري فرعون.

«ترويكا»؟ انتقلت الكلمة لاحقاً إلى الناس. اجتمعت الترويكا. راحت الترويكا. في الأيام الأولى لأول حكومة في عهدي برئاسة الرئيس الحص، قال لي: فخامة الرئيس إننا نجتمع كثيراً حين يأتي حسين الحسيني. فسألته: هل أنا من يجبرك على المجيء؟ أجاب: لا، قلت له: الحسيني يتصل بك ويقول إنه سيأتي لزيارتي، فلا تأت أنت معه، دعه يأتي، كما هي العادة، كل أربعاء. وغداً أنا أحدد له يوماً، لأن الثلثاء عادة تكون لديه جلسة. الأربعاء جلسة لمجلس الوزراء يستفيد منها ويأتي. لكن بعد مدة حضرا معاً. سألته: ماذا في الأمر؟ أجاب: نريد التحدث في قضية.

في طبيعة الحال، الدستور الذي أقر في الطائف ألغى رئيس الجمهورية الديكتاتور الذي كان في الماضي، والذي كان يسمي رئيس الوزراء الذي يريد، من دون أن يأخذ في الحساب ما يطلبه النواب. أما اليوم فصار الرئيس ملزماً بإجراء استشارات.

■ **استشارات ملزمة؟**

ــ ثم إن ما كان يجري في الماضي، لم يكن تطبيقاً للدستور الذي يقول: إن رئيس الجمهورية يؤلف الوزارة ويسمي من بين الوزراء رئيساً ويقيلهم ساعة يشاء. صار هناك عرف في البلد. حتى بعض المراسيم التي كان يوقعها رئيس الحكومة أصبحت عرفاً.

حين قرر الرئيس فرنجية إقالة الوزير هنري إده لم يكن رئيس الحكومة

صائب سلام مسروراً، لكنه خاف، إذا جرت هذه العادة وأصبحت عرفاً، أن يفوته القطار فيقولون له أنت المسبب. قال: أنا أمضي. ومضى.

■ **أي حكومة تطلّب تأليفها وقتاً؟ أهي حكومة الحريري الثالثة التي شهدت أخذاً ورداً؟**

ـ هذه بعد انتخابات العام ١٩٩٦. نعم، أصبح الرجل رئيس كتلة كبيرة في بيروت ومعه كل الناس. مرّ في ذهنه أن يحاول تأليف حكومة يتمتع فيها بغالبية ساحقة، ولا يترك لنا إلا وزيراً أو اثنين. هنا صارت عملية شد وخلافات. فض الخلاف الجيران ولم يكن ممنوناً كثيراً. وأقدر أنه لو رضي بما كنت أتفق معه عليه لما تدخلت الجماعة.

■ **هو يقول أحياناً إن لديه شعوراً بأن الحكومة الثالثة ما كان يجب أن يؤلفها؟**

ـ لماذا ألّفها؟ من أجبره؟

■ **لأنه لا يريد أن يحدث هزة في البلد؟**

ـ ربما كنت أنا يومها لا أريد إحداث هزة ورضيت بهذه الحكومة. لأنني فكرت طويلاً إذا حدثت خضة، فماذا سينفع لبنان؟ كنت أتجادل معه، ومع رئيس المجلس ولم أجرب أن أفجرها حقداً في البلد مثلما يحدث اليوم. نعيش على مقال وننام على مقال ونستيقظ على مقال. هل عاش الناس؟ هل أكلوا؟ عليك أن تنظر إلى الرأي العام وتبقيه مؤمناً.

■ كيف كانت علاقتك بالرئيس بري إجمالاً؟

ـ أولاً، كان وزيراً في ثلاث حكومات في عهدي، ثم انتخب رئيس مجلس. نبيه صريح في مجلس الوزراء إلى حد الوقاحة، لكنها وقاحة مقبولة. وعندما صار رئيساً للمجلس، كان يحترم ما أرسله إليه. أتفاهم معه وأقول له: هذا لا يصلح. رددت له عدداً من القوانين ورضي، ولم يعد يعرض أياً منها. ومرة «حركش» أناساً يريدون أن يعيدوا قانوناً، قال لهم: «أنا لا أعيد عرضه، قد يكون درسه أكثر مني».

■ تعايشت مدة طويلة مع الصقور، مثلاً كيف كانت العلاقة مع وليد جنبلاط؟

ـ كنت أنا الصقر الأكبر. أولاً استعملت الحكمة لا ضيق الصدر. لذلك لم تجر مصالحة في الجبل لإعادة المسيحيين إليه، من دون أن أكون أنا رأس الهرم. فإما أن تعدّ نفسك جلبوطاً ويأكلوا حقك جميعاً، وإما أن تعدّ نفسك صقراً، بل أكبر الصقور. ولِمَ لا؟

■ كانت مرحلة لإدارة الصقور؟

ـ أكيد. لأن كل رؤساء الأحزاب وقادة الميليشيات أصبحوا داخل الحكومة. وإذا كنت «قبضاي» تعال.

■ ألم تكن تتضايق حين يشن وزير ما حملة عليك؟

ـ عليّ أنا؟ كنت أنبه في الداخل أن هذه الجلسات سرية. لكنّ وزراء كثراً كانوا يقدمون تقارير، إما إلى الشعبة الثانية، وإما إلى صحيفة ما. وذوو العنفوان منهم كانوا يعترفون بأنهم هم من سربوا... والى ما هنالك.

■ حكي أن ستة وزراء يكتبون تقارير لأجهزة مختلفة؟

ــ ربما ستة، وربما ثمانية. لا أعرف، والبعض في مجالسهم الخاصة يروون كم كانوا «عناتر» في الجلسة، ولم يكونوا ينطقون بكلمة.

■ هل وقعت بينك وبين وليد جنبلاط خلافات قوية؟

ــ لا.

■ مع إيلي حبيقة؟

ــ أبداً. ولكن حين كنت أحس بخلاف سيقع مع أي منهم، كنت أرسل في طلبه وأتفاهم معه. ولكن ليس أمام مجلس الوزراء.

■ هل حصلت صدامات بين الوزراء، مثلاً إيلي حبيقة وباسم السبع؟

ــ ليس مع باسم السبع، كان يقيم القيامة على وزير الشؤون المالية فؤاد السنيورة.

■ العلاقة مع الرئيس الأسد مستمرة حتى الساعة؟

ــ (أطلق صافرة طويلة دليل تأكيد). عندما يكون لك صديق فعليك أن تحافظ على صداقته. بعدما تركت الرئاسة زرته ثلاث مرات. ودائماً هناك اتصالات هاتفية بيننا. لم تتغير زياراتي لدمشق، وحين أقصدها أحس كأنني لم أزل في مركز الرئاسة ــ لا سمح الله لا أريد أن آخذ دور أحد ــ من حيث الدعوة إلى الغداء في مشاركة وزراء ومسؤولين، ومناقشة كثير من الأمور.

■ **يبدو أن هذه العلاقة تستمر مع الدكتور بشار الأسد، ما هو انطباعك؟**

ــ ملامح كثيرة في شخصيته تذكر بشخصية أبيه. القدرة الجيدة على الاستماع والمقاربة العقلانية الهادئة للمشكلات. خبرته تغتني بسرعة. وقد استوقفني طويلاً الحديث الذي أدلى به إلى «الوسط» وطريقة تناوله للقضايا الإقليمية والدولية. أعتقد بأنه ناضج كفاية ويُعد كثيراً للمستقبل.

* * *

ولد الرئيس الهراوي في ١٩٢٦ في حوش الامراء في زحلة في البقاع اللبناني. درس في مدينته ثم في مدرسة الحكمة في بيروت ثم انتسب الى الجامعة اليسوعية لدراسة الحقوق لكنه أنهى دراسته في فرع التجارة. انتماؤه الى عائلة سياسية جعل السياسة نوعاً من الإدمان لديه. وخارجها يحب القراءة والطرب الأصيل. لديه ثلاثة ابناء وبنتان: جورج وروي ورولان ورينا وزلفا، وعلاقته ممتازة بأحفاده الـ١١.

في الجزء الأخير من الحوار يستكمل الرئيس اللبناني السابق رحلة الذكريات ويتوقف عند محطات عربية ودولية.

* * *

■ **تركتم لمن جاء بعدكم «تركة ثقيلة» بفعل الديون التي تراكمت وأوضاع الإدارة والتلزيمات؟**

ــ كنا موعودين بأننا سنحصل على مبلغ بليوني دولار من الدول الغربية والدول العربية بعد اتفاق الطائف، لكنّ الوعد طار بعد

احتلال الكويت، لم يعد يقصدنا أحد. أصبحنا مضطرين إلى أن ندبّر أمورنا بأنفسنا. نستدين لنصلح أمورنا. وفي المناسبة عقد مؤتمر مدريد وحضرناه وشعرنا بأن باب السلام يقرع، تجاهلنا البعض ونسينا، لأن الإنسان مفطوم على النسيان. ماذا كان في لبنان أثناءها؟ هل كان فيه ماء أو كهرباء أو هاتف أو طرق؟ كانوا يريدون استكمال السلام. ولكن من قال إننا خدم لدى الإسرائيليين؟ لذلك عندما يتحدث بعض الوزراء اللبنانيين عن التركة الثقيلة ليتفضلوا ويقولوا لي مَنْ الذي ورث التركة؟ هم ام انا؟ عندما انتُخبت رئيساً، ماذا كان لديّ؟ ماذا كان لديّ؟ هل كان لديّ موازنة؟ أو ليرة في البنك المركزي؟ أما كان إدمون نعيم (حاكم البنك) يوزع الأموال على الشرقية بمقدار وعلى الغربية بمقدار، ويربّحنا جميلاً؟ وكان ينتظر كيف سينتخب رئيساً للجمهورية، ومن كان يعمل له في هذا الإطار توفاه الله.

أنا تسلّمت تركة «المزبلة» والرائحة الكريهة الفائحة من مريض اسمه لبنان. كان على آخر رمق. عدت وأوقفت لبنان على رجليه. هل تسلّمت جيشاً؟ الضباط الذين كانوا معي لو لم يكن معظمهم من البقاع وأعرفهم ويعرفونني، لما أمّنت على نفسي. أما تركة اليوم، فهي تركة ديون. «معليش». لكن أصبح هناك لبنان.

واليوم يفاجأ زائر بيروت بما صارت عليه، وثمة من يرى أننا اجترحنا أعجوبة. قد تكون حصلت صفقات وفساد واستهتار. وأنا أستطيع أن أترجم الفساد بثلاث كلمات: اين نحن من الفساد الذي ضرب دولاً أعرق منا وأكبر مثل إيطاليا مع الحزب الديموقراطي المسيحي، وفرنسا.

ثمة صفقات حصلت في العهود السابقة لعهدي. اشتروا طائرات (مروحيات) «بوما» من رومانيا صدّرت إلينا على أنها من فرنسا. في رومانيا سعر المروحية مليون ونصف مليون دولار، وفي فرنسا ستة ملايين دولار. أليست هذه صفقة؟ بسبب العمولة التي قبضت على صفقة السلاح مع فرنسا، هددنا بأننا سنذهب إلى «نادي باريس» ليعلن إفلاسنا. كان ذلك في عهد الرئيس أمين الجميل. هذا المشروع عرض في عهد الرئيس سركيس بستمئة مليون فرنك، وأحسّ في النهاية أن في الأمر عمولة، فأوقفه، وقال إنه لا يرضى بتاتاً به. وأتذكّر كلمة لفؤاد بطرس في مجلس الوزراء: أوقّع أنا على هذا الاتفاق بصفتي وزيراً للخارجية لكن لا أنفّذه فلينفّذه غيري. وكان خائفاً. فهو ناصع الكف.

■ **وُجّهت إلى عهدك اتهامات كثيرة تتعلق بالفساد، ومنها إلى قريبين منك. ما رأيك؟**

ــ اعمل معروفاً، يجب أن تقول من هم القريبون؟ وما هي أنواع الفساد؟ لأعرف كيف أجيبك.

■ **حُكي أن أولادك شركاء في قضايا تجارية.**

ــ مثلاً؟

■ **النفط وغيره.**

ــ النفط. هم شركاء في ماذا؟ هو ليس ملكاً لأحد، ومباح لكل الناس ليعملوا في حقله. أنا كنت أعمل في النفط بعدما تركت وزارة الأشغال العامة. كنت شريكاً في مكتب «غات أويل»، أفلس صاحبه فتوقف العمل. ابني الأصغر (رولان) يعمل مع طلال الزين

في مجال الغاز. يمثله هنا تمثيلاً على مصغّر، لأن الممثل الرئيسي هو الوزير السابق مصطفى درنيقة. هل هذا عيب؟ هل يُعدّ هذا من الصفقات؟ وإذا كان لدى احد ملف في أي من القضايا الأخرى المطروحة، فليكشف عنه.

■ أليس لديك قلق أن يتعرض القريبون منك للملاحقات؟

ــ مَنْ؟ أنا؟ ولا بأي شكل من الأشكال. ولا خامرتني هذه القصة قط، لأنني أكيد أنهم لم يعملوا خارج القانون.

■ في رأيك هل الكلام على استشراء الفساد كان طبيعياً أم مقصوداً؟

ــ كنت آمل من الذين يقولون باستشراء الفساد، خصوصاً أنهم يُعدّون فريقاً من الحكم وشركاء فيه، أن يأتوا إلى رئيس الجمهورية ويقولوا له عن ملف ما فيه فساد؟ السكوت عن الفساد مساهمة فيه. أنا زوّدت ملفاً من وزارة الخارجية عن ثلاثة سفراء أحبهم، لم أتقاعس وعرضت الأمر على مجلس الوزراء، وأحلنا ملفهم من وزارة المال إلى المدعي العام المالي، وعلى المجلس التأديبي، اما اليوم فما أن يوقف أحد في قضية حتى يصبح في يد النيابة العامة. لماذا إذاً المجلس التأديبي؟ ليلغوه من الدولة. وأتعجّب اليوم من أمر تقارير ديوان المحاسبة، لماذا لم تظهر عندما كنا نحن في الحكم؟ مَن منعها؟ هل أنا تعاطيت مع قضاة؟ أذكر تماماً أن الرئيس فيليب خيرالله قال في عيد الاستقلال: مشتاق اليك. أجبته: أنت مشتاق إليّ، وأنا لست مشتاقاً إليك. زعل، وبعد يومين زارني شخص من قبله يسألني لماذا فعلت به ذلك؟ أجبته: لم أفعل له شيئاً. هو فيليب

خيرالله رئيس مجلس القضاء الأعلى ورئيس المجلس العدلي يجب أن يكون مسروراً بالقضايا التي يحكم فيها. فإذا اجتمعت معه وصدر الحكم أبيض أو أسود، قد يقال إنني أنا السبب. فليحكم بما يمليه عليه ضميره، وأنا لا علاقة لي.

■ **وقّعت على أحكام بالإعدام في عهدك، ماذا كنت تشعر حين ينفّذ الحكم بشخص، علماً أن توقيعك هو التوقيع الأخير؟**

ــ أولاً مررنا في مرحلة خوف كبير. وكان خوفي أنا في الوقت نفسه على القضاة، إذ أصبحت الأحكام دون مستوى الجرائم، لذلك طرحت على مجلس النواب مشروع قانون من مجلس الوزراء، أصررت عليه، بإعادة مفعول ثلاث مواد في قانون الجزاء تسمح للقاضي أن يستنسب في الحكم فيحكم بالإعدام أو لا يحكم. وهذا أمر لا يمكننا أن ننكر أن ريمون إده وضعه حين كان عضواً في الحكومة الرباعية بعد حوادث العام ١٩٥٨. وجدت أن الجريمة استشرت في لبنان والسلاح بين أيدي الناس. حللنا الميليشيات. لكن لم نقض على المظاهر السلبية في المجتمع. كيف يمكنني أن أتحمل جريمة قتل طفلة افتعل بها أحدهم ودفنها في صيدا ثم ذهب مع ذويها للبحث عنها؟ وكيف أتحمل أن يُغتال شقيقان (من آل أنطونيوس) في بعبدا يملكان محلاً لبيع المجوهرات، على يد ثلاثة أشخاص نهبوا المحل أيضاً؟ وكيف أحتمل قتل ثلاثة دركيين أو أربعة؟ لم يصدّق الناس أنني سأوقع أحكام الإعدام. وقد تتعجب إذا أخبرتك عن أول إعدام وقّعته. لم أنم طول الليل. لكنني كنت دائماً، لأريح ضميري، أستدعي المحامي الذي رافع عن مجرم ملفه أمامي، وأسأله بصريح العبارة: أنت رافعت ضمن أي منطق؟ لنقرأ الملف معاً. آخذ وأعطي معه، ويتبين لي في النهاية أنه كمحام اضطر

إلى أن يرافع، لكنه ليس مقتنعاً. هذا ما كان يجعلني أتعجب. وكان كل القضاة يتعجبون لماذا استدعي المحامي، وكم من مرة عرفت أن ثمة محامين تسخّرهم نقابة المحامين للدفاع عن متهمين لا يملكون مالاً لدفع أتعاب وكلاء عنهم.

في عهدي، صدر ١٥ حكماً بالإعدام نُفّذ منها ١٤، والخامس عشر لم أنفّذه لأن القاضي الذي حكم رأى أن الجريمة المرتكبة لا تستوجب الإعدام في رأيه. وقدم مطالعة طويلة عريضة، قرأتها فوجدت نفسي أشاركه الاقتناع وأحترمه. ولم يعدم المحكوم ولم يصدر في حقه حكم مخفّف. وأنا لم أوقّع التخفيف ولا غيره.

في الوقت الحاضر أنا لا اقدر أن أمون على رئيس الجمهورية الذي انتخبه المجلس النيابي. إذا قرأت الصحف، تلاحظ أن الإجرام عاد واستشرى في شكل لا رادع له إلا المشنقة. تعرف مثلاً أن في بعلبك تستشري عادة الأخذ بالثأر وجرائم الشرف وغسل العار. لكن أحدهم عرف أن زوجته تخونه. فسأله البعض: كيف تسكت؟ أجابهم: صار هناك إعدام.

وجرّبت ضمن الإمكانات المتوافرة أن يتم الإعدام حيث ارتكبت الجريمة، وأذكر أن آخر شخصين أُعدما في طبرجا حيث ارتكبا جريمتهما.

■ **مرسوم التجنيس شهد أخذاً ورداً.**

ــ ولا يزال إلى اليوم.

■ هل كان صعباً عليك هذا المرسوم؟

ـ لم يكن صعباً. فثمة أناس كان لهم الحق في الحصول على الجنسية. فعرب وادي خالد كانوا يحملون جنسيات قيد الدرس منذ عشرات السنين، وهم لبنانيون، وكذلك أبناء القرى السبع الجنوبيون، لبنانيون أيضاً. وبينهم مثلاً شقيقان أحدهما يحمل الجنسية اللبنانية لأنه ترك هذه القرى (بعد نكبة فلسطين عام ١٩٤٨) والآخر عُدّ فلسطينياً.

إذا أراد البعض اعتبار أبناء القرى السبع فلسطينيين، فالعوض بسلامتك. أنا وقّعت المرسوم ولم أتردد. والآن يُسأل: ألم يتضمن أخطاء؟ أنا أُقدّر أنه كان فيه بعض الأخطاء. ولا تزال دعوى طعن في المرسوم مقامة أمام مجلس شورى الدولة. فإذا ردّه، ألله معه. لأن هناك دولة فيها قضاء، والقضاء يتمتع باستقلاله.

■ ثمة أناس يقولون إن المرسوم زاد في الخلل الديموغرافي؟

ـ نحن نطالب بإلغاء الطائفية في البلد، وهذا ما أُقرّ في الطائف. هؤلاء الذين يقولون اليوم بالديموغرافية كانوا يتفلسفون في الطائف. «بهورات» لكسب الشعبية من هنا أو من هناك. أعد مرسوم آخر ليصحح الأول، الغلبة فيه للمسيحيين، لم أوقعه لأنني لم أدرسه وخفت أن يكون فيه أمر ما. المرسوم الأول درسته بروية. ووجدت في النهاية أن القصة ستصبح مزايدات، وأن المجنّسين يستخدمون يوم الانتخابات للتصويت في مقابل أموال.

■ ما هو أصعب قرار اتخذته؟

ـ (مقاطعاً) لأقل لك لماذا لم أوقّع المرسوم الثاني. ثمة من كان يطالب بالجنسية صرّح مرة لدى خروجه من بكركي، مستنكراً التجنيس، ثم قصدني ليراجعني بعد مدة. فقلت له: إني أخذت في الاعتبار تصريحك بعد اجتماعك مع غبطة البطريرك. لذلك لم أوقّع المرسوم.

■ ما هو أصعب قرار اتخذته؟

ـ في العام ١٩٩٠: وضع حدّ لتمرّد ميشال عون لأستطيع أن احمي الجمهورية اللبنانية. القرار الثاني الصعب هو تعديل مواد في قانون الجزاء (لإعادة العمل بالإعدام) علماً أن وزراء لن أسمّيهم، سألوني لماذا يكون التعديل على يدي؟ فقلت لهم: هذا أمر يعنيني أنا ولا يعنيكم أنتم. بعد مدة نُفّذَ أول إعدام. فقلت لهم لو لم أرد أن يُنفّذ لما اقترحت التعديل. لا تعتقد أنني عندما كنت آوي إلى فراشي، بعد تنفيذ اي من هذه الأحكام، كنت أغفو خلال دقائق. مع تنفيذ كل حكم كنت أستيقظ أحياناً الرابعة صباحاً وأنتظر وأقول: هل تعذّب؟ ثمة ناحية إنسانية. لكن، ويلك الحكم وويلك القضايا الإنسانية.

■ ما هو القرار الذي ندمت عليه؟

ـ أنا شخصياً؟ أفضّل لو تقول لي ما الذي تحسبه خطأ في ما عملته، لأجيبك إن كنت نادماً عليه أم لا. فالقرارات التي اتُخذت في تسع سنوات، ربّك يعلم كم عددها.

■ هل يعقل يا فخامة الرئيس أن يحكم رجل تسع

سنوات ولا يرتكب أخطاء؟

ـ عندما كنا في المدرسة كانوا يقولون إن بابا روما إذا تكلم في الإنجيل لا يخطئ. لكن ابن آدم في طبيعته مفطوم على الخطأ. قد أكون عادلاً لكنني لست من الذين يعاندون ولا يقرّون بالخطأ. أتمنى أن يقولوا لي أين ارتكبت خطأ لأرد بنعم أو لا.

■ **في عهدك كانت زوجتك السيدة منى ناشطة، كيف ترى دورها؟**

ـ سأحدثك بصراحة، إذا لم تكن سيدة البيت السياسي في لبنان، تحبّ السياسة، يصبح الوضع مع الرجل صعباً. كلمة «أهلاً وسهلاً» لها قيمة مع كل اللبنانيين. وزيارة البيوت لها قيمة. وزوجة رئيس الجمهورية تهتم بالعمل الإنساني لأننا كنا في أشد الحاجة إليه. بدأت بإحضار بعض المساعدات ووزعتها على الناس، لكن في الحقيقة كانت نشطة جداً. وبعض السياسيين قالوا لي: هل أنت محسود من زوجتك؟ أجبتهم: سترت لي عورتي لأنها تعمل في هذا المجال.

لم يكن لها دور سياسي بل إنساني. بدأت بأمرين وقريباً ستنتهي منهما، هما إعادة فتح المتحف الوطني الذي حصل جزئياً، من ضمن تبرعات وردت إلى «هيئة إحياء التراث»، وإن شاء الله تستطيع الدولة أن تقيم في كل منطقة متحفاً يضم القطع الأثرية المتروكة. فمتحف بيروت كان ينقصه ليكتمل ٥٠٠ ألف دولار، وهو الآن في طور الإنجاز، وأُضيفت إليه قطع أثرية جيء بها من صيدا. أما الأمر الثاني فقد كانت رئيسة جمعية المرأة. وأذكر الوفد الكبير الذي ذهب معها إلى مؤتمر بكين. بعد انتهاء ولايتي، زارت

منى مع وفد من النساء الرئيس لحود، وتقدمن منه باستقالاتهن وطلبن تعيين لجنة جديدة. غالبية من كنّ مع منى، عدن إلى اللجنة التي تترأسها اليوم السيدة أندريه لحود.

الآن وصل عدد المستفيدين من مركز التلاسيميا والسكري الذي تديره نحو ١٠٥٠ شخصاً. أما كيف تتمكن من إعالتهم؟ فعندما كانت زوجة رئيس الجمهورية كان الناس يتبرعون ومنهم من أخذ على عاتقه أدوية عشرة أطفال أو أكثر أو أقل، علماً أن نائبة رئيسة الجمعية هي السيدة نازك رفيق الحريري، ومنى ما زالت إلى اليوم مهتمة بأدنى تفاصيل المركز. فالاهتمام بـ١٠٥٠ طفلاً ليس أمراً سهلاً، خصوصاً إذا كان الأمر يتعلق بتغيير دم وأدوية مرتفعة الثمن، وهي أدوية مختلفة.

■ لماذا أسندت حقيبة الخارجية في عهدك إلى صهرك فارس بويز؟

ـ بعد اتخاذي القرار في مجلس الوزراء بإزالة تمرد العماد ميشال عون، أحببت أن أرسله إلى المراجع التي طلبت منها مساعدة أثناء لقائي معها. أرسلت نسخاً من هذا القرار، مرفقة برسائل بخط يدي، إلى الرئيس الأسد وحكمت الشهابي و«أبو جمال» (خدام)، مع حفظ الألقاب، مع فارس. كانت الطريق غير مفتوحة في حينه، وكانت هناك «طريق الكرامة» (عبر الجبل). واتصلت بفوق (دمشق) وقلت إنني أرسل اليكم مستشاري الأستاذ فارس بويز لنقل هذه الرسائل، فإن تمكن من تسليم الرئيس الأسد كان خيراً، وإلا «أبو جمال». وطلبت في الوقت نفسه الرئيس الأسد فردّ عليّ «نعم أبو جورج». فقلت له: «الأستاذ فارس بويز مستشاري أرسلت معه رسالة أود أن تقرأها

على أمل أن أتلقى جواباً إذا كان الأمر ملائماً». وقد يكون الرئيس الأسد أُعجب بفارس خلال اللقاء. وعندما ذهبت إلى دمشق، بعد انتهاء هذه الأمور (إطاحة عون)، سألني الرئيس الأسد: هل أنتم مقبلون على تأليف حكومة جديدة؟ أجبته: «نعم الدكتور سليم (الحص) تعب وقد مضى عليه في رئاسة الحكومة منذ العام ١٩٨٤». وسألني من سيخلفه؟ أجبته: اتفقنا على عمر كرامي. وسأل من سيتولى الأمور الخارجية؟». أجبته: «سنرى، وزير من الوزراء». فقال (الأسد): «المستشار الذي أرسلته الأستاذ بويز ماذا ينقصه ليكون وزير خارجية؟ قلت: لا ينقصه شيء لكنني لا أستطيع القيام بذلك. فسأل: لماذا؟ قلت: أولاً لأنه لم يتم الخامسة والثلاثين. قال: هل العمر يعني النضج؟ هناك شباب كثر في عمره ناضجون ويستحقون مراكز محترمة. قلت: هناك سبب آخر: لا أريد أن أقوم بما قام به الرئيس فرنجية وقامت القيامة عليه. فارس صهري زوج ابنتي. سكت. وعندما ذهب عمر كرامي إلى دمشق بناء على طلبها، للتعرف إلى المسؤولين السوريين عن كثب، عاد وقال لي إنهم طلبوا منه بويز وزيراً للخارجية «الله يساعدك، لا اعرف كيف ستحميه، هو شاب مثل الذهب». وهكذا كان.

■ هل أنت سريع الغضب؟

ـــ حسب الموضوع. يقولون إن طباعي نزقة لكنني تغيّرت في الرئاسة كثيراً.

■ يحكى كثيراً عن ظرفك وعن مقالبك مع السياسيين وبينهم الوزير السابق عبدالله الأمين؟

ـ في أول حكومة كان ينظر إلى عبدالله على أنه حامل السرّ (كلمة السر السورية)، إذا تعقّد أي موضوع وحصل جدل بين ٣٠ وزيراً في حكومة الرئيس كرامي، كنت أضع ورقة أمامي وأقول: «روقوا يا شباب هناك اقتراح من الوزير الأمين يقول فيه كذا وكذا». وأطرحه على التصويت، فيجولون بنظرهم بعضهم على بعض، وخصوصاً زاهر الخطيب الذي عندما كان يعتقد أن عبدالله حاميه (أي الاقتراح) يسكت.

تكون أمامي مواضيع مكدسة في حجم كتابين فأدرسها، وأنا من الذين يصحون باكراً ويضعون ملاحظات بخط صغير. وعندما كنت أريد إحراج أحد الوزراء، أطلب منه قراءة مقطع من اقتراح تقدم به لأنني لا أستطيع فهمه، وأعرف مسبقاً أن صياغته معقدة. فيبدأ هو بالبحث ويضع النظارات، إذا كان نظره شحيحاً، ولا يعرف شيئاً. فأسأله هل المدير العام رتّبه؟ هل كلّفت مستشاراً لهذه الغاية؟ يا معالي الوزير خذ الاقتراح وأعد دراسته بتأنّ لأنه غير مفهوم، ولا يمكن تبّنيه إذ يصعب شرحه للوزراء، فيتعقد، فضلاً عن وزراء آخرين لا يكونون قد فتحوا الملف.

■ مَن مِن الوزراء الذين مرّوا في عهدك يتمتعون بمستوى مميز، وزراء بارعون مثلاً؟

ـ لوجه الله والحق، في الأمور المالية كان فؤاد السنيورة بارعاً، وعلى رغم أن أموراً سياسية حتمت عليه أحياناً القبول ببعض القصص، كان دائماً يتحفظ ويسجل تحفظه. أما نقولا فتوش فكان يعي كل المواضيع التي تطرح في مجلس الوزراء. إنه رجل قانون. قد يستظرفه البعض، إلا أن الطريقة التي كان يتكلم بها كانت تثير مجلس الوزراء. أما ميشال اده فعلى رغم ذكائه، ولا أستطيع أن

أنكره عليه، فإنه كي يشرح موضوعاً ما، كان يتعثر. من كان يشرح الموضوع بإسهاب وينصت إليه الناس، هو الياس حبيقة، علماً أن وزارته كانت فنية، ماء وكهرباء و«ديجونكتورات». كان متيقناً مما يشرحه. ولا نستطيع أن ننكر أن محمود أبو حمدان الذي شغل حقيبة الإسكان والتعاونيات كان يعرف كيف يشرح الموضوع.

■ مَن كان خفيف الظل في الحكومات المتعاقبة؟

ــ ماذا تعني؟ رئيس الوزراء؟ أم نائب رئيس الوزراء؟

■ ماذا عن وليد جنبلاط؟

ــ كلامه كان قليلاً. ولكن عندما كان يتحدث كان كلامه تنقيطاً. ونادراً ما كان يكمل جلسة. مواضيعه في القضايا الخارجية كان يعرضها بكل تأنّ وإسهاب ويضع النقاط على الحروف. أما في القضايا الداخلية فنادراً ما كان يتدخل. وكانت لديه اعتراضات كثيرة على مواضيع مثارة.

■ حصل في عهدك تبنٍّ رسمي للمقاومة؟

ــ تبني المقاومة؟ أولاً كان لي موقف من قضية المقاومة، وشرحته للرئيس بيل كلينتون ولم يرفّ لي جفن، وللرئيس جورج بوش حين زار لبنان، وكان خارج الحكم. قلت لكلينتون: أنت ذهبت إلى فرنسا للمشاركة في احتفال مع مَن بقوا على قيد الحياة بعد الحرب العالمية الثانية في اليوبيل الخمسين لانتهائها، وبدأتم على شواطئ النورماندي حيث تم الإنزال، وكانت في صحبتك الملكة إليزابيث والرئيس فرنسوا ميتران. من استقبلكم يا سيادة الرئيس؟

كان الرئيس كلينتون قد دعاني إلى البيت الأبيض في ١٩٩٦ بعد

إلقائي كلمتي في الأمم المتحدة إثر مجزرة قانا. والحديث جاء حين سألني: متى ستوقفون الإرهاب في لبنان؟ فقلت له: ثمة فرق كبير بين الإرهاب والمقاومة. فسألني: كيف؟ قلت له: من استقبلك على شواطئ النورماندي؟ فقال: مَن؟ قلت له: يا سيادة الرئيس، يا حبيبي، حين بدأت الحرب لم تكن ولدت بعد. لذلك إذا كنت لا تتذكر، فقل لي فقط من رأيت على شواطئ النورماندي؟ أطرق قليلاً وقال: كان هناك أناس عجزة فرنسيون. فقلت له: هؤلاء الذين بقوا على قيد الحياة هم من المقاومة الفرنسية، حين احتلت ألمانيا فرنسا. فلماذا تساندون مقاومة فرنسا، ولا يحق للبنان أن تكون لديه مقاومة للاحتلال الإسرائيلي؟ يا سيادة الرئيس كل دولة تُحتلّ أراضيها غصباً تُطلق مقاومة. نحن عندنا مقاومة لا إرهاب. هل رأيت، منذ وصولي إلى الرئاسة أحداً اغتيل لدى وصوله إلى مطار بيروت؟ مع عدم المؤاخذة منك. يقولون إنه في شوارع واشنطن ترتكب في الليلة خمس جنايات أو عشر، ترون أنكم وفقتم. أنا حين ذهبت إلى نيويورك للمشاركة في أعمال الجمعية العمومية للأمم المتحدة في العام ١٩٩١ وقابلت الرئيس بوش جاء مدير الشرطة الذي كان متولياً أمني، وطلب لقائي وأعطاني لائحة بأسماء بعض الشوارع، متمنياً عليّ عدم سلوكها، ونبّهونا إلى عدم دخول حديقة فندق «بلازا»، بعد الساعة الخامسة، هذا إرهاب. أليس في شوارع نيويورك إرهاب؟ أما عندنا فلا إرهاب. اسأل الوافدين إلى لبنان الذين يتنقلون شمالاً وجنوباً، فجراً أو ليلاً، ولا يعترضهم أحد.

لذلك أرى أن هذه المقاومة حق. لكنني لم أحاول إعطاءها دور الجيش اللبناني. وإذا سألتني: هل أنا فرح بهذه المقاومة؟ أقول لك: نعم فرح. ولكنني أتمنى أن يشارك فيها كل اللبنانيين وألا تكون حكراً على طائفة. لأننا لا نزال نتحدث في الطائفية.

■ **والعلاقات مع الرئيس كلينتون؟**

ـ التقيته مرة واحدة. وتحدث إليّ مرة عبر الهاتف. كان يريد أن يتمثل لبنان عندما وقّع اتفاق بين إسحق رابين وياسر عرفات في واشنطن، واستغرقت المكالمة عشرين دقيقة. وتجادلنا وقلت له: آسف، نحن دولة ديموقراطية واتخذنا قراراً في مجلس الوزراء بعدم الحضور. لكن بعد إلحاحه، وعدته بعرض الموضوع على مجلس الوزراء وبأن أكون محاميه في المجلس لإقناع الوزراء، لأن السلطة في مجلس الوزراء ليست لرئيس الدولة. أنا لست ديكتاتوراً في البلد، وعليّ أن آخذ برأي الناس، ثم أرسلنا له ملحقاً في سفارتنا (في واشنطن) للمشاركة في حفل التوقيع.

■ **هل بحث معك الرئيس كلينتون في العلاقات اللبنانية ـــ السورية؟**

ـ لا. جلسنا معاً ساعة ولم يتطرق إلى هذا الموضوع. وكنا معظم الوقت نتحدث عن لبنان بعد حصول مجزرة قانا. قال كلينتون للصحافيين إنه ينوي تقديم مساعدة إنسانية للبنان من الدولة الأميركية وبعض الجمعيات. وبعد خروج الصحافيين قلت له: آسف يا سيادة الرئيس، أرفض المساعدة الإنسانية وأريد بدلاً منها مساعدة سياسية. سأل ما هي؟ فقلت: تنفيذ القرار ٤٢٥. فسألني هل يمكنك وقف الإرهاب؟ فأجبت: لدينا مقاومة لا إرهاب.

■ **التقيت مبعوثين أميركيين: أولبرايت وبايكر وكريستوفر. ألم يكونوا يبحثون معك في العلاقات اللبنانية ـــ السورية؟**

ـ ولا مرّة.

■ ألم يضغطوا على لبنان؟ أوَلم يتحدثوا في موضوع انسحاب القوات السورية من لبنان؟

ـ أبداً أبداً. لم يتحدثوا معي ولا مرة في هذا الموضوع. مرة سألني سفير: هل تعتقد أن القوات السورية باقية طويلاً في لبنان؟ أجبته: حين تنسحب إسرائيل اسألني. وحين تنسحب إسرائيل، إذا كنت في موقع الرئاسة، فسأتوجه إلى دمشق على رأس وفد وأشكر الرئيس الاسد واتمنى عليه إنهاء الوجود العسكري السوري في لبنان. أما في الوقت الحاضر فثمة حركات داخلية في لبنان ولا يمكننا التخلي عن القوات السورية ما دام ثمة أراضٍ محتلة.

■ بماذا كان يبحث الأميركيون؟

ـ في الإرهاب وأكثر. وحديثاً قال الرئيس الحص للسيدة أولبرايت: «لا يمكنني فتح ملفات الحرب». فهي أحضرت معها لائحة بأسماء أناس تتهمهم بخطف طائرة .T.W.A

■ في موضوع العلاقات مع الفرنسيين؟

ـ أنا بدأت في العام ١٩٩١ مع الرئيس ميتران. وكنت في أفضل أحوالي معه، وتعجب الوزراء الذين رافقوني وقتها، كيف شبكني الرئيس ميتران، الذي كان يبدو كأنه أمبراطور، بعد المقابلة التي دامت بيننا ٤٠ دقيقة، ليدعوني إلى الغداء. كلهم تعجّبوا وتساءلوا ماذا فعلت له في الداخل. أنا أعرف ما فعلت ليمسك بيدي.

■ العلاقة مع الرئيس جاك شيراك كيف كانت؟

ـ على أكمل وجه. تعرفت إلى شيراك حين كان رئيساً لبلدية

باريس، قبل ١٩ عاماً. ذهبنا وفداً من تجمع النواب الموارنة إلى باريس وطلبنا مقابلته والتقيناه. وحين أصبح رئيساً للجمهورية ذكّرته اين استقبلنا، وكان الطقس بارداً، والموقد مشتعلاً، وهو أنيق يدخّن. فعجب لقوة ذاكرتي. لذلك حين انتخب اتصلت به وهنأته، وأول دعوة وجهها لزيارة الإليزيه كانت إليّ، ورافقني فيها سبعة وزراء. كان ذلك بعد انتخابه فوراً، وتسلّمه مقاليد الحكم وتأليفه أول حكومة. اتصل بي ودعاني إلى الغداء وقال لي إنك أول من يزور فرنسا.

■ هل كان الحريري، عملياً، متولياً جزءاً من السياسة الخارجية وحيداً؟

ــ إسأل فارس بويز.

■ بويز كان مختلفاً مع الحريري في هذا الموضوع؟

ــ ليقل لك فارس. الحق على مَن ولماذا؟ أنا بالنسبة إليّ لم أكن أرضى بأن يتسلم أحد أي دور إلا بعلمي.

■ كيف كانت العلاقات مع السعودية؟

ــ كانت مع الملك فهد ممتازة ممتازة ممتازة. ومع وزير الخارجية أيضاً. وفي آخر زيارة لي للسعودية، استقبلني الملك فهد في المطار وكان تعباً. فقلت له: يا صاحب الجلالة لماذا أتيت إلى المطار؟ أجابني: من أجلك ومن شدة محبتي لك.

■ هل التقيت القذافي خارج مؤتمرات القمة؟

ــ نعم. التقيته مرة. كان اللقاء في البداية وتحت الخيمة. قال لي:

لو طلبت رأيي لقلت لك دعك من رئاسة الجمهورية وعليكم في لبنان أن تحذوا حذونا وتؤسسوا جماهيرية يكون فيها الحكم للشعب. فقلت له: في الدولة الديموقراطية الحكم للشعب. وكان الرئيس الحص جالساً فهزّ برأسه كأنه يقول إلى أين جئنا؟ ماذا نفعل؟ علينا زيارة الدول العربية كلها. أخذنا وأعطينا فوجدنا اننا نتكلم عبثاً. وحين عدنا إلى الفندق سألني الرئيس الحص: لماذا جئنا؟

أعدّ القذافي عشاء ضخماً وجلست قربه، فقال: «هل تعرف يا فخامة الرئيس أين ولدت أنا؟»، فأجبته: «قيل لي لكني نسيت». فقال: «إن القرية التي ولدت فيها اسمها الهراوي». فقلت له: إذاً نحن أبناء عم. سأل: «كيف؟». قلت له: نحن جئنا من اليمن. قصَّرت جِمالنا في لبنان. وجدنا الجو في لبنان مارونياً فأصبحنا موارنة. الباقون من جماعتنا رحلوا إلى مصر حيث كثر من آل الهراوي، وثمة قصر للدكتور الهراوي الذي أعطي لقب باشا، قدّم إلى وزارة الثقافة. ثم أكملوا إلى بلدكم، أقاموا مدة، ثم توجهوا إلى المغرب. فقال لي: أنتم أصلكم من اليمن؟ وما الضير في أن تكونوا موارنة؟ وعجبت لكلامه هذا، هو الذي كان يتخذ موقفاً متشدداً من المسيحيين.

وسألني: ماذا تطلب مني؟ لم تطلب بعد. فقلت له: سأطلب منك شيئاً، وستتعجب له. لا أعرف ما كان يطلبه منك اللبنانيون، لكنني سأطلب منك مساعدة للجيش اللبناني، كأن ترسل باخرة محمّلة بالدبابات والمعدات العسكرية. فقال: والله فكرة. وطلبت أن يستورد من لبنان تفاحاً، ويأكل تفاحة خلال فطوره الصباحي. فضحك. وفيما بعد أصبحت العلاقة بيننا عبر

الهاتف. العام الماضي اتصلت به فاستورد ٢٠ ألف طن من التفاح. الآن سنتصل به لنطلب السيارة «الصاروخ» هدية (ضاحكاً). حمّل باخرة بالدبابات والآليات، فأرسلنا إليه ١٠ آلاف صندوق تفاح في مقابلها.

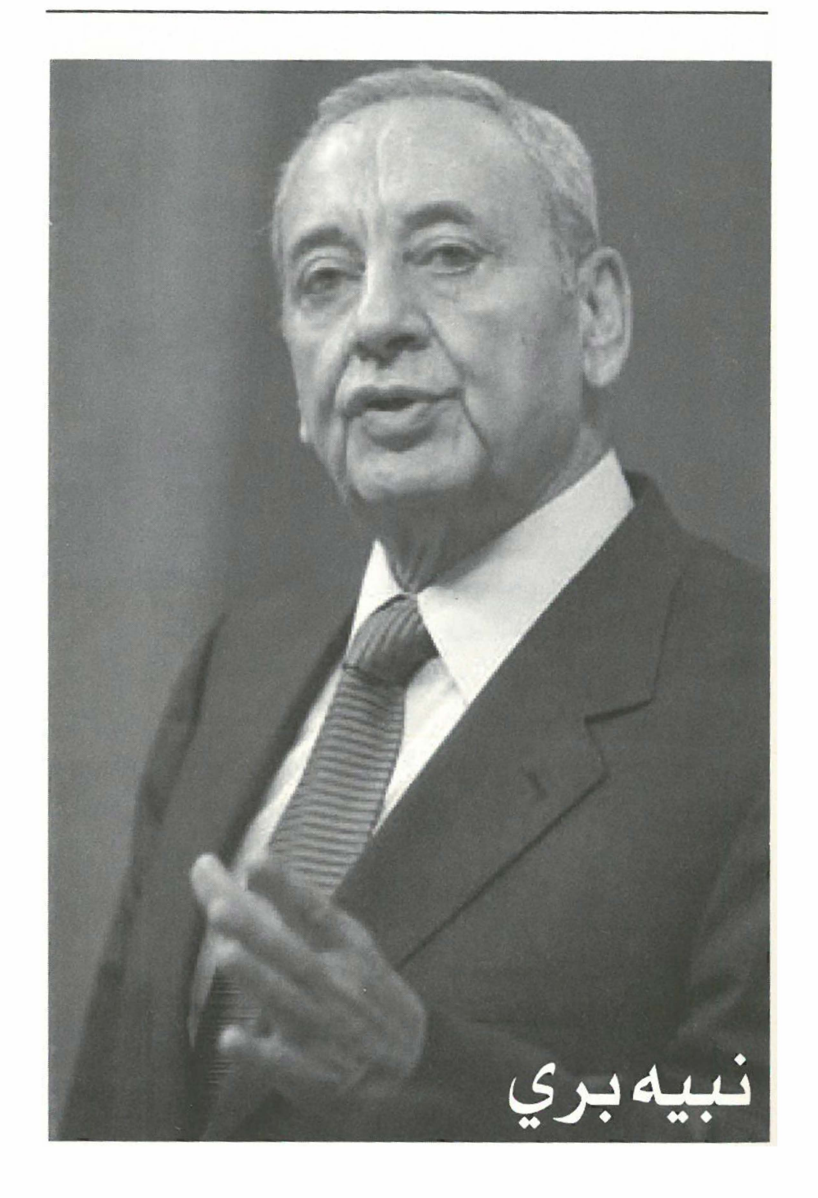
■ **طوال عهدك كان الود غائباً بينك وبين الرئيس ياسر عرفات، رفضت اللقاء به وتحاشيت مصافحته في أكثر من مناسبة!**

ــ نعم لأنني لم أنس كم دفع لبنان غالياً ثمن ممارسات السلاح الفلسطيني وثمن بعض السياسات الفلسطينية.

■ **كشفت الأجهزة محاولة لاغتيالك.**

ــ كشف الحرس الجمهوري محاولة، والمؤسف أنه جندي من الذين يخدمون في لواء الحرس الجمهوري وهو من بلدة قرطبا. كان كلما ذهب إلى بلدته يمسكون به في جبيل ويأخذون ويعطون معه. وهو كان يدخل مع فرقة تنظيف المكتب، فكلّف بفكّ التليفون بطريقة لطيفة ليضع فيه عبوة وحين أردّ على التليفون ينفجر رأسي.

أمسكوا به ولم نودّ أن نذيع الأمر بسرعة بل بروية، وجرى التحقيق معه في قيادة الجيش ثم أُحيل على الشعبة الثانية وألقي القبض على اثنين. لكن الذي كان مفروضاً أن يتم القبض عليه هو غسان توما الذي أقنعه بذلك، على أن يدفع له مئتي دولار من وقت إلى آخر، كم هذا الرجل (غالٍ). وحكمت عليهما المحكمة العسكرية لكنني عفوت عنهما في يوم الجمعة العظيمة.


نبيه بري

أنصاره كثيرون وخصومه كثيرون. وهو في المعادلة اللبنانية الحالية رقم صعب يتعذر شطبه ويستحيل تجاهله. إنه نبيه بري رئيس مجلس النواب ورئيس حركة «أمل».

في ٦ شباط (فبراير) ١٩٨٤ وجه بري الضربة القاتلة إلى الجمهورية الأولى التي كانت قد أصيبت بجرح بالغ في «حرب الجبل» في ١٩٨٣. فمنذ ذلك التاريخ بدأت عملياً المفاوضات لإعادة صياغة النظام اللبناني وتوزيع المقاعد والصلاحيات والمواقع والحصص. في ٦ شباط انطلقت ورشة إزالة آثار الاجتياح الإسرائيلي في ١٩٨٢، وبدأ عملياً عصر الإدارة السورية للسلام اللبناني. لكن قصة نبيه بري بدأت قبل ذلك، وتحديداً منذ اليوم الذي جلس فيه إلى جوار الإمام موسى الصدر ثمّ منذ الساعة التي اختار فيها إطلاق المقاومة ضد إسرائيل. لم تبخل عليه الطائفة الشيعية بالدعم، وكان الجنوبيون الأشد سخاء. وفي ١٩٩٢

سلّمته الجمهورية الثانية مطرقة رئاسة مجلس النواب بعدما كانت «أمل» سلّمته رئاستها في ١٩٨٠، متكئاً على رصيده في حركة المحرومين وعلى رصيد الموقف المقاوم لإسرائيل وعلى علاقة ثابتة مع سورية، خاض بري مرحلة الثمانينيات فحارب وحورب وتعذر الانتصار عليه. وخصومه يقولون إن تحالفاته حصنته ضد الخسائر أو الهزائم.

لا تكتب قصة الأحداث التي عصفت بلبنان منذ مطلع الثمانينيات من دون التوقف طويلاً عند دوره. وتبقى سلسلة «يتذكر» ناقصة ما لم تتسلل إلى ذاكرته وها هو يتذكر.

تحدث بري عن بدايات علاقته مع الإمام موسى الصدر وتجربته معه إبان حرب السنتين وصولاً إلى تغييب الإمام خلال رحلته إلى ليبيا، وما تبع الحادث من تحقيقات وما توافر من معلومات.

تكلّم على الاجتياح الإسرائيلي للبنان في ١٩٨٢، معتبراً أن أولى رصاصات المقاومة أطلقت في معركة خلدة. وتحدث عن رحيل المقاومة الفلسطينية عن بيروت. وروى قصة ٦ شباط بما لها وما عليها. وتطرق إلى الحروب مع الحلفاء وإلى حرب المخيمات أيضاً. وكشف أن البريطانيين فاوضوه لإطلاق الطيار الإسرائيلي رون آراد... لكن مصطفى الديراني (المحتجز في إسرائيل) انشقّ عن «أمل» وأخذه معه. وتحدث عن خطف «أمل» ركاب طائرة الـ «تي. دبليو. أي» الأميركية من خاطفيهم بعدما تأكدت خطورة الحادث.

وأكد بري أن «الترويكا» ماتت ودفنت، وتحدث عن علاقته بالرئيسين الياس الهراوي ورفيق الحريري، مشيراً إلى أن تعبير الرئيس الدائم غير صحيح في لبنان، ومذكراً بالقول الشهير «لو

دامت لغيرك ما وصلت اليك».

ولد نبيه بري في ١٩٣٨ في سييراليون ودرس الحقوق في الجامعة اللبنانية وقاد تحركات طالبية قبل أن ينتقل إلى المحاماة ومنها إلى السياسة. متزوج وله تسعة أولاد.

* * *

■ في السادس من حزيران (يونيو) ١٩٨٢ حصل الاجتياح الإسرائيلي للبنان، هل كنتم تتوقعون اجتياحاً بهذا الحجم؟ وإذا كنتم قد توقعتم ماذا كانت استعداداتكم لمواجهته؟

ـ في الحقيقة الجواب هو نعم ولا. عادة في تذكر شيء مضى يحب الانسان ادعاء امتلاك معلومات لم تكن لدى غيره، لكنني سأرد مستنداً إلى وقائع: قبل الاجتياح بنحو أسبوع حصلت صدامات في أكثر من بلدة من بلدات الجنوب، وكانت قوات منظمة التحرير الفلسطينية تطوّق نحو ١٦ قرية من بينها البيسارية والأنصارية واللوبية وغيرها. كان ذلك تحديداً في ٢٨ أيار (مايو) و٢٩ منه. وتوجهت شخصياً إلى الجنوب بعدما عقدت اجتماعات عدة مع أبو عمار وقادة فلسطينين آخرين في محاولة لوقف النزف. وشارك في الاجتماعات التي كانت في إطار لجنة التنسيق العليا ممثلون للحركة الوطنية اللبنانية وللإخوان السوريين.

توجهت إلى الجنوب وعقدت اجتماعين أحدهما في النادي الحسيني في اللوبية والآخر في النادي الحسيني في الأنصارية. وطلبت من كل الفرقاء من قوى فلسطينية ويسارية لبنانية، إضافة إلى حركة «أمل»، حضور اللقاءين. وفي أحدهما قلت لهم الآتي: إذا دخلت

إسرائيل الآن، وأظنها تعدّ لذلك، أما زلتم (منظمة التحرير)، أنتم المسؤولين عن أمن الجنوب، تملكون الرصاص لمقاتلة إسرائيل بعدما استخدمتموه في المواقع الداخلية اللامسؤولة ضد الأهالي وضد القرى وضد حركة «أمل»؟ أعتقد بأنكم لم تعودوا تملكون سلاحاً، وإن كان لا يزال لديكم منه فهو ليس كافياً. لذا يفترض أن تحدث مصالحة وأن يفك الحصار عن القرى.

كنت أخاطب الفلسطينيين والقوى الوطنية و«أمل». لم تنقض أيام على هذا الكلام حتى دخل الإسرائيليون. لم تكن لديّ معلومات مؤكدة، لكن الأجواء كانت تنذر بشؤم ما وخطر كبير، خصوصاً أن تصريحات الإسرائيليين في تلك الفترة كانت تبنئ بعزمهم على القيام بعمل ما. لكن ما لم أتوقعه هو مدى الهجمة الإسرائيلية ومساحة الاجتياح، فقد كان الكلام الإسرائيلي يدور على البنى التحتية للمقاومة الفلسطينية، وكان الاعتقاد السائد أن أي أمر عسكري سيقتصر، إذا حصل، على محاولة كسر البنى التحتية للمقاومة الفلسطينية بدءاً من الجنوب. وقد ترافقه طلعات جوية لضرب المواقع الفلسطينية خارج الجنوب. لم يكن أحد على الإطلاق ينتظر أن يصل الإسرائيليون إلى بيروت لتصبح أول عاصمة عربية تحتل وتدمر بعد القدس.

■ **أين كنت عندما بدأ الاجتياح؟**

ـ كنت في مقر قيادة حركة «أمل» في برج البراجنة (في ضاحية بيروت)، وهو لا يزال موجوداً حتى الآن، ورحت أتابع مع مجموعة من قادة الحركة أخبار الاجتياح ونتخذ بعض الاستعدادات الاحتياطية. فجأة وصلني خبر مفاده أن الإسرائيليين وصلوا إلى

مداخل خلدة خلال أقل من ٣٦ ساعة من بدء الاجتياح. للوهلة الأولى لم أصدق واعتقدت أن ثمة بلدة في الجنوب اسمها خلدة وأنا لا أعرفها! لم أتصور إطلاقاً أن يصل الإسرائيليون بهذه السرعة الفائقة إلى خلدة ومشارف بيروت. وبحركة، بوسعك تسميتها مدروسة بعفويتها انتزعت رشاش أحد الشباب وركضت على الطريق في اتجاه المطار وخلدة.

جرى ذلك في حضور كثير من الإخوة الحركيين وبينهم النائب السابق علي عمار (أصبح لاحقاً في «حزب الله»). ركض الشباب خلفي وردوني، لكن تلك الحركة أشعلت الحماسة فاتجه فريق كبير من شباب الحركة إلى مدينة الزهراء، في أول خلدة، واتخذوا استعداداتهم. كان القرار واضحاً بالتصدي للإسرائيليين أياً كان الثمن. وأستطيع القول جازماً إن المعركة الحقيقية الأولى التي تصدت للعدو كانت في ذلك الموقع وكانت نتيجتها تدمير دبابة ونصف مجنزرة وقتل من فيهما وأسر ناقلة جند أخرى، قادها الشباب إلى مقر قيادة «أمل» في الضاحية الجنوبية بعدما جالوا بها في شوارع بيروت، الأمر الذي أثار حماسة منقطعة النظير، فالتف الناس حول المقاومة. ترافق ذلك مع اجتماعات للتنسيق بيننا وبين الحركة الوطنية وقيادة منظمة التحرير.

■ حوصرت بيروت، فماذا فعلت في المدينة المحاصرة؟

ـ إثر بدء الاجتياح الإسرائيلي، وفي غضون ساعات، سقطت كل الإشكالات التي كانت قائمة بين «أمل» من جهة والمقاومة الفلسطينية و«الحركة الوطنية» من جهة أخرى. ونشأت في الواقع جبهة موحدة أمام الخطر المشترك. وتركز البحث على سبل مقاومة العدو.

وعقدت سلسلة اجتماعات في برج البراجنة وفي منزلي في بربور (في بيروت) وأماكن أخرى، وانصبت كلها على إعداد مستلزمات الصمود والمواجهة. واتخذ بعض الاجتماعات طابعاً سرياً وكنا ننقل مقر الاجتماع من مكان إلى آخر.

كانت فترة الحصار قاسية وترافقت مع مطاردات جوية متلاحقة. في تلك الفترة نمت في منازل عدة أحدها منزل شقيقتي ومنزل آخر لأحد شباب الحركة في الضاحية الجنوبية يبعد نحو ٨٠٠ متر عن موقع برج البراجنة. لجأت إلى ذلك البيت مع بعض شباب «أمل» ومنهم حسين الموسوي الذي كان نائب رئيس الحركة وزكريا حمزة الذي ترك الحركة الآن والشهيد محمود فقيه الذي انضم إلينا قاطعاً زيارة كان يقوم بها لإيران. لم أنم في بيتي في بيروت الغربية لكنني كنت خلال الحصار أعقد فيه اجتماعات ولقاءات.

■ هل تعتقدون بأن الفصائل الفلسطينية قاومت طلائع الاجتياح كما يجب؟

ـ لم تحصل مقاومة جدية في الجنوب اللبناني، والدليل ما أشرت إليه، وهو أن الإسرائيليين وصلوا خلال ٣٦ ساعة إلى مشارف خلدة.

■ هناك من قال إن حركة «فتح» تلقت أمراً بالانسحاب من الجنوب؟

ـ لا علم لي بهذا الموضوع. ما أعرفه هو أنني عقدت اجتماعاً في ملجأ تابع لمجلس قيادة «أمل»، وفي الوقت الذي كان إخواننا الفلسطينيون ينسحبون من الجنوب أعطيت أوامر لقادة من «أمل»

بالتوجه إلى الجنوب، وبينهم محمود فقيه المسؤول التنظيمي في الجنوب. وطلبت من هؤلاء التوجه عبر الشوف أو أي طريق آخر للاتصال بالشباب في الجنوب. أدركنا أن علينا أن ننظم أنفسنا لمعركة طويلة نوجه خلالها ضربات متلاحقة إلى الاحتلال.

■ هل تبين لكم أن ثمة اختراقات إسرائيلية لتنظيم حركة «أمل» في الجنوب؟

ـ كانت «أمل» في الجنوب، عشية الاجتياح، عرضة للضغط والمطاردة. كان ابن حركة «أمل» ممنوعاً، ويا للأسف، من دخول صور وبلدات وقرى أخرى. كنا حركة شعبية أكثر منا حركة مسلحة. والواقع هو أن السلاح كان في يد المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية. وعندما حصل الاجتياح كانت الأجواء في الجنوب شديدة التوتر، لكننا سارعنا إلى توحيد الموقف في مواجهة الخطر الإسرائيلي. سأورد لك حادثة: خلال حصار بيروت أردت الاطمئنان إلى شباب «أمل» والحركة الوطنية الذين باشروا بناء دشم على مشارف بيروت، فتوجهت متخفياً في سيارتين والتقيتهم في موقع قرب كلية العلوم. وأثناء عودتي طالعني فجأة حاجز لـ «جبهة التحرير العربية» (الموالية للعراق) وهم كانوا يطالبون برأسي. ارتبك السائق ولم يعرف ماذا عليه أن يفعل لكنني طلبت منه التوقف أمام الحاجز وحييتهم فردوا التحية كأن لا دم بيننا ولا مشاكل.

أضرب لك هذا المثل لأؤكد أن الصفحة المؤلمة التي سبقت الاجتياح طويت بسرعة بعد بدئه وانصرفنا إلى تحصين المواقع وتوفير مستلزمات الصمود، ورحت أعد العدة لمسار المقاومة في المرحلة المقبلة. كانت مرحلة الحصار صعبة والغارات تتلاحق والقصف كان

رهيباً وإسرائيل تمارس القنص بالطائرات. كان لا بد من التحرك بحذر شديد بعيداً من استخدام الهاتف وإيكال مهمة ترتيب اللقاءات إلى أشخاص موثوق بهم. طبعاً، في تلك المرحلة كانت القيادات الفلسطينية مستهدفة أكثر من القيادات اللبنانية.

■ **هل ترى أن «أمل» أدّت واجبها خلال الحصار الإسرائيلي لبيروت؟**

ـ أترك الجواب للقيادات اللبنانية أو الفلسطينية أو السورية، فقد عملنا جبهة واحدة. وأقول أكثر من ذلك إن حركة «أمل»، منذ ذلك اليوم بدأت تتصدر العمل المقاوم واستمر بزعامتها إلى ما بعد ١٩٨٤.

■ **ألّف الرئيس الياس سركيس بعد بدء الاجتياح هيئة الإنقاذ الوطني وكنت عضواً فيها مع رئيس الحزب التقدمي الاشتراكي وليد جنبلاط وقائد «القوات اللبنانية» آنذاك بشير الجميل، ماذا حدث؟**

ـ دعيت هيئة الإنقاذ الوطني إلى اجتماع في قصر بعبدا فرفضت الاشتراك فيه، واتخذ الأستاذ وليد جنبلاط الذي كان موجوداً في المختارة موقفاً مماثلاً. عندها عقد اجتماع لمجلس قيادة حركة «أمل» في منزل الشيخ عبد الأمير قبلان وفي حضور القيادة الدينية الشيعية. وبعد المداولات ظهر إجماع على ضرورة حضور اجتماع هيئة الإنقاذ. وعلى رغم ذلك طلبت وقتاً للتفكير. عدت حوالي الخامسة بعد الظهر إلى منزلي في بربور وإذا بالقادة الفلسطينيين: ياسر عرفات وجورج حبش ونايف حواتمة. وطالبوني بإصرار بالمشاركة في الاجتماع على الأقل للتمكن من التقاط الأنفاس. في

هذه الأثناء ورد خبر أن الأستاذ جنبلاط لن يحضر إلّا إذا نقلته سيارة السفير الأميركي، فاشترطت عندئذ ألاّ أنتقل وحدي إلى الاجتماع بل ننطلق معاً أنا وجنبلاط من بيروت لأننا لا نعلم ماذا يمكن أن يحصل على الطريق.

صعدنا معاً بعدما أمَّن الأميركيون الطريق ولم نتوقف عند أي حاجز إسرائيلي. وصلنا، وحصلت مشادة في الاجتماع بين وليد جنبلاط وبشير الجميل من جهة وبيني وبين بشير من جهة أخرى.

■ لماذا المشادة مع بشير وفي أي موضوع؟

ـ كان فيليب حبيب (مبعوث الرئيس الأميركي رونالد ريغان) قد بدأ مهمته، والبحث في جوهره يتناول خروج الفلسطينيين من بيروت. وظهر في الاجتماع طرح يدعو إلى إصدار بيان يطالب بانسحاب جميع القوات الأجنبية من لبنان وورد اسم القوات السورية قبل الإسرائيلية. تدخل جنبلاط وقال إن الموضوع هو موضوع الاجتياح الإسرائيلي، فلماذا التطرق إلى وجود السوريين؟ فقاطعه بشير ليقول ما معناه أن السوري محتل أيضاً فنرفز وليد وطلب من بشير عدم مقاطعته وتكهرب الجو، فقال وليد لبشير: «أنت متعامل مع العدو» فرد بشير «أنت استقبلت شمعون بيريز».

احتدم الجو فطلبت الكلام، وقلت: لا يمكن الحديث عن تشابه بين الوضعين السوري والإسرائيلي في لبنان، فالفارق كبير. الجيش السوري جيش شقيق وجاء بناء على طلب لبنان وقاتل معنا وضحى، ونحن الآن أمام العدو الإسرائيلي الذي اجتاح أرضنا. وحاول بشير مقاطعتي فتوقفت عن الكلام وطلبت منه التقيد بآداب الجلسة، خصوصاً أنه لا يرأسها. وقلت له أيضاً إنه حتى الكلام

على الفلسطينيين الذين تقاتلنا معهم ممنوع الآن وأن عملية التدمير الجارية لن تشل إرادتنا ومقاومتنا.

وأوضحت للمجتمعين أن البيان الوحيد الذي يمكننا التوقيع عليه هو البيان الذي يطالب بانسحاب إسرائيل من دون قيد أو شرط وبتعويض اللبنانيين من دون أن يؤتى على ذكر السوريين وحتى الفلسطينيين.

بعدها رفعت الجلسة بسرعة لأننا سمعنا قصفاً شديداً. فخرجت إلى شرفة القصر الجمهوري ولم أعد أذكر هل خرج وليد معي أم لا، وشاهدت الضاحية الجنوبية تحترق وحمم الحقد تنهال عليها. قلت إن هذا الضغط لن يجدي حتى وأن دمرت بيروت عن بكرة أبيها وأزيلت الضاحية من الوجود. وفي اليوم التالي جاء فيليب حبيب للمشاركة في الاجتماع وكان القصف مستمراً على الضاحية فانسحبنا أنا ووليد جنبلاط وقلنا لهم إن هذه الاجتماعات لن تصل إلى نتيجة. وهكذا انتهت هيئة الإنقاذ الوطني.

■ من هي القوى التي برزت في معركة بيروت؟

ـ ونحن نتكلم على دور المقاومة الفلسطينية والقوى الوطنية اللبنانية، يجب ألا ننسى دور القوات السورية. دفعت سورية ثمناً غالياً لتصديها للاجتياح الإسرائيلي للبنان. ضحى السوريون حتى حدود صوفر بما لا يقل عن ١٢ ألف شهيد. خاضت القوات السورية معارك مشرفة سواء على تلال خلدة وصولاً إلى قلب بيروت أو في صوفر ومناطق أخرى، وكان لها الدور الأكبر في دعم صمود بيروت في تلك الفترة. وبعدها تأتي المقاومة الفلسطينية وكل فريق بحسب حجمه. لم تكن لدى حركة «أمل» آنذاك مدافع ولم

تكن للحزب الاشتراكي مدافع في بيروت.

هيئة الإنقاذ كانت أحد حدثين مهمين حصلا في تلك الفترة. أما الحدث الثاني فهو خروج المقاتلين الفلسطينيين. اشتد الحصار على بيروت واستمرت عملية التدمير وتزايدت معاناة سكان العاصمة، وبدا واضحاً أن مهمة فيليب حبيب تنص على خروج المقاتلين الفلسطينيين وترحيلهم. في هذه الأجواء دعت القيادة الفلسطينية إلى اجتماع عقد في ملجأ في منطقة برج أبي حيدر قرب ثكنة الحلو وشارك فيه قادة فلسطينيون وقياديون من الحركة الوطنية و «أمل». وتحدث أبو عمار وفلسطينيون آخرون وأثاروا موضوع انسحابهم من بيروت أو عدم انسحابهم منها. بمعنى آخر طالبوا القيادات الوطنية والإسلامية اللبنانية بتحديد موقف.

■ لإيجاد مخرج؟

ـ إيجاد مخرج لانسحابهم. تناوب الجميع على الكلام بمن فيهم وليد جنبلاط، بينما لذت أنا بالصمت.

■ هل كان جنبلاط مؤيداً لخروج الفلسطينيين؟

ـ أعتقد أنه لم يكن معارضاً.

■ لماذا التزمت الصمت في الاجتماع؟

ـ لأنه لم تكن لديّ رغبة في الإذعان لشروط العدو ولم يكن بوسعي تحمل شرف المسؤولية الكبرى عن مصير بيروت وأهلها. بقيت صامتاً وإذا بخليل الوزير (أبو جهاد) رحمه الله يقول: «سمعنا الجميع ولم نسمع الأخ نبيه»، فأجبت: «لم أطلب الكلام». تدخل

أبو عمار وأصر على سماع رأيي فلم يمر ببالي غير شطر من بيت شعر يقول «أمران أحلاهما مر». وأضفت: أنا يا أبو عمار لا أقول للفلسطينيين انسحبوا من بيروت بينما الإسرائيلي يدكّنا.

■ **تردد أن وليد جنبلاط ومحسن إبراهيم وجورج حاوي كلفوا مصارحة عرفات بأن وضع بيروت لم يعد يحتمل.**

ـ لم تكن لـ «أمل» علاقة بخطوة من هذا النوع. في النهاية اتخذ قرار الخروج.

■ **ماذا عن لقاءاتك مع أبو عمار بعده؟**

ـ بعد اتخاذ قرار الخروج صارت تحركات أبو عمار أسهل مما كانت عليه، وبدأ سلسلة زيارات وداعية. وأذكر أنه جاءني في الرابعة بعد الظهر وقال لي: «أنا لست قادراً على أن أحمل نفسي». كان الجو حاراً والأيام أيام صيام. وأضاف أبو عمار: «لم أستطع الاستحمام منذ ثلاثة أيام». وكانت المياه متوافرة في المبنى الذي أسكنه لأنه نجا من القصف. قلت له: «ادخل واستحم» فردّ «لا أحمل ثياباً داخلية» فأعطيته مما عندي. وبعد خروجه قال: «أنا خارج من بيروت بملابسك والشعب الفلسطيني أمانة لديك». اتفقنا على الالتقاء في ملجأ البيكاديللي في الحمراء للوداع في حضور قيادات إذ لن يتسنى للجميع وداعه عند الباخرة التي ستقلّه. وعندما غادر أبو عمار بيروت اكتشفت أنه ترك صندوقاً يحوي مالاً لدعم الحركة أو لي لم أعرف.

■ **بالدولار أم بالعملة اللبنانية؟**

ـ لم أفتح الصندوق لكنني عرفت أنه يحوي مالاً. تركته في

مكانه. وفي المساء توجهت نحو البيكاديللي، وأعتقد أننا كنا معاً أنا والوزير محسن دلول، ونقلت الصندوق في سيارتي. كانت أجواء اللقاء حزينة وكانت هناك مجموعة قيادات وشخصيات: محسن إبراهيم ومحسن دلول وقادة آخرون. ألقيت كلمات وداعية أشادت بالتضحيات وأعربت عن الأمل في انفراج. مشى أبو عمار معي مودعاً في اتجاه السيارة فانتهزت الفرصة لأعطيه الصندوق وقلت له: «أعتقد يا أبو عمار بأن لي وطناً على الأقل وأعتقد بأن الشعب الفلسطيني يحتاج أكثر مني إلى هذا المال». لم ينفع إلحاحه ولا تدخّل محسن إبراهيم وأعدت الصندوق إليه.

في اليوم التالي أعلن رسمياً موعد المغادرة فتغير برنامجنا مرة أخرى. كنت قد اتفقت مع وليد جنبلاط على أن نلتقي في منزله في المصيطبة وأن نتحرك من هناك، وإذا بأبو عمار يفاجئنا بحضوره إلى المكان فتجمع الناس حول المنزل وخرج عرفات لوداع الناس المحتشدين في الشارع. كان الجو مؤثراً فعلاً.

■ ما الذي قاله أبو عمار في تلك الساعة؟

ـ كان يردد أنه سيغادر بيروت تاركاً الشعب الفلسطيني أمانة في أعناقنا أنا ووليد. ويقول إن هذه المعركة ليست النهاية والمهم متابعة الجهاد. وهكذا واكبت وجنبلاط عرفات وودعناه عند الباخرة.

■ **وبماذا شعرت في تلك اللحظة؟**

ـ سأحدثك بصراحة كاملة: الممارسات التي حصلت لم تكن تدفع إلى الندب واللطم بسبب مغادرة أبو عمار. ولو رحل عرفات من

دون وجود الاحتلال الإسرائيلي لكان الأمر أدعى إلى الفرح، لكن مع وجود الإسرائيليين كان الأمر مختلفاً. أنا شخصياً لم يكن لدي شعور بالحزن أو بالفرح إنما تملّكني شعور بالغضب.

■ حكي عن مشاركة لحركة «فتح» في تأسيس حركة «أمل» وتسليحها؟

ـ هذا الكلام قيل ولم أكن في حينه رئيساً للحركة، إذ كان الإمام القائد موسى الصدر أول رجل ذي عمامة يشجع على جمع التبرعات لدعم الفلسطينيين وما زالت كلماته، حتى في التاريخ الفلسطيني، تؤكد صحتها يوماً إثر يوم. ففي خطاب ألقاه في محلة الأونيسكو قال الإمام الصدر: «اعلم يا أبو عمار أن شرف القدس يأبى أن يتحرر إلا على أيدي المؤمنين».

■ هل شارك عرفات في تسمية «أمل»؟

ـ يعود الفضل في تأسيس «أفواج المقاومة اللبنانية ــ أمل» وتدريبها إلى الإمام الصدر، وذلك قبل الاجتياح الأول للجنوب (١٩٧٨) خشية أن يصيبنا ما أصاب الفلسطينيين. في تلك الأثناء أنشأ الإمام علاقة مع المقاومة الفلسطينية لا مع عرفات وحده، وكذلك مع الإخوة السوريين. كان على يقين بأن لإسرائيل مطامع في الجنوب وأنها ستجتاحه ذات يوم وأن علينا الاستعداد للتصدي لهذا الاحتلال، وأن عبء المقاومة يقع على اللبنانيين لا على الفلسطينيين. وأعتقد بأن اقتراح تسمية «أفواج المقاومة اللبنانية» واختصار الكلمات الثلاث في ثلاثة أحرف هي «أمل» تردد أثناء وجود أبو عمار مع الإمام الصدر، ولم ينف الإمام هذا الكلام وقد يكون صحيحاً.

■ **وهل شارك في التمويل والتسليح أيضاً؟**

ـ لا، لا. خصوصاً بالنسبة إلى التمويل. لم تأخذ الحركة في تاريخها قرشاً واحداً من أحد لا في فترة الإمام الصدر ولا بعده، وكذلك الأمر بالنسبة إلى السلاح. أنا شخصياً استعنت لهذه الغاية بإخواننا السوريين.

■ **هل يعني ذلك أن أبو عمار لم يسلح الحركة إطلاقاً؟**

ـ في عهدي لا.

■ **وقبل عهدك؟**

ـ لم أكن قبل ذلك مسؤولاً عن هذا القطاع. كان الإمام الصدر، ربما استعان بمصدرهم وربما بمصادر أخرى. لا أستطيع النفي أو التأكيد في ما يتعلق بتلك الفترة.

■ **من منزل كمال جنبلاط وجّه محسن إبراهيم وجورج حاوي نداء للمقاومة، هل ترون أن ذلك كان بداية المقاومة الوطنية؟**

ـ لا. يتنافس كثيرون في تناولهم هذا الموضوع ويقولون إن المقاومة برزت مع هذه الحادثة أو تلك. أنا أرى أن المقاومة الوطنية اللبنانية بدأت فعلياً من مدينة الزهراء في خلدة، ولا أحد يستطيع نفي ذلك أو إطفاء نور الشمس. التصدي الأول تم هناك وتغيرت نظرة الفلسطينيين إلى حركة «أمل» التي كانت متهمة بأنها عميلة للسلطة، وكان هناك من يروج أنني ألتقي أسبوعياً جوني عبده (مدير المخابرات في الجيش اللبناني آنذاك).

■ ألم تكن تعرفه؟

ـ على الإطلاق، لكنهم كانوا يروّجون ذلك.

■ كيف استقبلتم انتخاب بشير الجميل رئيساً للجمهورية؟

ـ شاركت آنذاك في الاجتماعات التي كانت تعقد في دارة الرئيس صائب سلام. الحقيقة أننا شعرنا بالغضب حيال النواب الذين تسببوا في اكتمال النصاب وانتخاب بشير، لأن موقفهم كان بمثابة عملية غدر بنا. شعرنا بأن العصر الإسرائيلي بدأ وأن الأمر سيكلف كثيراً. ولم تستغرق المسألة طويلاً فانتخاب بشير الجميل كان البداية الحقيقية أو التمهيد لاتفاق ١٧ أيار (مايو). بالنسبة إليّ كان انتخاب بشير بداية لعصر إسرائيلي.

■ وهل شعرتم بالارتياح لدى انتخاب شقيقه أمين إثر اغتياله؟

ـ لا أستطيع القول إنني ارتحت، فالمنحى نفسه كان موجوداً لكن وعلى الطريقة اللبنانية المعهودة، ظهرت تحليلات تقول إن أمين ليس قائداً لـ «القوات اللبنانية» وبالتالي ليست لديه الارتباطات التي كانت للشيخ بشير، وأن الرجل يمكن أن يكون مختلفاً وأنه ليس من المنطقي أن نقيسه على شقيقه في كل شيء. ظهر كلام كثير بهذا المعنى في الأوساط السياسية والصحافية، لكننا نحن، خصوصاً أنا، لم أكن مطمئناً.

■ غداة اغتيال بشير الجميل دخلت القوات الإسرائيلية بيروت الغربية فماذا فعلت؟

ـ معظم قادة الصف الأول في الأحزاب أو التنظيمات اختفوا من بيروت. كانت المرحلة دقيقة جداً وتستلزم وعياً واحترازاً. كان علينا أن ننسق الجهود لترسيخ خيار المقاومة وإشعار المحتل بأن وجوده في أرضنا سيكون باهظاً بالنسبة إليه. كان لا بد مثلاً من طريقة لترتيب لقاء بيني وبين محسن إبراهيم. شخص واحد موثوق به يذهب للاتصال وترتيب الموعد مع شخص واحد موثوق به ثم يعقد اللقاء في مكان لا يثير الشبهة ومن دون مظاهر أو حراسة. وكانت المرحلة تستلزم الإقامة في بيوت آمنة وتغيير أماكن الإقامة والتخفي. أنا مثلاً كنت ألبس حطة وعقالاً أو قمبازاً وأحياناً أظهر في صورة رجل مسن وأركّب شاربين وذقناً. ومحسن إبراهيم كان يتنكر أيضاً، يلبس قبعة أو أشياء من هذا القبيل. وعندما نصل إلى المكان المحدد لا تعود هناك حاجة إلى التنكر فنبدأ الاجتماع ويغادر كل منا المكان عبر الطريق الذي يراه آمناً.

كانت لديّ نحو خمسة بيوت أتنقل بينها. عندما دخل الإسرائيليون بيروت الغربية كنت في شارع دخلوه وفي مكان غير بعيد من منزلي في بربور. كنت في الشارع نفسه لكن من الناحية الثانية. دخل الإسرائيليون ووصلوا إلى المبنى الذي أسكن فيه أصلاً وسألوا عني. الأستاذ (النائب) زاهر الخطيب يسكن في الطبقة السادسة وأنا في الثالثة. نزل زاهر وتجادل مع الضابط الإسرائيلي وقال إن للبناية حصانة لكونه نائباً وأن لا حق لهم في الدخول. بعدها استقدم الإسرائيليون دبابة ضخمة من طراز «ميركافا» ووضعوها أمام البناية وبقوا هناك نحو أربعة أيام لاعتقادهم بأنني داخل المبنى وأنني سأضطر في النهاية إلى النزول. وكنت قبل دخول الإسرائيليين بيروت الغربية قد عقدت مؤتمراً صحافياً في منزلي قلت فيه إن من الأفضل للإسرائيليين أن يغادروا سريعاً كل الأراضي اللبنانية لا

العاصمة فقط، إلا فإن احتلالهم سيتسبب في قيام مقاومة تجعلهم يترحمون على المقاومة الفلسطينية. كان ذلك في تموز (يوليو) وعندما اندلعت المقاومة ذكّرت بهذا الكلام.

كنت أبحث مع محسن إبراهيم في ضرورة إعادة إنشاء المقاومة من جديد وألا نعتمد على ما كان قائماً قبل الاجتياح، وأن نعدّ بناء تحتياً جديداً لمقاومة لبنانية. وكنا نناقش المواضيع السياسية بعد اغتيال بشير واحتمالات المرحلة المقبلة.

■ كيف تصف علاقتك مع محسن إبراهيم؟

ـ كان محسن لولب الحركة الوطنية، وفي أيام الإشكالات بين «أمل» والحركة الوطنية كان بمثابة الصديق اللدود. في النقاشات والاجتماعات الكثيرة التي حصلت في دمشق وغيرها كان يعبّر عن موقف الحركة الوطنية وكان موقفها إلى جانب ياسر عرفات. الحقيقة أنه كان لولباً ونشطاً. علاقتي معه قديمة جداً وهي علاقة شخصية على رغم الخلاف في الرأي الذي لا يفسد للود قضية.

■ كيف تقوّم مواقف مختلف القوى في معركة بيروت؟

ـ المواقف كانت جيدة، وأعتقد أن كل شخص أو فريق من القوى الوطنية قدم ما يستطيع تقديمه، تم التنازل سريعاً عن الحساسيات وأعطيت الأولوية لمواجهة الاجتياح. طبعاً للأدوار علاقة بالأحجام وإمكانات العمل، لكن الجميع كانوا على مستوى المسؤولية.

* * *

كانت الثمانينيات العقد الأكثر خطورة في تاريخ لبنان المستقل، ففيه بلغت حروب اللبنانيين ذروتها، والأمر نفسه بالنسبة إلى الحروب على الورقة اللبنانية. وكان المشهد الإقليمي والدولي يصب الزيت على الحرائق المشتعلة.

في إسرائيل أمسك تكتل ليكود بالسلطة وراح مناحيم بيغن يبحث عن حربه، وآرييل شارون ينتظر فرصة تنفيذ مخططه الهادف إلى شطب منظمة التحرير الفلسطينية من الوجود وحرمانها آخر موقع لها على خط التماس العربي ــ الإسرائيلي. وعشية العقد تحرك البركان الإيراني وانتصرت الثورة الإسلامية بقيادة الإمام الخميني، فتردد صدى انتصارها في المنطقة وفي جنوب لبنان وبقاعه وضاحية بيروت الجنوبية. وفي العام الأول من العقد تولى صدام حسين مهمة حصر النار في المرجل الإيراني، فكانت الحرب الطويلة التي عاد منها «منتصراً» يبحث عن تكريس لزعامته العربية ولم يتردد في اختيار «الساحة اللبنانية» مكاناً لمحاربة خصوم مشروع زعامته أو إزعاجهم.

وكان المشهد الدولي مختلفاً: انتخب الأميركيون رونالد ريغان حاملاً مشروع قوة، وتعهّد تحميل «أمبراطورية الشر» ثمن مغامرتها في أفغانستان، فأطلق «حرب النجوم» واستدرج الاتحاد السوفياتي إلى سباق تسلح قاتل.

في ظل هذه الصورة حصل الاجتياح الإسرائيلي للبنان في ١٩٨٢ محاولاً شطب منظمة التحرير وتطويق سورية وانتزاع الحلقة اللبنانية من خط المواجهة ودفع الاتحاد السوفياتي إلى خارج المنطقة. في تلك الأيام صُنعت مصائر كثيرة: أصرّ ياسر عرفات على المغادرة بحراً فكان إعلان الطلاق بين دمشق وقيادة المنظمة التي انتظرت في تونس، وكانت الانتفاضة ثم

طريق أوسلو. وفي تلك الأيام اختار نبيه بري رئيس حركة «أمل» طريق المقاومة فبدأ صعود «أمل» وبلغ ذروته في انتفاضة ٦ شباط (فبراير) ١٩٨٤.

لم يغفر الاتحاد السوفياتي لإسرائيل ما فعلته بالصواريخ السوفياتية. ولم تتأخر دمشق في الرد على الغزو الإسرائيلي، فكانت «حرب الجبل» في ١٩٨٣ ثمرة قرار ثلاثي اتخذته دمشق وموسكو مع وليد جنبلاط طبقاً لما قاله رئيس الحزب التقدمي الاشتراكي في سلسلة «يتذكر».

غابت منظمة التحرير وغاب معها الطرف العربي الذي كان ينازع سورية ميدانياً على دورها في لبنان وسقط اتفاق ١٧ أيار (مايو) اللبناني ـ الإسرائيلي. مذذاك بدأت تحديداً بعد ٦ شباط، محاولات إعادة صياغة لبنان بتوازناته الداخلية وعلاقاته الإقليمية فكان «الاتفاق الثلاثي» الذي تعثر، وكان اتفاق الطائف عشية انتهاء العقد.

كانت الثمانينيات عقد العواصف. وفي العواصف تلك انتهت زعامات وولدت زعامات وتكرست زعامات. في «حرب الجبل» تكرست زعامة وليد جنبلاط الذي حقق انتصاراً تعذر على والده كمال جنبلاط تحقيق معادل له. لكن الانتصار بدا أكبر من قدرة جنبلاط على توظيفه ربما لأنه لم يصنعه بقواه الذاتية وحدها. وما لبثت التسعينيات أن أظهرت أنّ الزعيم الأوحد لطائفته ممنوع. وفي ٦ شباط نقل نبيه بري الطائفة الشيعية من الإقامة في ضاحية القرار إلى الإقامة في صلب القرار، فانتهى نظام الثنائية المارونية ـ السنية وبدأ عهد آخر. وفي التسعينيات صعد بري إلى رئاسة مجلس النواب لكنه لم يكن الزعيم الأوحد لطائفته. وفي العقد المضطرب صعد سمير جعجع وحوّلته التسعينيات سجيناً، وكان قد

دخل قبل ذلك في صدام قاتل مع العماد ميشال عون كرس «نكبة الموازنة»، وهي كانت مطلوبة لقيام الوضع الذي قام. وفي الثمانينيات أرسى رفيق الحريري بهدوء مداميك صعوده ناسجاً العلاقات وممسكاً بالخيوط وتاركاً بصماته في أكثر من مكان. وكرسته التسعينيات زعيماً لكنه لم يكن هو الآخر الزعيم الوحيد لطائفته.

على مسرح الثمانينيات المشتعل كان نبيه بري لاعباً كبيراً وها هو يتحدث عن محطتين تحملان بصماته، انطلاق المقاومة و ٦ شباط، وآثار المحطتين ماثلة في ملامح التسعينيات.

* * *

■ **في ١٩٨٢ شاركت في إطلاق المقاومة الوطنية؟**

ـ لا أريد القول إنني شاركت بل أسست. في الواقع، بعد المواجهة التي حصلت في خلدة ضد الإسرائيليين بدأت علامات صعود حركة «أمل» ترتفع في موضوع المقاومة حتى غطت الجميع، فراحوا يلتفون حولها وإلى جانبها. وقبل فك الحصار الإسرائيلي عن بيروت استدعيت الشهيد محمد سعد ـ رحمه الله ـ وقلت له: ستتسلم مسؤولية المقاومة في الجنوب. كان يوم أحد، ورد محمد سعد مستغرباً: لماذا أنا؟ فأجبته: لأن الذي ينظر إليك لا يفكر لحظة في أنك مقاوم.

كان محمد سعد بلا ذقن ولم يكن طويلاً، وكان نحيلاً بالكاد يلامسه الورد. في المقابل كنت أعرفه تماماً وأدرك صلابة إرادته والقوة الكامنة فيه وإيمانه الحقيقي الذي لا يتزعزع. وفي العمل التنظيمي كان نائب المسؤول التنظيمي في إقليم الجنوب، لم يكن

الشخص البارز. البارز كان الشهيد محمود فقيه. أول عمل أقدمت عليه عندها هو حل تنظيم «أمل» في الجنوب.

■ هل حللته لأنه كان مخترقاً؟

ـ لا، على العكس تماماً. لا يمكن أن تخوض مقاومة مسلحة بتنظيم مكشوف، فهذا يعني أنك تسلم الناس للاعتقال. عملية عسكرية واحدة يمكن أن تؤدي إلى اعتقال كل الأسماء المكشوفة والمعروفة. أعطيت أمراً بحل كل التنظيم الذي كان قد طفا على السطح قبل الاجتياح. وقررنا إنشاء تنظيم للمقاومة تحت الأرض يقوم على أسلوب الخلايا الثلاثية العمودية. الرقم واحد يعرف الرقم ثلاثة وبالعكس، ومن في الوسط يعرف الاثنين. في السابق كان العدد في الإقليم يصل إلى ١٢ وفي المنطقة إلى عشرة وفي الشعبة إلى سبعة. كنت قبل ذلك قد قمت بزيارات عدة للجزائر وتعرفت إلى أساليب العمل المقاوم فيها. لم نعتمد النمط نفسه بل اعتمدنا شيئاً قريباً. لم يعد هناك شيء اسمه عمل حركي ولم يعد هناك وجود لحركة «أمل» في الجنوب بالمعنى التنظيمي، وبدأ محمد سعد ببناء الخلايا.

بعد ذلك أصبحت المشكلة توفير المعدات والأدوات اللازمة للعمل المقاوم، خصوصاً العبوات والأشياء التي يحتاج إليها المقاومون للقيام بعمليات تفجير، وهي أكثر أسلوب استعملته حركة «أمل».

■ من أين جئتم بالسلاح؟

ـ هناك شيء كان لا يزال موجوداً في الجنوب وكان هناك شيء من مخلفات التنظيمات الفلسطينية. وفي كثير من الحالات استطعنا

على رغم كل الحصارات في الجنوب أن نهرّب الكثير من الأدوات والمواد اللازمة. كان محمد سعد خريج المدرسة المهنية في الجنوب ويتمتع بخبرة في تركيب بعض المواد المتفجرة أسوة بإخوان له مروا في مؤسسة جبل عامل المهنية التي أسسها الإمام الصدر فوق صور على كتف البرج الشمالي. وهي كانت بمثابة الفرن في موضوع المقاومة. فمن هذه المدرسة جاءت أهم كوادر المقاومة. ومنها جاء أبرز الاستشهاديين. حسن القصير منها، وبلال فحص مرّ فيها وكثيرون تعلموا فيها. بلال فحص كان يعرف النجارة أي كان نجاراً.

استخدمنا كل الفرص لإيصال ما تحتاج إليه المقاومة. بعض الأشياء كنا ندسه في قساطل المياه المشحونة إلى الجنوب، وبعض الأسلحة كنا ندسه في شاحنات الطحين. كان همنا أن نوصل إلى المقاومة ما تحتاج إليه بكل الوسائل. وكان الشهيد محمد سعد يشكو مطالباً بالمزيد، فضلاً عن أن تحركه في الجنوب كان محفوفاً بالأخطار. انتظمت العملية واشتهرت حركة «أمل» بنصب الكمائن لقوات العدو الإسرائيلي وتفجير العبوات وصولاً إلى العمليات الاستشهادية التي بدأناها.

■ أين كانت أولى العمليات الاستشهادية؟

ـ استهدفت العملية الاستشهادية الأولى مقر الحاكم العسكري الإسرائيلي في صور، والثانية كانت العملية التي نفذها بلال فحص، وقد سميته «عريس الجنوب» لأنه كان قد عقد خطوبته على فاطمة منتش ولم يستطع الزواج منها لأنه اختار طريق الاستشهاد وترك لها رسالة وترك لي رسالة. وكان بلال مرافقاً لي.

■ هل كنت تستقبلهم قبل تنفيذهم عملية استشهادية؟

ـ سأروي لك قصة لتأخذ فكرة عن هؤلاء الأبطال الذين يظلون مجهولين بعملقتهم حتى ولو اشتهروا وعرفت الناس أسماءهم. قبل الاجتياح في ١٩٨٢ كنت أريد شخصاً للعمل معنا في المكتب وتكون مهمته استقبال الزوار. فرزوا لي من حركة «أمل» شاباً في أول طلعته اسمه بلال فحص، وكان ناعماً ولا علاقة لملامحه بالقسوة. وسألته عن مستواه العلمي فقال أعرف قليلاً في النجارة، وكان إذا تعطل باب أو سرير يتولى إصلاحه. بعد فترة تطور مع رئاسة الحرس وأصبح يقف عند الباب أي عند حاجز الحديد الذي كان في بربور. عندما تصل سيارة يدقق فيها ثم يرفع الحاجز الحديد للسماح لها بالدخول. وتوليت وزارة الجنوب والموارد المائية والكهربائية والعدل واخترت مكتباً في الأونيسكو لأنني لم أكن قادراً على المداومة في مكان آخر. وذات يوم كنت في المكتب وقالوا لي إن شخصاً اسمه بلال فحص يصر على التحدث إليك في الهاتف. أخذت السماعة معتقداً أن شيئاً ما حدث في البيت وسألته عن سبب اتصاله فأجاب: أريد أن أقول لك أن تسامحني إذا كنت قد فعلت لك شيئاً. قلت: أسامحك على ماذا فهل تسببت في مشكلة. قال: لا أبداً ولكن إذا كنت قد فعلت شيئاً فسامحني.

كنت قبل ذلك قد أعطيت جهاز المقاومة في الحركة الأمر والإذن بتنفيذ عمليات استشهادية ولم أكن أعرف أن الخيار وقع عليه، فقد قدم شبان كثر أنفسهم، وكان على قيادة المقاومة أن تختار وتعرض الأمر علي لاحقاً. في نهاية الاتصال قال لي بلال: هل يمكنني أن ألتقيك عندما تعود إلى البيت؟ فأجبته: بكل تأكيد.

أقفلت الخط ووقفت لأسلم على بعض الذين جاؤوا لزيارتي، وإذا بي أشعر بشيء من الدوار وبأن جسمي لم يعد متوازناً. لم تكن للأمر علاقة بالاتصال الهاتفي، كانت مجرد صدفة. أحضر الشباب السيارة وتوجهوا بي إلى مستشفى نجار فقال الأطباء إن الدوار قد يكون نجم عن وجع في الأذن، وألحوا علي أن أرتاح لثلاثة أيام فاضطررت إلى النوم في المستشفى لاستكمال الفحوص. في اليوم التالي صار باستطاعتي أن أسأل من الذين اتصلوا بي لأعرف ما يحدث، وكان بين الأسماء اسم بلال فحص الذي جاء ولم يتمكن من رؤيتي لأن المقابلات كانت ممنوعة علي واتصل هاتفياً مرات عدة.

وفي اليوم الثالث ضجرت وطلبت أن يحضروا لي تلفزيوناً وإذ بالمذيع يعلن أن شاباً يقود سيارة «مرسيدس» اقتحم تجمعاً لأرتال الدبابات الإسرائيلية في محلة الزهراني، في المكان الذي يوجد فيه اليوم النصب الذي أقيم تخليداً لذكراه. دخل بين الدبابات وفجّر سيارته وسقط قتلى وجرحى. وكان الحادث كبيراً جداً. شيء ما في داخلي قال لي إن الشاب هو بلال فحص. اتصلت برئيس الحرس في منزلي وقلت له أريد التحدث إلى بلال، فرد رئيس الحرس: حضرة الرئيس سنتصل بك لاحقاً. قلت له: أين بلال؟ فرد: نخبرك في ما بعد. كانت الساعة حوالي التاسعة والنصف ليلاً فكتبت قطعة «عريس الجنوب» واتصلت بالأستاذ طلال سلمان (رئيس تحرير صحيفة «السفير») لنشرها افتتاحية وقلت له إن الشاب الذي استشهد هو بلال فحص.

في اليوم التالي أحضروا لي وصيته ورسالة وجهها إليّ، وأحضروا أيضاً رسالة اعتذار وجهها إلى خطيبته فعرسهما كان مقرراً بعد

شهر. انظر إلى هؤلاء الناس الذين باعوا دمهم من أجل وطنهم الغالي.

وهناك حادثة ثانية في السياق نفسه. كان مقرراً أن ألقي كلمة في مهرجان في مبنى سينما كونكورد. قبل المهرجان أصدرت أمراً بتنفيذ عملية استشهادية وكنت أنتظر إشارة على جهاز اللاسلكي أنها نفذت، إشارة خاصة من نوع «العدس غلي سعرو» (العدس ارتفع ثمنه)، للدلالة على نجاح العملية. جاءت الإشارة قبل خمس دقائق من إلقائي كلمتي وكنت آخر الخطباء في الاحتفال. وقفت وقلت: الآن وأنا أعتلي هذا المنبر اقتحم فتى عامل ـ هكذا سميت منفذ العملية حسن قصير ـ أرتال الدبابات والملالات الإسرائيلية مفجراً نفسه من أجل الجنوب والوطن. إنها عملية بطولية صورت بالفيديو من على سطح المؤسسة المهنية. مرّ حسن قصير هادئاً بسيارته من طراز «مرسيدس» كأنه ذاهب في نزهة، وحين أصبح في محاذاة الآليات الإسرائيلية انقضّ عليها واندلع شهب من النار. كنت ألقي كلمتي والناس يستمعون إلى الراديو. والدة قصير كانت تسمع الخطاب مع زوجها وأولادها الباقين وهي في دير قانون. لم تعرف أن منفذ العملية هو ابنها لكن تعليقها كان «فليحي البطن الذي حمل من قام بهذا العمل». أخفينا في البداية اسم البطل لئلا يتعرض أهله للاعتقال. كانت خسائر الإسرائيليين فادحة، نحو تسعين قتيلاً بين ضابط وجندي.

■ أرسلت هؤلاء الشبان إلى الموت فماذا كان شعورك؟

ـ هذا الشعور لا أستطيع وصفه. لا يستطيع أحد وصف هذا الشعور مهما أوتي من البلاغة والدقة في التعبير والقدرة على

الالتصاق بالمشاعر. كثيرون منهم جاؤوا قبل العمليات وتصوّرنا معاً وقبلتهم وقبلوني. كانوا يذهبون إلى الموت ليعطوا الحياة لوطنهم. شبان في أول العمر لا يبخلون بأعمارهم ليحرسوا أرضهم وبلادهم.

■ **كم عدد شهداء «أمل»؟**

ـ العدد كبير جداً وهو موجود في مؤسسة الشهداء التابعة للحركة. هناك الذين استشهدوا في عمليات ضد الإسرائيليين وهناك أيضاً الذين سقطوا في معارك جانبية مؤسفة ومؤلمة. العدد كبير.

■ **بالآلاف؟**

ـ نعم أكثر من ألف.

■ **هل كان ينتابك شعور آخر إذا سقط مقاتل من «أمل» في صدام مع «حزب الله» مثلاً؟**

ـ لا شك في ذلك.

■ **هل تشعر بأن دمه ضاع؟**

ـ ليست قصة أن هذا ضاع دمه وذلك لم يضع. يختلف الأمر ويختلف الميزان الذي نقيس عليه. هنا قتال مؤسف يتألم له المرء. هنا تتكلم بألم وغصة وحرقة، وهناك وعلى رغم الدماء الغزيرة تتكلم بفخر واعتزاز.

■ **ما هي قصة الطيار الإسرائيلي رون أراد؟ وما هي علاقة مصطفى الديراني بهذا الأمر؟**

ـ أسقطت حركة «أمل» طائرة حربية إسرائيلية كانت تقوم في

١٩٨٦/١٠/١٦، بغارات أي كانت تشارك في عملية عسكرية. تمكن الإسرائيليون من إنقاذ أحد الطيارين ربما لاحتفاظه بجهاز إرسال صغير يُجهز به الطيارون لمثل هذه الحالات. ولم يتمكنوا من إنقاذ أراد، فاعتقله شباب «أمل» وأحضرناه إلى السجن؟

■ أين السجن؟

ـ في مكان في الضاحية الجنوبية. حققنا معه وأبقيناه قيد التوقيف. لماذا؟ لأنه رجل عسكري كان يقصف أهلنا وأطفالنا ونساءنا، ولأننا نريد إجراء عملية تبادل. في الفترة التي كان فيها أراد في يد حركة «أمل» كان الطبيب يزوره وكان يبعث برسائل إلى إسرائيل ويتلقى رسائل. وبدأت مفاوضات معي من طريق البريطانيين من أجل تنظيم عملية تبادل. أصررت خلال الاتصالات على أن تطلق إسرائيل في مقابل أراد كل المعتقلين اللبنانيين والفلسطينيين بمن فيهم الذين صدرت عليهم أحكام مبرمة.

وافقت إسرائيل على المطالب لكنها رفضت إطلاق ١١ أسيراً صدرت عليهم أحكام مبرمة فتمسكت أنا بإطلاقهم. أحضرنا لوائح من الفلسطينيين كلهم. وفي هذه الأثناء حصل انشقاق «المقاومة المؤمنة» وكان أراد في تصرف الأمن المركزي عند الأخ مصطفى الديراني (خطفه الإسرائيليون لاحقاً في منزله في البقاع) الذي بات مع الانشقاق خارج الحركة وعند هذه النقطة انقطعت علاقته بـــ «أمل».

■ نقل عنك لاحقاً أن الديراني باع أراد لإيران؟

ـ لم أقل هذا الكلام. علاقة «أمل» بموضوع أراد انقطعت بعد

الانشقاق وخروج الديراني منها.

■ **وماذا عن مصير أراد؟**

ـ أنا كنت أعرف عنه عندما كان لدى «أمل» وبعدها لم أعد أعرف عنه شيئاً.

■ **كيف حدثت حركة ٦ شباط (فبراير) ١٩٨٤ ومن اتخذ القرار وما صحة ما يقال عن علاقة سورية بما حدث؟**

ـ الذي اتخذ قرار ٦ شباط هو الظلم الذي مارسته السلطة. ثم لماذا يلصقون كل شيء بسورية، علماً أننا كنا معزولين في تلك الفترة؟ كنت أعقد اجتماعات في منزلي في بربور، وكان ممثلو القوى الوطنية يحضرون ويجلسون حولي ونستعرض الوضع والتطورات. في ذلك الوقت كانت «القوات اللبنانية» تسيطر على الشارع وبلغ الظلم حدوداً يصعب تصديقها، وراحت الناس تتململ من الممارسات التي ترمي إلى ترويع المواطنين وإهانتهم.

في استطاعتي سرد آلاف الأمثلة لو شئت وخذ واحداً منها: تأتي سيارة تابعة لـ «القوات» وتتوقف أمام منزلي وتبدأ ببث خطاب لبشير الجميل بصوت مرتفع، ثم تعيد بثه بطريقة استفزازية. لم يكن في استطاعة أحد منعهم. لم يكن لدي حراس. كان هناك بواب من دون سلاح ولا يستطيع التحرك أو القيام بشيء. كانت الممارسات السلبية تتكاثر وتتصاعد وكانت متعددة المصادر، من «القوات» واستخبارات الجيش اللبناني وأجهزة عهد أمين الجميل. تحملنا الأشياء الشخصية، وكنا نتصرف بروية ونناقش ما يحصل،

لكن الظلم اتسع وصار عاماً. والظلم يولّد الانفجار الحقيقي لأن الناس قد تصبر يوماً أو شهراً لكنها لا تستطيع احتمال التسلط والظلم إلى ما لا نهاية.

هنا أريد العودة قليلاً إلى ١٩٨٢ وما حدث في الضاحية لأنه شق يستحق تسليط الأضواء عليه: اجتاحت إسرائيل الجنوب ووصلت إلى خلدة واحتلت بعبدا وصولاً إلى صوفر، واحتلت بيروت ثم انكفأت. هناك جزيرة استعصت على العدو الإسرائيلي ولم يتمكن من الدخول إليها وهي من حدود حي السلم إلى الشياح وبرج البراجنة وبئر العبد. تلقيت اتصالاً من استخبارات الجيش اللبناني وقال المتحدث: إذا كان يهمك أمر الشيعة وأمر الضاحية الجنوبية نريد أن نبلغك أن الإسرائيليين سيدخلون الضاحية صباح غد في الثامنة أو التاسعة، وإذا أطلقت رصاصة في اتجاههم فإن الضاحية ستدمر وستمحى عن بكرة أبيها. قلت: لماذا يريدون دخول الضاحية؟ فأجاب المتحدث: نحن أخبرناك بالأمر وسنهتم بكم. أقفلت الخط وجمعت القيادة في بربور وقلت لهم الأوامر هي التالية: يدخلون إلى الضاحية لكن على جثثنا. أعددنا خطة وأرسلنا كل الشباب إلى الضاحية. ولم أحتفظ سوى بمرافقين اثنين. زودنا الشباب قذائف «آر. بي. جي» وطلبنا منهم التمركز في الشوارع الرئيسية التي يمكن أن تسلكها الآليات الإسرائيلية. يومها ارتفعت أصوات في الضاحية تقول بعدم جواز القتال ما لم يكن هناك تكافؤ في القوى لأن العمل يصبح إذذاك انتحارياً وغير مقبول دينياً. كان موقفي واضحاً: لن يدخلوا الضاحية مهما كلف الأمر.

سأروي لك ما حدث نقلاً عن سفير الجزائر مصطفى الهشماوي، فقد دارت المعركة قرب السفارة الجزائرية وكان مسكنه هناك.

تقدمت دبابة إسرائيلية من أمام السفارة الجزائرية ووصلت إلى آخر الشارع ولم تتعرض لطلقة واحدة فأجرى طاقمها اتصالات فتحركت الآليات ولحقت بها وأصبحت في وسط الشارع وكان عددها نحو ١٤ دبابة. عندها انبرى الشهيد محمود فقيه وكان مرافقاً لي، وهتف «الله أكبر» وركع على ركبته وصوّب قذائف الـ «آر. بي. جي» إلى الدبابتين الأولى والأخيرة فأصيبتا وأقفلت الطريق ونزل شباب «أمل» من الشرفات كالعفاريت. وقال الهشماوي إنه شاهد الإسرائيليين يسحبون ١٤ جثة.

فشل الهجوم الإسرائيلي وغنمنا يومها عربة نصف مجنزرة احتفظنا بها، وحتى عندما دخل الإسرائيليون لاحقاً واحتلوا المنطقة بكاملها خبأناها تحت الرمل في مقبرة الشهيدين وسلمت لاحقاً إلى الجيش اللبناني بعد دخوله. استولى الشباب يومها على أجهزة لاسلكي من أطقم الدبابات. كانت تلك التجربة الأولى والأخيرة لدخول أحياء الضاحية الجنوبية واكتفى الإسرائيليون بعدها بتطويق الضاحية بما فيها حي السلم. أصاب محمود فقيه الدبابتين، وعلى رغم نداءات رفاقه أصر على متابعة توجيه القذائف إلى الدبابات الأخرى فأصيب بقذيفة شطرته قسمين. وحاولت لاحقاً أن أطلق اسمه على الشارع القريب من المدينة الرياضية. هذا الجزء الذي استعصى على الإسرائيليين في الضاحية الجنوبية ـ وقد سميتها يومها الضاحية الشموس ـ مكننا من أن نتحرك بعض الشيء كأن نرسل طحيناً إلى أهلنا في الجنوب وأن ندس في الطحين بعض الأدوات التي ستحتاج إليها المقاومة في عملها.

الوضع في بيروت الغربية كان مختلفاً والممارسات الشاذة على أشدها. تحملنا افتراءات شخصية واعتداءات، لكن اتساع نطاق

الظلم هيأ الأرض للانفجار. راحت السلطة تحاول فرض وجودها بطريقة عدائية فتكاثرت عمليات الدهم والاعتقالات الاعتباطية وحوادث الخطف تحت ذرائع أمنية. في هذا الجو الأمني الضاغط جاءت قصة اتفاق ١٧ أيار (مايو) ١٩٨٣ وحصلت صدامات عدة مع الجيش والقوى الأمنية سقط فيها قتلى وجرحى خصوصاً أثناء محاولة إخلاء مدرسة «الاليانس» في وادي أبوجميل. ضغط أمني وجو سياسي مشحون وسلوك استعلائي من قبل السلطة. في آب أغسطس (١٩٨٣) حصلت صدامات أمنية كثيرة. وفي الأسبوع الأخير منه بلغ التوتر حداً كبيراً. سادت في بيروت الغربية والضاحية حالة غليان وحصل ما يشبه الاستنفار العام وتحول منزلي في بربور إلى خلية نحل، حالة شعبية كاملة من الرفض لنهج السلطة وممارساتها.

وشعرنا بأن أمين الجميل يرتب عملاً عسكرياً لإخضاع الضاحية وبيروت. في هذا الوقت تلقيت اتصالاً من الشيخ رفيق الحريري الذي كان موجوداً في باريس قال لي فيه: لماذا ستحصل مشاكل بينك وبين أمين الجميل فهو يقول إنه مستعد لاقتسام اللقمة بينك وبينه؟ أجبته: وهل نتقاتل نحن على الخبز أو الفرن؟ ويبدو أن الحريري طلب الجميل في هذا الوقت على الخط الثاني. وقلت له إن أمين الجميل حضر استعدادات عسكرية لاقتحام بيروت الغربية وتركيعنا أكثر مما هو حاصل حالياً. قال الحريري إن الجميل معه على الخط الآخر ويؤكد أن لا نية لديه للقيام بعمل عسكري. سألته هل أنت واثق؟ فأجاب: نعم. فقلت له: الآن تأكد لي أنا أنه سيدخل.

بعد قليل عاد الحريري ليتصل بي ثانية ويقول إن أمين الجميل لا

ينوي دخول بيروت الغربية وقد أعطاه وعوداً وضمانات. لم أصدق وفي الصباح الباكر اقتحم الجيش بيروت الغربية بالأسلوب الذي استخدمه الإسرائيليون وبخطة عملانية مطابقة. واستخدم الجيش في هجومه نحو ١٢ ألف جندي وسلك الطرق نفسها ووجه العسكريون قاذفات اللهب إلى الشوارع فاحترقت السيارات وكان القصف شديداً. حاولنا مقاومة طلائعهم في كورنيش المزرعة ببعض قذائف الـ «آر. بي. جي» التي كانت بحوزتنا لكن ذلك لم ينفع. دخلوا وأحرقوا السيارات في بربور واحتلوا المنطقة كلها.

كنت في منزلي في الطبقة الرابعة مرتدياً «دشداشة» وحولي عدد كبير من الناس. كان زاهر الخطيب حاضراً وعدد من القياديين أعتقد بأن كريم مروة (من قيادة الحزب الشيوعي) كان بينهم. احتل العسكريون مدخل المبنى وصعد إلى الطبقة الرابعة ضابط بدا في رأسه جرح صغير من آثار المعركة. قال الضابط: «مرحباً، أنا أرسلني الشيخ أمين الجميل ليقول إن لا نية لديه لاحتلال المنطقة وكل ما يريده هو الاستقرار». وجلس. قلت له: من قال لك أن تجلس. كان الضابط برتبة مقدم على ما أذكر واكتشفت من لهجته أنه جنوبي. أذكر أنه من منطقة مرجعيون. عندما عرفت أنه من الجنوب قلت له: «أنت ابن الجنوب وتفعل هذا! قم واذهب».

والحقيقة أن حالة من الغضب انتابتني ولحقت به على الدرج، لكن زاهر الخطيب وآخرين أمسكوا بي لتهدئتي. نزلت إلى مدخل البناية فرأيت العسكريين يطوقون المكان فرحت أشتمهم فراحوا يهربون مني احتراماً. كان المشهد مثيراً للغضب فعلاً: رؤية السيارات المتفحمة والأضرار من جراء استخدام الدبابات وقاذفات اللهب. العدو لا يدخل بهذا الشكل فهل يعقل أن يفعل اللبناني ذلك

متناسياً أن الأرض أرضه والشعب شعبه؟ قبل أن أطرد الضابط قلت له: قل لأمين الجميل إنني لا أهنئه ولا أهنئ لبنان به. وقل له أيضاً: ليس المهم من يربح معركة بل المهم من ينتصر في الحرب. واتخذت قراري بالرد.

علمني الانكسار درساً إذ لم تكن لدينا رشاشات ولا مسدسات. أيضاً بعض الإشكالات مع القوات المتعددة الجنسية، خصوصاً الوحدة الأميركية فيها التي كانت متمركزة في منطقة المطار. شعرت بأن الحوار متعذر وأفقه مسدود، وأن علينا أن نعد للمعركة. وكان لا بد من السرية وأعطيت توجيهات بإنشاء خلية لـ «أمل» في كل حي وبدأت أحضر الجهاز العسكري. وللأسف فرضوا علينا أن نستعد لمواجهتهم كما نستعد لمواجهة الإسرائيليين. شعرت بأن السلاح الأكثر فاعلية سيكون قذائف الـ «آر. بي. جي»، وكان علينا أن نوفرها حتى ولو اقتضى الأمر شراءها. وكانت خطتي أن يكون في أيدي الشباب ما لا يقل عن خمسين منها. حدثت سلسلة اشتباكات وانهيارات أمنية وكان الجيش يرد بعنف بالغ، مستخدماً مدافع الدبابات فيتسبب القصف في خسائر بشرية ودمار. هذا السلوك ضاعف من الاحتقان الشعبي.

الحقيقة أن حالة من الغليان كانت تسود في بيروت الغربية والضاحية الجنوبية، تململ واسع من نهج السلطة ورغبة في كبح هذا النهج. هذه الأجواء المشحونة كانت تنادي رأساً، أي أنها تبحث عن قيادة إذ يستحيل أن تخاض معركة بهذا الحجم عسكرية وسياسية من دون قيادة قادرة على اتخاذ القرار وتحمل تبعاته، ووجد الناس تلك القيادة في حركة «أمل» وقيادة «أمل».

هنا أريد أن أقول حقيقة سعى كثيرون إلى التنكر لها وهي أن ٦ شباط كانت حركة بيروتية أولاً وآخراً، ودور السني والدرزي والمسيحي الوطني لم يكن أقل من دور الشيعي وإن تكن «أمل» قد اضطلعت بعبء كبير في تلك المرحلة.

كان الجيش قوياً ويتولى الأميركيون تدريبه، وهو جيش نظامي بكامل أسلحته وخططه. لكن تململاً راح يظهر في صفوف الجيش وبدأنا نتحاور مع ضباط في اللواء السادس الذي كان منتشراً في بيروت ومع ضباط من خارج هذا اللواء أيضاً، وبدا أنهم باتوا غير قادرين على تحمل الضغط والظلم. شعرت الاستخبارات في الجيش اللبناني ببعض هذه الاتصالات فجاءني مديرها العقيد سيمون قسيس قبل ٦ شباط بفترة وجيزة ليفاوضني من أجل حل الموضوع بطريقة ودية وكانت القوات المتعددة الجنسية لا تزال منتشرة في بيروت الغربية وحتى في الشارع الذي أقطن فيه.

قال قسيس لا نية سيئة لدى أمين الجميل ودعنا نتفاهم. فسألته عن سلسلة من الاستفزازات والممارسات. وقلت له لدينا ٥٦ موقوفاً بعضهم ضرب إلى درجة لم يعد معها قادراً على تحريك يده. كنت أعرض له هذه الممارسات حين ارتفع هدير الدبابات في الشارع الذي أقيم فيه إلى حد لم يعد أحدنا يسمع الآخر. ذكرني كلامه بكلام الحريري لي صيف ١٩٨٣ عن عدم وجود نية سيئة لدى الجميل. قلت لقسيس: هل أتيت تفاوض باسم السلم أم أتيت تفاوض راكباً على دبابة؟ عن أي سلام تحدثني؟

راح قسيس يشتم ويقول: ما هؤلاء الكلاب! ما هؤلاء الحمير! لا بد أنها غلطة. وطلب رقماً في الهاتف وراح يدمدم: ماذا تفعلون؟

طبعاً كان يحاول الإيحاء بأن متشددين في القيادة يحاولون إحباط مسعى يقوم به من أجل تسوية تقطع الطريق على المواجهة. في هذه الأثناء وصلت دبابة إلى مدخل البناية التي أسكنها وهمّ بعض جنودها بالترجل فمنعتهم عناصر فرنسية من القوات المتعددة الجنسية. سمعت تلقيم السلاح ورأيت جندياً فرنسياً وهو أسمر اللون منبطحاً على الأرض وهو يقول لهم ممنوع عليكم الدخول، كاتبني هذا الجندي لاحقاً وكاتبته. عند هذه النقطة قلت لسيمون قسيس: ارحل لقد وصلت الرسالة، لم تعد هناك ضرورة لإكمال المحادثات. عرفنا نياتكم السلمية. هذه القصة تشبه يوم هاتفني الشيخ رفيق الحريري من باريس والكلام هو نفسه. يبدو أنكم تريدون السلام من فوهة المدفع.

أدركت أنني صرت قابضاً على زمام الأمور في بيروت الغربية. استعداداتنا العسكرية اكتملت والجيش الموجود في بيروت الغربية موقفه معنا. الحالة السياسية مهيأة والحالة الشعبية أصبحت كاسحة ماسحة بنسبة ٩٠ في المئة لئلا أقول مئة في المئة. كنت واثقاً من أن أمين الجميل يريد الدخول كما في المرة السابقة. وبصراحة تمنيت أن ينفذ العملية هذه المرة الفريق نفسه الذي دخل في المرة السابقة. وفعل ما فعل واستجيبت دعواتي. تلقينا معلومات أن الدخول متوقع في الخامسة صباحاً. دخلوا فعلاً فأسر الشباب الدبابات ووضعنا يدنا على كل الأرتال ووضعنا يدنا على الثكن. وفي هذه الأثناء تحرك الحزب التقدمي الاشتراكي من جهة الكارلتون. وهكذا حدثت ٦ شباط وتمت السيطرة نهائياً على بيروت الغربية وأعيد وصلها بالضاحية الجنوبية. ولم يعد في استطاعة القوة المتعددة الجنسية البقاء وباشر الأميركيون مفاوضات من أجل الانسحاب وقالوا إنهم لا يريدون الانسحاب في ظل علم حركة «أمل» في الأوزاعي. تمسكنا

بعدم إزالة علم الحركة وحصل الانسحاب أمام شبكات التلفزيون العالمية. هذه هي قصة ٦ شباط وهي غيرت صورة الوضع تماماً. بانتخاب بشير بدأ عصر اعتبرناه إسرائيلياً وفي ٦ شباط سقط ذلك العصر وبدأ العصر العربي.

* * *

الانتصار الحاسم ممنوع في لبنان. إنه قانون اللعبة. وأكدته تجربة الثمانينيات. لم يتمكن أي منتصر من توظيف انتصاره على النحو الذي تمناه أو اشتهاه. وهذا يصدق على وليد جنبلاط بعد «حرب الجبل» في ١٩٨٣ وعلى نبيه بري بعد ٦ شباط ١٩٨٤ وعلى سمير جعجع بعد إسقاط «الاتفاق الثلاثي» مطلع ١٩٨٦، طبعاً مع فارق أن الحرب انتهت بانتصار الفريق المتحالف مع سورية ودفع رموز الفريق الآخر إلى خارج النظام أو خارج البلاد.

لم تكن رحلة نبيه بري سهلة بعد تجربة ٦ شباط التي غيرت موازين القوى في العاصمة وفي البلاد كلها. وكالعادة كان على المنتصر أن يصطدم بحلفائه.

يروي رئيس مجلس النواب اللبناني قصة حروب الحلفاء في شوارع بيروت الغربية وقصة «حرب المخيمات» ومحطات أخرى.

■ **ألم يكن لسورية دور ميداني في ٦ شباط؟**

ـ على الإطلاق. في ٦ شباط كنت أحاول إيصال خبر إلى الإخوة السوريين لأرى هل يمكن أن يرسلوا إليّ أسلحة أم لا. لم تكن هناك مواصلات.

■ **وعلى الصعيد السياسي؟**

ـ سياسياً كانت العلاقة مع سورية قائمة دائماً ومستمرة. في تلك الفترة كان الأستاذ وليد جنبلاط مقيماً في دمشق وأعطى أوامره للحركة الوطنية والحزب التقدمي الاشتراكي وقال لهم: أنتم بتصرف نبيه بري وهو رئيسكم وقائدكم. هكذا حرفياً. وفي تلك الفترة كنت أعطي أمراً للحزب التقدمي الاشتراكي كما لحركة «أمل» وللحزب الشيوعي أيضاً. كل الناس أصبحت بقيادتي.

■ **هذا يعني أنهم كانوا شركاء في صنع ٦ شباط؟**

ـ بالتأكيد كانوا شركاء، ولهذا فإن الذين يقولون إن حركة ٦ شباط كانت حركة شيعية يحاولون تشويه التاريخ. أنت تذكر بالتأكيد صورة ذلك الرجل الذي خرج حاملاً سكيناً ومشى في الطريق. ذلك كان في محلة البسطة وكان الرجل، بالمعنى المذهبي، من إخواننا السنّة.

■ **قال أحمد جبريل في سلسلة «يتذكر» إنه أرسل إليك قبل ٦ شباط ست شاحنات سلاح، ومعروف أن أسلحته ليبية المصدر؟**

ـ الأخ أبو جهاد (جبريل) صادق، ولكن أنا صادق جداً. هو صادق وأنا صادق جداً. لم آخذ في يوم من الأيام سلاحاً لا من أحمد جبريل ولا من سواه. السلاح الوحيد الذي أخذته أنا في حياتي كلها كان من سورية.

■ **بعد ٦ شباط؟**

ـ قبل ذلك التاريخ وبعده. أخذت أسلحة ودبابات من سورية. أنا

توليت رئاسة «أمل» في ١٩٨٠ وإمداداتي العسكرية كلها من سورية. أنا لا أنكر ذلك.

■ **هذا يعني أنك لم تأخذ من جبريل؟**

ـ قلت لك هو صادق وأنا صادق جداً، خصوصاً حين يكون السلاح من ليبيا. ربما لو أراد جبريل إعطاءنا من سلاحه لفكرنا في الأمر، لكن من ليبيا الأمر غير مطروح على إطلاقاً.

■ **تسبب ٦ شباط في انشطار المؤسسة الأمنية الرسمية ونشأت في بيروت حالة ميليشياوية تسببت في حساسيات مذهبية وصراعات، لماذا حصل ذلك؟**

ـ أشكرك على هذا السؤال. لقد قيل كلام كثير عن المسألة المذهبية في بيروت على رغم وعينا منذ اللحظة الأولى أن الحركة التي حصلت ليست مذهبية بل هي حركة مباركة لإنهاء العصر الإسرائيلي وفتح الباب للعصر العربي. لن أخوض في النظريات وسأحتكم إلى الوقائع: فور الانتصار الذي حصل في ٦ شباط نزل الناس إلى الشوارع في حالة ابتهاج. ركبت سيارتي وذهبت من دون مرافق من بربور ورحت أشق الطرق وسط الناس إلى دار الإفتاء حيث التقيت المفتي المرحوم الشيخ حسن خالد. قلت له الآتي: يا شيخ حسن، بيروت تاجي الوطني لكن قميصها وسخ أمنياً. أنا لا أستطيع أن ألبسه ولا أستطيع أن أتحمل. ياسر عرفات مع قبيلته وأمواله وقوته وقوة القضية الفلسطينية لم يقدر عليها وغرق فيها. والإسرائيليون غرقوا فيها. وأمين الجميل غرق فيها على رغم إمكانات الدولة والتدريب الأميركي ودعم القوة المتعددة الجنسية. كلهم غرقوا. أنا نبيه بري وحركة «أمل» والقوى التي تعاملت معي

لن نقدر على التحمل. بيروت تاجي وأنا بيروتي الإقامة والهوى والتربية، لكن في النتيجة القصة ليست قصة أنني ابن بيروت أو لست ابن بيروت، أنا لا أستطيع أن أتحمل هذه المسألة أمنياً. أرجوك أن تتسلم مني بيروت الوطنية واطلب أنت من الجيش أن يتسلم الأمن، وأنا أصدر صباحاً أمراً إلى جميع المسلحين من دون استثناء بأن يعودوا إلى منازلهم ويتسلم الجيش وتقوم قوى الأمن الداخلي بواجبها. أريد أن يكون الحل برعايتك لأنني لا أريد الدخول في هذا الموضوع.

كان المفتي خالد، رحمه الله، متجاوباً ومباركاً وقال: نحن لنا ثقة بك.

بعدها عقدت اجتماعاً في بربور حضرته قيادات بينها من كان مقيماً في دمشق. وأعتقد بأن الأستاذ وليد جاء واختار المرحوم أنور الفطايري ليمثله. تمسكت أنا بدور للجيش وبدأنا الاتصال بالعقيد لطفي جابر (قائد اللواء السادس آنذاك). وللإنصاف أريد أن أسجل أن التناقض داخل القوى الوطنية بدأ بالظهور آنذاك. لم يكن الفطايري مستعداً لتسليم الأمن إلى الجيش، أي اللواء السادس. حاورناه وشددنا على خطورة التسيب الأمني لكنه كان يعارض. كانت حجته أن الجيش مخترق وأنهم حين يستجمعون قواهم سيفعلون بنا مجدداً ما فعلوه من قبل. اختلفت وجهات النظر لكنني بقيت ضابطاً للوضع وكان للأستاذ وليد فضل، إذ كان يتردد على بيروت ويجمعهم ويقول لهم نبيه بري رئيسكم وقائدكم.

■ **هل سبق ٦ شباط تنسيق مع قائد اللواء السادس؟**

ـ لا أبداً. كان ضد ما جرى. عندما انتصرنا بقي في مكتبه وبدأنا نفاوضه. أذكر أنني أمضيت ثلاثة أيام في جلسات شبه متواصلة لأقنعهم بأننا لا نريد تولي الأمن في بيروت.

■ **لكن كانت لكم اتصالات مع ضباط آخرين؟**

ـ نعم كان هناك تململ في صفوف العسكريين.

■ **سرعان ما تهرأ الوضع في بيروت الغربية واندلعت حروب الحلفاء، ما هي هذه القصة؟**

ـ كنت في زيارة رسمية لفرنسا تلبية لدعوة من الرئيس الراحل فرنسوا ميتران. أنهيت زيارتي وكنت أستعد للتوجه إلى إيطاليا عندما وصلني خبر عن المعركة التي حصلت بين «المرابطون» والحزب التقدمي الاشتراكي. قطعت رحلتي وعدت إلى بيروت. هذه المسألة مهمة لأنها تساعد في تفسير ما حصل لاحقاً. جئت لاحتواء الوضع فوجدت أن الحزب التقدمي يريدني أن أقف إلى جانبه و«المرابطون» يريدونني أن أقف إلى جانبهم. ولم يكن سراً أن هذا النوع من المعارك يثير حساسيات وأن هناك من يتربص للإفادة من أي ثغرة في الوضع. تلك المواجهة كانت المفصل وبداية التدهور الذي حصل وأدى لاحقاً إلى معارك متعددة بين «أمل» و«المرابطون» وبين «أمل» والحزب التقدمي الاشتراكي.

■ **هل كان لـ «المرابطون» دور في ٦ شباط؟**

ـ يمكنك القول نعم. كان هناك دور لكل الناس. وأعتقد بأن الدكتور سمير صباغ (نائب رئيس حركة الناصريين المستقلين ـ المرابطون) كان جالساً معي عندما دخل الضابط الذي أرسله أمين

الجميل في آب (أغسطس) ١٩٨٣.

لنعد إلى الصدام: وصلت إلى بيروت واتخذت موقفاً يقوم على جمع الصف. وللأسف لم تمضِ على وصولي ٢٤ ساعة حتى أصبحت القصة في بيروت درزية ـ سنية. عدم وقوفي إلى جانب الحزب الاشتراكي أحدث شرخاً في العلاقة، والأمر نفسه مع «المرابطون»، وتالياً مع السنة في بيروت. عندها بدأت الأمور تتراجع وظهر الكلام المذهبي. هناك مثل عامي يقول «المصلح له ثلثا القتلة»، وأنا اتخذت موقفاً يقوم على عدم التفريط بوحدة الصف التي ظهرت في ٦ شباط. أي أن «أمل» حاولت أن تكون المصلح.

ظهرت الحساسيات وكان هناك بالطبع من يغذيها ويسعى إلى توظيفها والإفادة منها، علماً أن «أمل» كانت في ٦ شباط تقاتل على مدخل بيروت الغربية وكان الحزب التقدمي يقاتل في الكارلتون. كان كل واحد يقاتل في موقعه ولم تكن توجد آنذاك حسابات فئوية. الحقيقة أن المعركة بين الحزب التقدمي و«المرابطون» كانت المفصل وبداية التدهور الذي راح يتفاعل على الأرض.

■ **نظر الناس يومها إلى قرار إزالة «المرابطون» كأنه قرار بإزالة آثار ياسر عرفات من بيروت؟**

ـ الناس يفسرون كثيراً ويذهبون بعيداً. في تلك الأيام كان من شأن احتكاك بين عنصرين من تنظيمين أن يؤدي إلى اشتباك أوسع. أحياناً تفرض الممارسات على الأرض نفسها على المسؤولين خصوصاً إذا كانت الأجواء محتقنة. وعندما يحصل اشتباك تبدأ التحليلات والتفسيرات والتساؤلات عن الأبعاد الاستراتيجية، علماً أن الأمر قد يكون بدأ باشتباك بين عنصرين.

كثيراً ما يتحدث الناس عن إرادة دولية وقرارات دولية وينسون أن ما يحدث على الأرض يمكن أن يفرض نفسه. عندما كانت القوة المتعددة الجنسية موجودة كانوا يتحدثون عن موقف دولي ويقولون لنا من تقاتلون وإلى أين انتم ذاهبون؟ وكنت أقول لهم إن الأرض قادرة على تغيير القرار الدولي. ولا أبالغ إذا قلت إن الاحتكاكات الصغيرة هي التي أدت إلى ما أدت إليه في بيروت في تلك المرحلة. واعتقد بأن وجودي في فرنسا هو الذي حال دون تمكني من ضبط الوضع وقد استغل هذا الغياب. لو كنت حاضراً ربما كنت نجحت في لجم الوضع، إذ إنني كنت الأكثر قوة على الأرض فضلاً عن أنه لم تكن لدينا مصلحة في أن يتدهور الوضع وأن تحصل اختراقات أو مواجهات.

■ هل صحيح أن «المرابطون» كادوا أن ينتصروا في المواجهة مع «أمل» لكن ظروفاً حالت دون ذلك؟

ـ لا علم لي بهذا الموضوع. ما أعرفه هو أن «المرابطون» أرادوا من «أمل» أن تقف معهم ضد الحزب التقدمي الاشتراكي فلم تفعل، ونشأت حساسية في الشارع بين ابن «أمل» وابن «المرابطون» وكان هناك من يغذي هذا المناخ. في هذه الأجواء حصل الصدام مع «المرابطون» وحصل لاحقاً وللأسباب نفسها مع الحزب التقدمي الاشتراكي. وهنا فاحت رائحة القميص الأمني الوسخ. يجب أن أعترف بأن ما حصل في تلك الفترة شوّه حركة ٦ شباط، وهي أهم حركة حصلت في لبنان وكان لها تأثير دولي وإقليمي. وثمة حقيقة يجب ألا تغيب عن البال. الآن نحن في السلطة سواء كان الرئيس الياس الهراوي أم أنا أم الأحزاب. دعني أسأل متى تمكنت هذه الأحزاب من دخول المجلس النيابي ومن الحصول على تمثيل

وزاري؟ حصلت في السابق محاولات عدة لكنها لم تنجح. كثيرون ممن هم اليوم في الحكومة أو مجلس النواب لم يكونوا ليصلوا إلى حيث هم لولا التغيير الذي أحدثته ٦ شباط في المعادلة. كانت تلك الحركة بداية العصر العربي الحقيقي وبداية عصر المقاومة الحقيقي. للأسف، أن الممارسات التي حكي عنها حصلت ولا يمكن إنكارها وأدت إلى تشويه صورة السادس من شباط، لكن هذا التشويه لا يطاول الروح الحقيقية.

■ تحدثت عن اتصال الرئيس رفيق الحريري بك قبل دخول الجيش في ١٩٨٣، هل كان له دور ما عشية ٦ شباط أو غداتها؟

ـ أبداً، على الإطلاق. حصل ذلك الاتصال ولم أعد أسمع صوته إلى أن التقينا لاحقاً في جنيف ولوزان.

■ في ١٩٨٧ شهدت بيروت ما عرف بـ «حرب العلمين» بين الحزب التقدمي الاشتراكي وحركة «أمل»، ما قصة تلك الحرب؟

ـ هذه كانت إحدى محطات التدهور. كل ما حصل في تلك الحقبة من «حرب العلمين» والحروب الأخرى الاستتباعية كان نتيجة للقتال الذي حصل بين «المرابطون» والحزب الاشتراكي.

■ قيل يومها أن القتال بين «أمل» والحزب الاشتراكي برّر عودة القوات السورية إلى بيروت؟

ـ سأروي لك ما أعرفه شخصياً وما عشته: اللواء غازي كنعان (رئيس جهاز الأمن والاستطلاع في القوات السورية العاملة في

لبنان)، ولم يكن لواء آنذاك، كان ينزل مرات عدة إلى بيروت على رغم أن المعارك بين «أمل» والحزب الاشتراكي كانت تدور في كل شارع تقريباً، وكانت من أخطر المعارك. كان ينزل في سيارته وحيداً من دون حراسة ويلح على وقف القتال. ذات يوم وصل فجأة إلى منزلي في بربور وكان عندي أكرم شهيب (النائب الحالي من الحزب الاشتراكي) وكنا نتحدث إلى أين نحن ذاهبون. هناك جوهرة بين أيدينا وها نحن نضيعها. بيروت مجد عزنا وفخرنا واعتزازنا نحرقها، وكنا نحاول إجراء اتصالات لوقف القتال وسحب المسلحين. وصل اللواء كنعان في حالة غضب شديد وهو يقول: «ماذا تفعلون؟» هناك ضباط سوريون قتلوا خلال محاولتهم وقف القتال. العقيد جامع أصيب برصاص حركة «أمل» وهو لا يزال في بيروت حتى الآن.

وفي ما يتعلق بعودة القوات السورية إلى بيروت فقد توجه قادة القوى الوطنية والإسلامية جميعها، وأنا بينهم، وشيخ عقل الطائفة الدرزية والشيخ محمد مهدي شمس الدين والمفتي الشيخ حسن خالد ووليد جنبلاط ورشيد كرامي وسليم الحص وتقي الدين الصلح ورشيد الصلح وحسين الحسيني إلى سورية مرة أو مرتين، وأوضحنا في إصرار وعناد «أننا أصبحنا مخنوقين». وهذا الكلام كنت أردّده، وبما انني كنت قائد انتفاضة ٦ شباط، فأنا المسؤول الأول لا الأخير عن الأمن في بيروت الغربية الذي كان سيؤدي إلى انهيارنا حتى أن الناس باتت تتمنى عودة «القوات اللبنانية» وأمين الجميل، وكادت أن تتمنى رجوع إسرائيل لأنها حرب بين إخوة وكما يقول الرئيس الحص «إن فض أي اشتباك كان يؤدي إلى إقفال المكاتب العسكرية وتحويلها إلى مكاتب اجتماعية. وعندما تحتدم المعارك تتحول المكاتب إلى قنابل اجتماعية تنطلق من تلك

المكاتب». وهنا بدأت الاغتيالات، وكان للاستخبارات دور كبير، خصوصاً أن أمين الجميل كان لا يزال في السلطة والجيش لا يزال جيشاً فيما نحن نتقاتل جميعاً والجيش يذكي القتال أكثر. وكان لديّ تخوف حقيقي، فتوجهنا جميعنا بصوت واحد وعلى رأسهم أنا لنصرخ مطالبين بضرورة نزول الجيش السوري إلى بيروت.

وحيال ما أثير عن أن تلك المعارك كانت مطلوبة لتبرير عودة القوات السورية إلى بيروت أقول إن الأرض تفرض أحياناً أموراً معينة فيقال إنها مقصودة، مثل شخص يحترق منزله فيقال إنه حرقه عمداً لأن لديه بوليصة تأمين. وبمعنى آخر تُفسَّر الأمور استراتيجياً وإقليمياً ثم دولياً. وكنا في ما مضى نقول إن الأزمة في لبنان لن تحلّ إلا بعد الانتخابات الأميركية، ثم ربطناها بالانتخابات الإسرائيلية فالانتخابات في مصر، وهكذا باستمرار كانت هناك تحليلات، ولا يزال بعضها حتى يومنا الحاضر. الناس قرأت تحاليل عدة في الصحف عن سبب نعي نبيه بري لـ «الترويكا». وفسّره بعضهم، ولو بالتلميح، بأنه أمر مطلوب من سورية في الوقت الذي كانت هي تضغط بكل قوتها لقيام الوئام بين الرؤساء اللبنانيي،ن وربطه بعضهم بإقرار الانتخابات البلدية من دون علمي على رغم أنني طالبت بها فيما كانت الحكومة ترفض هذا الأمر.

■ **هل شاركتم في تصفية الشيوعيين في الاغتيالات التي استهدفت بعض قادتهم؟**

ـ ليس لحركة «أمل» في تاريخها علاقة بأسلوب الاغتيال على الإطلاق. فهي تقاتلت مع كل الناس وقاتلت ولا تزال تقاوم

إسرائيل، لكنها منذ نشأتها حتى هذه اللحظة وإلى الأبد لم تتعرف إلى أسلوب الاغتيال.

■ **هل أستطيع أن أكتب نقلاً عنك: «أنا لم أتخذ أي قرار باغتيال أحد»؟**

ـ ٣٠٠ في المئة. أنا لم أتخذ قراراً باغتيال أي إنسان على الإطلاق ولا حتى هرّة. أما بالنسبة إلى القتال والتقاتل فكانا يحدثان.

■ **حسين مروة مثلاً؟**

ـ أعوذ بالله. إن من تسميهم معروف من اغتالهم ويا للأسف.

■ **سهيل طويلة؟**

ـ ولا إنسان.

■ **ولا مسؤول شيوعي؟**

ـ لا شيوعي ولا شيعي ولا غيره. للاغتيال أسلوب كما للصحافي أسلوبه، وللدول أسلوبها وللحركات الثورية أسلوبها. صُبغت حركة «أمل» بكلمة يعرفها الناس وهي «ميليشيا»، لكنني أقول: لا، أنا ميليشيا الدولة. عن يميني العلم اللبناني وعن يساري العلم الحركي. في معركة العلمين مثلاً، كان أحد الأسباب التي وترت الجو وعكست توتراً عيد الاستقلال. أرادت حركة «أمل» رفع العلم اللبناني فرفض الحزب التقدمي الاشتراكي. وتزنّر شباب حركة «أمل» بالعلم اللبناني ونزلوا إلى الشوارع. فنحن كان لنا دائماً أسلوبنا ولا يزال على رغم أننا انخرطنا في أساليب لا نقرها مثل القتال مع إخواننا في «حزب الله» والحزب التقدمي الاشتراكي

و«المرابطون» والفلسطينيين، وهو أمر مؤسف. وكان قرار القتال الوحيد الذي اتخذناه بتصميم ضد إسرائيل ومنذ أن اعتبر الإمام الصدر أن التعاون مع إسرائيل حرام. ونحن نرى أسلوب الاغتيال أسلوباً جباناً لا يؤمن به ابن حركة «أمل» وتنبذه قيادتها وهو غير وارد بالنسبة إليها على الإطلاق.

كثرت الأقاويل في بيروت بعد ٦ شباط ومنها أن شخصاً ينتمي إلى «أمل» اعتدى على أشخاص بهدف احتلال منزل. لكن القيادة لم تكن على دراية وأنا شخصياً لم أعرف، وإذا علمت، خصوصاً أن الرئيسين رشيد كرامي والحص كانا يرسلان اليَّ أشخاصاً لمعالجة الأمور، أدفع تعويضات حتى أن بعضهم كانت تُسلب منهم سياراتهم أي تشبيحات وأشخاصاً يدّعون انتماءهم إلى حركتنا إلا أن الحركة بريئة منهم. وبالنسبة إلى الاغتيال فهذه المرة الأولى التي أُسأل فيها عنه، وهو بعيد عن أسلوبنا.

■ أعطيت حرب المخيمات تفسيرات عدة، أبرزها أنها وضعت في إطار الصراع العربي ـ العربي على لبنان؟

ـ ظهر ياسر عرفات في بيروت مرتدياً ملابسي وقال لي: «إن الفلسطينيين أمانة بين يديك». لكن القيادات الفلسطينية بدأت تعود بعد انتصار ٦ شباط، حتى إنني أذكر في إحدى الليالي قيل لي إن أبو صالح من حركة «فتح» موجود في صالون منزلي ولم أكن أعلم من هو أبو صالح فلاقيته، وبدأت النيات الفلسطينية تتضح شيئاً فشيئاً، وأنهم في صدد العودة إلى بيروت والتمركز فيها وفتح مكاتبهم من جديد ووضع يدهم على الوضع، وهذا أمر لم تحبذه حركة «أمل» خصوصاً أن عودتهم إلى بيروت، ستؤدي إلى عودتهم

إلى الجنوب، فيما كانت الحركة قد ذاقت حلاوة أفعالها بالمقاومة إذ انها كانت زعيمة المقاومة من دون منافس، وكانت الوحيدة على رغم قيام الحزب الشيوعي والحزب السوري القومي الاجتماعي بعمليات بين حين وآخر، لكن المقاومة الشعبية الأساسية التي كانت تقوم بعمليات يومية هي حركة «أمل».

■ هل كنتم جزءاً من جبهات المقاومة حينها؟

ـ نحن مقاومة لبنانية بينما قام إخواننا الشيوعيون بعمليات تحت عنوان المقاومة الوطنية. لكن العمود الفقري للمقاومة هو حركة «أمل» فهي زعيمته ورأس الحربة. ولا يستطيع أحد أن ينكر هذا الأمر منذ العام ١٩٨٢ حتى وصول الجيش اللبناني إلى الجنوب. كانت أمل تنفذ ٣٠ عملية قبل أن ينفذ غيرها عملية واحدة، وهذا واقع. وإذا سألتني من هو زعيم المقاومة الآن فسأقول المقاومة الإسلامية وفي المرتبة الثانية حركة «أمل». نحن ما زلنا نقاوم لكن ضمن الإمكانات، فالدعم الذي يصلنا ليس بمقدار الذي يصل إلى غيرنا. وهذا التاريخ حرام أن يخبأ ويكفي أن تأتي بصحف قديمة وأرشيف العمليات للتأكد. مع العلم أن كل شهيد يسقط من المقاومة الوطنية أتبناه وأرثيه. رثيت سناء المحيدلي وكل الإخوان الشيوعيين وغير الشيوعيين الذين استشهدوا وقاتلوا.

وكان موقفي منهم واحداً، وحولت وزارة الجنوب إلى وزارة مقاومة وضممت البقاع الغربي إلى الجنوب ولم يكن هذا الأمر موجوداً على الصعيد الرسمي، وأهديت إلى زاهر الخطيب إذاعة وطلبت منه أن يسميها إذاعة المقاومة، وكذلك بالنسبة إلى التلفزيون اذ أنشأت فرعاً لتلفزيون لبنان في شوكين بعدما طرد الاحتلال ليتمكن ابن

الجنوب من مشاهدة تلفزيون بلده وأهديته إلى تلفزيون لبنان الرسمي.

أنا لم أحاول في يوم من الأيام أن أحوِّل القضية إلى حكر لكننا لا نستطيع أن نتنكر للتاريخ. منذ العام ١٩٨٢ وحتى دخول الجيش اللبناني إلى الجنوب كانت «أمل» زعيمة المقاومة من دون منازع إلى درجة أن إسرائيل لم تعد قادرة على المرور في الجنوب. اتصل بي محمد سعد قبل استشهاده بيوم واحد ليقول لي «إن الجنود الإسرائيليين لا يجرؤون على الدخول إلى القرى السبع المعلقة في السماء» التي حولها إلى جزيرة وسط الجنوب وحررها من وجود الإسرائيليين. وكانت النساء ترشقهن بالزيت المغلي عند اشتراكهن في المعركة.

■ **متى ذهبت إلى الجنوب للمرة الأولى بعد اجتياح ١٩٨٢؟**

ـ بعد انسحاب إسرائيل، وكنت مرتدياً بزة عسكرية للجيش اللبناني وكانت هناك احتفالات تتعلق بالإمام الصدر، وأقمت احتفالاً في بعلبك ألقيت فيه كلمة وتوجهت بعدها إلى المطار مباشرة وركبت طائرة هليكوبتر وهبطت بها في الزهراني مرتدياً البزة العسكرية لئلا يعرفني أحد، وهناك بدلت ملابسي وتوجهت مباشرة إلى قبر الشهيد محمد سعد، في العام ١٩٨٥، وقرأت الفاتحة. وفي اليوم التالي أقيم الاحتفال المليوني في صور وحضره ٨٠٠ ألف شخص وألقيت كلمة.

■ **لنعد إلى «حرب المخيمات».**

ـ حدثت حساسية بعد ٦ شباط لأننا طلبنا من إخواننا الفلسطينيين التنحي إذ لم نعد في حاجة إليهم ولا نريد سوى المقاومة اللبنانية، وإذا احتجنا إليهم في سلاح أو رجال فسنطلب ونحن المسؤولون عن مقاومتنا. وقلنا: قاوموا انتم في أراضيكم المحتلة. وهنا بدأ التناقض واتضح أنهم يريدون العودة. وقد لا يصدق من يقرأ أو يسمع أنني حين كنت موجوداً في بربور كان آخر ما أفكر فيه أن تحدث مشكلة بين الفلسطينيين وحركة «أمل». ويمكنك أن تسميني ما شئت: «غير مطلع» أو «أعمى عن الأرض» لكن هذا هو الواقع. وكان شعور الناس يتلخص في عدم رغبتهم في عودة الفلسطينيين والعودة إلى ما قبل العام ١٩٨٢. وكان موقف الجنوبيين كذلك وأكثر. وحتى المقاومة كانت تقول إن مقاومتنا أثبتت فاعليتها وليست في حاجة إلى مقاومتكم، خصوصاً أن الناس لم تنسَ ما حدث في الجنوب وعدم التصدي للاجتياح.

هذا أمر، أما الأمر الثاني فهو أن تخلق مشكلة بين الفلسطينيين وحركة «أمل» في مخيمات بيروت. وقد لا يصدقني أحد إذا قلت إنني لم أعلم بذلك. وعندما قالوا لي إن هناك مشكلة قرب قصقص ـ وعلى الأرجح كان اليوم يوم سبت ـ حركت الأمن للتوجه إلى المكان لمعالجة الأمر، وبعد ساعة وربع ساعة علمت أن تصريحاً صدر عن صلاح خلف (أبو أياد) عضو اللجنة المركزية لحركة «فتح» وتضمن «أن حركة أمل عنيدة». تصور بعد ساعة وربع ساعة فقط من الحادث الذي كان يحصل مثله عشر مرات في اليوم الواحد بين ابن «أمل» وابن الاشتراكي ولم يكن هناك حمداً لله قتلى أو جرحى، لم أصدق أن «أبو أياد» الذي يعرفني شخصياً يُصدر تصريحاً بهذا الشكل تناقلته الإذاعات وزاد التوتر على الأرض. وتريثت قبل الرد وطلبنا من عضو مكتب سياسي أن

يجيب بأن «هل هذا جزاؤنا وأجرتنا؟ أهكذا تكافأ أرواح المقاومين وأبطال ٦ شباط؟»... وحصل في اليوم التالي إطلاق نار بين حركة «أمل» وبرج البراجنة... وهكذا بدأت الأمور تتطور وتتفاقم وأخذت مداها المعروف.

■ **من خاض تلك الحرب؟**

ـ خاضتها «أمل» وساعدها اللواء السادس (في الجيش اللبناني).

■ **كم بلغت الخسائر؟**

ـ كانت هناك خسائر، لكنني لا أستطيع تحديدها، فالخسائر موجودة لدينا عموماً، ولدينا مؤسسة تدعى «مؤسسة الشهداء والجرحى» تملك الإحصاءات والتفاصيل.

■ **تحولت المواجهة حرباً بين الشيعة والفلسطينيين؟**

ـ للأسف هذا هو الوضع في لبنان، وسأعطيك مثالاً: سمت حكومة الحريري الدكتور رضا وحيد وزيراً للمغتربين من دون علمي. أنا سميته لكن ليس وزيراً للمغتربين. وفي المرة الثانية سمي علي الخليل وزيراً للمغتربين، فقيل إن هذه الوزارة شيعية وعرقلوا عملها حتى هذه اللحظة. وكانت الترويكا موجودة أثناء تأليف الحكومة فقلت للرئيسين الهراوي والحريري «إنني أفضل أن أستقيل على أن أعطي الثقة لحكومة فيها وزير مغتربين شيعي لئلاً تشيعوها، خصوصاً أن ٩٠ في المئة من المغتربين هم مسيحيون. وفي لبنان يفسر كل شيء طائفياً. إذا طالبت بإلغاء الطائفية يقال لأن الشيعة عددهم اكبر، على رغم أن الإحصاء لا يشير إلى ذلك. وفي لبنان لا طائفة أكبر من طائفة. وقالوا إن الشيعة يقاتلون الفلسطينيين

لكنني اعتقد آنذاك أن القوى الفلسطينية ـ وكان بعضها يسمى الرفض ولم يكن الانقسام الموجود الآن بل كان مختلفاً ـ لو وقفت موقفاً قومياً وليس وطنياً لتغير التاريخ.

المعركة بين «فتح» و«أمل» مثل المعركة بين «أمل» و«جبهة التحرير العربية» قبل العام ١٩٨٢. ذهبت آنذاك إلى دمشق وعقدنا اجتماعاً في مكتب أحمد جبريل الأمين العام لـ «الجبهة الشعبية ـ القيادة العامة» في حضور القيادات الفلسطينية التي كانت على خلاف مع ياسر عرفات بمن فيها أبو موسى وأبو خالد العملة وغيرهم... وقلت لهم «كان من ضمن السجناء الـ ٦٥ الذين سببوا ٦ شباط ١٥ فلسطينياً، فهل نبيه بري ضد الشعب الفلسطيني؟». فأجابوا: «في الواقع نحن نعرف هذا الكلام ونعرف أن هناك تخطيطاً يهدف إلى إعادة أبو عمار إلى لبنان وإلى شواطئ صور». فأجبت: «لكنكم أكملتم المؤامرة. فأبو عمار خطط وانتم مشيتم». عندها التفت جبريل إليّ وقال «أنا مضطر إلى قتالك لأن القضية قضية فلسطينيين». فأجبته: «لكنني لم آخذها بهذه الطريقة. فأنا لا أريد شيئاً من الفلسطينيين. هل أريد أن أدخل إلى المخيمات لأسكن مكانهم؟ ما هو هدفي من هذه المعركة؟ أنا لا أطالب بشيء». فقال: «ألست أنا ضد ياسر عرفات؟ ولكن عندما تتحول القضية إلى هذا المنحى فليس في استطاعتي إلا أن أقاتل إلى جانب ياسر عرفات».

حاولت بالاشتراك مع الإخوة السوريين والأستاذ عاصم قانصوه، ولست متأكداً إذا كان جورج حاوي حاضراً آنذاك، أن نتفاهم معهم. فقلت: «نحن تقاتلنا مع الكتائب اللبنانية لأجلكم ولم نعدّها قضية لبنانية، فلماذا ترونها الآن قضية فلسطينية؟ لماذا يجوز لكم أن

تكونوا فلسطينيين ولا يجوز لنا أن نكون لبنانيين؟». وبعدما عدت من الاجتماع، حصل قصف وسقط صاروخ كاتيوشا بالقرب من منزلي مصدره جماعة جبريل في الجبل، فتحولت المعركة إلى معركة فلسطينية وطرحت في السوق السياسي والأمني على أساس أنها معركة شيعية ضد الفلسطينيين.

■ وتباعد موقفك عن موقف الوزير وليد جنبلاط؟

ـ المعركة مع «المرابطون» هي التي أحدثت الشرخ أساساً. وموقف الأستاذ وليد جنبلاط أثناء الصدام مع الفلسطينيين كان شبيهاً بموقف بالع الموسى، فهو يعرف أنني لا أريد المعركة لكن في الوقت نفسه لديه التزامات تجاه الفلسطينيين، فحاول أن يتحصن من خلال دفع الفلسطينيين إلى اتخاذ موقف من أبو عمار ليكون هو إلى جانبهم بالطريقة نفسها التي أردتها، ولم يقدر فوقف إلى جانبهم وهاجم أبو عمار. وإذا راجعت تصريحاته آنذاك فستجد هجوماً من جانبه على أبو عمار والفتنة والحرب الفلسطينية، إلا أنه في الوقت نفسه كان يسايره.

■ هل تحمّل ياسر عرفات مسؤولية حرب المخيمات؟

ـ لا أستطيع أن اجزم، لكنني أعلم أن «فتح» هي المسؤولة آنذاك.

■ كيف تصف العلاقة المعقدة بينك وبين وليد جنبلاط؟

ـ أنا أودّه كشخص وأحبه.

■ هل هذا الحب متبادل؟

ـ اسأله هو. أنا أحسه قريباً وهو رجل وطني في جوهره وعنده

سرعة في اتخاذ القرارات والرجوع عنها مما جعلني أسميه الحليف اللدود. لكن هذا في الماضي.

■ هناك قصة بينك وبين الرئيس الراحل كميل شمعون، ما هي بالضبط؟

ـ اشتركنا في مؤتمرات عدة. ففي جنيف مثلاً، كان موجوداً، وكذلك بيار الجميل وسليمان فرنجية. وأكثر المناقشات تمت بيني وبين كميل شمعون وفي أحد اللقاءات قلت له: أنا أريدك بطريركاً مارونياً لا حاخاماً. ومعلوماتي تفيد أنكم تحضرون خلفاً لسعد حداد. وكان هناك من اخبرني أن أنطوان لحد سيكون بعد سعد حداد. وعندما طالبت بإلغاء الطائفية السياسية طالب هو بالعلمنة، فقلت له «إن الورقة التي ستأتيني بها موقعة من الكاردينال خريش آتيك بها موقعة من الشيخ حسن خالد. يجب ألا تكون تلك حجة لعدم تطور البلد».

■ ماذا يعني لك كميل شمعون كشخص؟ أليس لديك تقدير لخصومك؟

ـ طبعاً.

■ متى تعرفت إليه؟

ـ كانت معرفتي به أشبه بقصة نادرة جداً. قبل أن أسافر إلى أفريقيا كنت في البكالوريا وقدمتها وأظهرت النتيجة أنني راسب، وكانت النواحي الإدارية أيامها تمهل الطالب ٧ أيام ليحصل على النتائج وبعدما صبرت ٧ أيام أخذت النتيجة التي أشارت إلى أنني ناجح باستثناء مادة اللغة الفرنسية التي حصلت فيها على أربع علامات بينما كان من المفترض أن أحصل فيها على خمس علامات، مما

يعني أن هناك علامة للرسوب. إلا أنهم لم يكلمونا عنها قبل الامتحانات ولم يدر أحد بها، وعلى افتراض أنني كنت أعلم بها ففي هذه الحالة أتقدم إلى امتحان اللغة الفرنسية فقط في تشرين فلماذا أشاروا إلى أنني راسب؟ أخذت النتيجة وتوجهت إلى تبنين وأرسلت رسالة إلى كميل شمعون رئيس الجمهورية آنذاك في العام ١٩٥٦ بلغتي وبخط جيد وقلت فيها «بما أنك سيد البيت وكفرد من الأسرة، أشكو إليك ظلماً لحق بي آملاً أن ترفعه عني». وفجأة في يوم من الأيام وصلتني برقية من القصر الجمهوري تفيد بموعد في نهار معين مع الرئيس شمعون في القصر الجمهوري في القنطاري. فذهبت ولم أكن مرتدياً بزة رسمية لأنني لم أحب أن أرتديها وأهلي كانوا في أفريقيا. وكشاب في أول عمره ارتديت بنطالاً وقميصاً ولا دراية لي بالبروتوكول. لاقاني النقيب فادي حمدان عند الباب وابنه مصطفى حمدان قائد الحرس عند الجنرال لحود حالياً، وسألني «إلى أين»؟ أطلعته على البرقية. فقال لي «رتب نفسك».

ودخلت إلى مكتب الرئيس. وسألني شمعون: «أنت كتبت الرسالة أم أن أحداً كتبها لك؟» فأجبته: «أنا الذي كتبتها». فقال: «من يكتب رسالة كهذه لا بد من أن تكون معه شهادة أعلى من البكالوريا». واتصل بالمدير العام للتربية آنذاك وقال له: «من أين لكم الحق أن تطبقوا قرارات قبل تعميمها؟ سأرسل إليك شاباً صاحب حق». وذهبت إلى فؤاد صوايا الذي قال لي: «لنفترض أن الظلم لحق بك خطأ. لذلك قدم أوراقك فقط، لنصدر لك إذناً خاصاً لأن تشرين بات قريباً وليس من المفيد أن نقول إننا أخطأنا». فرفضت ولم أعد إلى الرئيس شمعون وسافرت إلى أفريقيا وعملت بالتجارة هناك. وفي العام ١٩٥٨ عدت إلى لبنان حيث بدأت الأحداث وتأخرت

الامتحانات فاستفدت والتحقت بمدرسة ليلية وقدمت البكالوريا ونجحت وأنهيت الفلسفة في المقاصد ثم أكملت مشواري الدراسي.

■ **هل ذكّرت الرئيس شمعون بتلك القصة؟**

ـ ظهر منه ما يدل على حنكته وظرفه ويمكن أن يسمى بالثعلب اللبناني. قال لي على هامش محادثات جنيف بعد النقاشات القاسية: «أريد أن أدعوك إلى الغداء، وأنا أشهد بلبنانيتك». فأجبته: «ما يهمني هو أن أشهد أنا بعروبتك». فقال: «على أية حال تعال نتغدى وبلا فلسفة». وسألني من أين أنت وأخبرني أنه كان يصطاد في الجنوب وأنه يحب الجنوبيين. وفيما كنا نتناول الطعام في الفندق ألقى جوزف الهاشم وعادل عسيران السلام علينا. وقلت له «أنت لا تعرفني لكنني أعرفك شخصياً وجلست معك». فأخبرته بالقصة. والغريب أنني عندما أتيت في حديثي على ذكر الرسالة قال: «هذا أنت؟».

■ **ما هي محاولات الاغتيال التي استهدفتك؟**

ـ هناك الحوادث التي تعرضنا لها في بداية حرب السنتين، وفي أحدها أصيبت سيارتي بعشرات الرصاصات. هناك محاولة لاغتيالي بالمدفعية حدثني عنها الوزير إيلي حبيقة وهي من فعل «القوات اللبنانية» يوم كان على رأسها. حبيقة رواها لي. رن الهاتف في منزلي حوالي منتصف الليل وادعى مجهول انه مروان حمادة (الوزير السابق) ويريد التحدث إلي. أخذت سماعة الهاتف فأقفل المجهول الخط، وبعد أقل من نصف دقيقة انهمرت القذائف وأصيب مطبخ المنزل. كان غرض المتحدث المجهول التأكد من وجودي في البيت. استطعت إنزال زوجتي وأولادي إلى الملجأ وأجريت من هناك اتصالاً

هاتفياً أوحيت فيه أنني تركت البناية. لكن حبيقة، كما روى لي، قال لهم إن نبيه بري لا يترك البناية واستمروا في القصف.

■ **هل عرفت العماد ميشال عون؟**

ـ لم أكن أعرف العماد عون وطرح موضوع التعيين في المجلس العسكري. كان ذلك في ١٩٨٤ وكنت وزيراً. اقترحت على المجتمعين أن نتولى كلنا تعيين أعضاء المجلس العسكري استناداً إلى الكفاءات والمواصفات لا أن يختار الموارنة الماروني والشيعة الشيعي. وافق الرئيس الجميل وبدأنا بالبحث. سألته من تريد قائداً للجيش فقال ميشال عون. أنا اقترحت اسم إميل لحود وقلت خلال الجلسة إنني لا أعرف إميل لحود لكن ما اسمعه عنه هو أنه ضابط كفوء وخلوق. رفض الجميل ورفضت أنا وتأجلت الجلسة مرات عدة، وقالوا لاحقاً كل واحد يختار ممثل طائفته. وهكذا كان. ويا للأسف، هذا ما يحصل دائماً في لبنان.

■ **هل أيدت العماد عون لرئاسة الجمهورية؟**

ـ لا. أبداً.

* * *

أكد رئيس مجلس النواب اللبناني نبيه بري «أن الترويكا ماتت ودفناها»، واستغرب السؤال عن الأموات. ووصف علاقته بالرئيسين الياس الهراوي ورفيق الحريري بأنها «ودّية مع خلاف في الرأي». وقال إنه قادر على تصوّر البلد من دون كل مسؤوليه الحاليين، معتبراً الحديث عن رئيس دائم مجرد كلام في الصحف. وأضاف: «لا أنا دائم ولا الحريري دائم... ولو دامت لغيرك ما وصلت إليك».

ورأى بري أن ميليشيا «أمل» كانت من أجل الدولة وأن العلم اللبناني كان حاضراً دائماً إلى يمينه. وتذكر أن الرئيس الهراوي لم يعثر على علم لبناني يوم انتخابه فأعطاه علماً لبنانياً من بربور وبقي معه.

وأضاف قائلاً: إن بعض الناس يؤيد سورية «طمعاً بجنة أو خوفاً من نار»، مشيراً إلى أن علاقته بالقيادة السورية، خصوصاً الرئيس حافظ الأسد، تعود إلى السبعينيات وهي من الثوابت لأنها تخدم مصلحة سورية ولبنان معاً.

ولاحظ أن اللبنانيين هم الذين يشركون السوريين في ملفاتهم الداخلية، وأن سورية تضطر إلى التدخل لإنهاء الخلافات. وأكد انه لم يكن يوماً البادئ بأسلوب نقل الشكاوى إلى دمشق.

وتحدث عن الانشقاق الذي أدى إلى ولادة «أمل الإسلامية»، وعن الصدامات مع «حزب الله». وقال: إن «أمل» خطفت ركاب طائرة الـ «تي. دبليو. آي» الأميركية من خاطفيهم بعدما أدركت خطورة الحادث. وأكد أنه لم تكن للحركة «أي علاقة باحتجاز الرهائن الغربيين»، معتبراً أن الأمر لم يعد يحتاج إلى تأكيد.

ونفى بري أن يكون مسؤولاً عن عرقلة الإصلاح الإداري متهماً غيره بتحمل المسؤولية عن اعتماد منطق الحصص. هنا نص الحوار:

■ دولة الرئيس، تحولت «أمل» في بداية الثمانينيات جسماً كبيراً سرعان ما شهد انشقاقات؟

ـ عندما اجتاحت إسرائيل لبنان ألّف الرئيس الياس سركيس هيئة الإنقاذ الوطني ودعينا إلى الاجتماع في بعبدا. نوقشت هذه الدعوة في اجتماع في منزل الشيخ عبدالأمير قبلان حضره الشيخ محمد مهدي شمس الدين وأكثرية أعضاء مجلس قيادة حركة «أمل». اتخذ قرار بالإجماع بأن أشارك في اجتماع هيئة الإنقاذ وتجاوبت، خصوصاً بعدما زارني القادة الفلسطينيون إثر اجتماعنا وألحوا على وجوب مشاركتي.

في تلك الفترة كنا قد وضعنا خطة لمقاومة الاجتياح الإسرائيلي تتضمن جملة إجراءات منها أن يكون نائب رئيس الحركة الأخ حسين الموسوي موجوداً في البقاع لتأمين بعض ما قد نحتاج إليه في بيروت من تموين ومسائل أخرى. عارض الموسوي حضوري إلى الاجتماع، ورأى المشاركة مخالفة كبرى لميثاق حركة «أمل». بلغني موقفه قبل صعودي لكن الإجماع الذي ظهر في الاجتماع في منزل المفتي قبلان جعلني أقرر، بعد دراسة الوضع، المشاركة في اجتماع هيئة الإنقاذ.

وقال الموسوي إنه لن يتمكن من الاستمرار في العمل داخل الحركة إذا شاركت، وهذا ما حصل. وبعد فترة أنشأ ما يسمى «أمل الإسلامية». وعقدت كوادر «أمل» في البقاع اجتماعاً في بلدة بدنايل البقاعية شارك فيه نحو ٤٠٠ مندوب أكدوا تأييدهم نهج رئيس حركة «أمل». وهكذا أكملت طريقها وأصبح الموسوي رئيساً لـ «أمل الإسلامية»؟

■ **وهل كان لذلك علاقة بنشوء «حزب الله»؟**

ـ أعتقد بأن «حزب الله» ولد من هذه الرحم. وأمانة للتاريخ يجب

أن أشير أيضاً إلى أنه في الحلقات الحركية وفي أيام الإمام موسى الصدر كان هناك في «أمل» أشخاص ينتمون إلى «اتحاد الطلبة المسلمين». ومثلما في كل الحركات أو الأحزاب، كان هناك تيار معتدل وتيار متشدد. هذا الواقع كان قائماً حتى عندما كان الإمام الصدر موجوداً.

■ هل دعمت إيران لاحقاً هذا الخط المتشدد أو المجموعات التي تنتمي إليه؟

ـ نعم كان هناك دعم من الجمهورية الإسلامية لهذا الخط.

■ هل دعمت عملية الفرز؟

ـ دعمت هذا الخط لكنها حاولت دائماً أن تكون لها علاقات مع حركة «أمل» وإن كان دعمها الأساسي موجهاً إلى الخط الذي تحدثنا عنه.

■ قياديون في «حزب الله» جاؤوا من «أمل»؟

ـ يمكن القول إن أكثر قادة «حزب الله» الحالتين جاءوا من «أمل». الأمين العام للحزب السيد حسن نصرالله كان مسؤولاً في «أمل» في البازورية (الجنوب)، والسيد إبراهيم الأمين رئيس كتلة الوفاء للمقاومة كان عضواً في إقليم البقاع ومندوباً للحركة في طهران. النائب السابق علي عمار كان عضواً في المكتب السياسي، والحاج حسين خليل كان مسؤول أمن تنظيمياً.

■ هل ساهم وصول «الحرس الثوري» الإيراني إلى لبنان في إطلاق «حزب الله»؟

ـ ليست لدي معلومات من هذا النوع.

■ ظهر «حزب الله» وبدأ الصراع على الطائفة الشيعية وتعددت الصدامات بين «أمل» والحزب، ماذا حصل؟

ـ طبعاً إن قتال الأشقاء والإخوة أصعب مما عداه. حصل تنازع داخل البيت الواحد، ففي الكثير من الحالات تجد شاباً في «حزب الله» وشقيقه في «أمل». هناك اليوم مسؤولون في حركة «أمل» وإخوتهم يتولون مسؤوليات في «حزب الله». هذا شيء موجود في كل بيت تقريباً. يمكن أن يكون شقيق الأمين العام للحزب عضواً في حركة «أمل» كما يمكن أن يكون شقيقي في الحزب. الأمثلة بالمئات وربما بالآلاف.

هذان التداخل والوجود على أرض واحدة ولّدا حالة من التنافس الشديد كان يمكن اعتبارها حالة صحية لو أن التنافس اتخذ المنحى الذي يتخذه الآن واقتصر على التسابق في سبيل المصلحة العامة. للأسف اتخذ التنافس في مرحلته الأولى طابع التشابك بالأيدي، ولأن السلاح موجود تطورت الخلافات وحصل ما حصل. وفي اعتقادي أن تلك المرحلة عانت من ذهنية من سيحل محل الآخر. كان توجه «حزب الله» هو إبعاد «أمل» لاحتلال الموقع الذي تشغله وكانت الحركة تدافع بمنطق أنا سأبقى وحيدة في الساحة. في هذه الأجواء حصلت المعارك في الجنوب والبقاع والضاحية وفي كل مكان ينتشر فيه الطرفان. الحقيقة أن الجو جيد الآن.

■ هل يمكن الحديث حالياً عن توازن قوى على الساحة الشيعية؟

ـ لماذا تصر على أخذي إلى الساحة الشيعية؟ أقول لك مجدداً إن حركة «أمل» ليست حركة شيعية. لو كانت شيعية لما كنت فيها. إنها حركة لبنانية. اسمها أفواج المقاومة اللبنانية، حركة المحرومين. لنعد إلى الإمام الصدر، ألم يقل «إني على استعداد لبذل دمي في سبيل مسيحي محروم»؟ هذا كلام شهير. «دير الأحمر في قلبي» و«بجبتي وعمامتي سأحميهم» و«قاتلوا إسرائيل بأظافركم وأسنانكم». ماذا قال عام ١٩٧٤ في عز لبنان ومجد لبنان الاقتصادي؟ قال: «اعدلوا قبل أن تبحثوا عن وطنكم في مقابر التاريخ. إن هؤلاء الناس في أحزمة البؤس سيحتلون الدور والقصور إذا لم تعدلوا فيهم. هؤلاء ليسوا لاجئين». إذا قرأت مطالب الحرمان العشرين التي على أساسها قامت حركة المحرومين لا يمكنك العثور على مطلب شيعي. إنها مطالب تتعلق بالشمال وعكار والجنوب والبقاع وكل المناطق من دون استثناء.

■ هل كان لـ «أمل» أو عناصر منها علاقة بقصة احتجاز الرهائن الغربيين؟

ـ هذه القصة أثبتها التاريخ. ربما لو أجريت هذا الحوار قبل عشر سنوات لما صدقتني ولو أقسمت يميناً أن لا علاقة لـ «أمل» بهذه القصة. الآن كل الأمور تكشفت ولم يعد هناك غموض أو التباس. دعني أقل لك إن حركة «أمل» لم تأخذ رهينة من الرهائن على الإطلاق حتى أثناء الاجتياح الإسرائيلي. وهنا سأروي لك حادثة: في ١٩٨٢ اعتقلت حركة «أمل» مذيعاً في الإذاعة الإسرائيلية مع مساعدته، وهو يهودي، ووضعته في مقر في زقاق البلاط. جرى التحقيق معه بدقة. ووجهت إلينا كل أنواع التهديدات. المبعوث الأميركي فيليب حبيب كان يتصل كل ساعتين طالباً الإفراج عنه

وكنا نرفض. ولم تنفع التهديدات بالقصف. وعندما تأكد لنا أن الرجل مدني ولا علاقة له بالموضوع العسكري، وأنه مجرد مذيع اخلينا سبيله من دون شيء علماً بأن إغراءات الدنيا عرضت علينا في مقابل الموافقة على إطلاقه مع مساعدته. وتولى التحقيق مع المذيع ومساعدته مصطفى الديراني.

■ وقصة طائرة الـ «تي. دبليو. أي» في ١٩٨٥؟

ـ حصلت عملية خطف الطائرة إلى بيروت. شعرت حركة «أمل» بأن الموضوع كبير وخطر على الضاحية ولبنان بأسره. فتحركتْ وخطفت من الخاطفين ٣٩ راكباً من أصل ٢٤. بدأت المفاوضات، وكنت أنا مع مطالب الخاطفين في ما يتعلق بالإفراج عن ٩٠٠ معتقل لبناني. وقلت أطلقوا هؤلاء ونحن مستعدون لإخلاء سبيل الركاب. أنزلناهم في أفضل الأماكن وسمحنا لهم بالاتصال بعائلاتهم في أميركا هاتفياً. عززناهم وكرمناهم وكانت الواسطة في هذا الموضوع الرئيس حافظ الأسد الذي تدخل شخصياً لإخلاء سبيلهم، وهو ما فعلناه بعدما أخذنا وعداً قاطعاً من الرئيس الأسد بأن المعتقلين سيطلقون. وبضغط من الإخوة السوريين أخلي سبيل الـ ٤٤.

■ هل كانت للخاطفين علاقة بـ «أمل» أم كانوا من «حزب الله» أم من غيره؟

ـ الخاطفون ينتمون إلى تيار متشدد. لا يمكن القول إنهم من «حزب الله» تحديداً.

■ الجناح المتشدد في «أمل»؟

ـ لا علاقة لـ «أمل» فالانقسام كان قد حصل.

■ هل كانوا من «أمل الإسلامية»؟

ـ لا يمكن القول إنهم من «أمل الإسلامية» لأن التنظيم لم يكن قد تبلور تماماً بعد. المهم أن حركة «أمل» شعرت بمخاطر ما يجري وتحركت في ضوء ذلك. وعندما عاد الرهائن إلى أميركا كانوا يشكرون حركة «أمل» على الطريقة التي عوملوا بها. هناك، ويا للأسف، كلام كثير ودائم على حرية الإعلام في أميركا لكن في هذه الحادثة حصلت عملية إسكات وطلب من الرهائن ألا يشيدوا بـ «أمل».

■ هل لا تزال لدى «أمل» جثث لإسرائيليين؟

ـ كانت لدينا بقايا من معدات وأدوات وخوذ إسرائيلية لجثتين. قلنا إننا على استعداد لتسليم ما لدينا في مقابل إطلاق الموقوفين اللبنانيين. تولى الصليب الأحمر القصة وجاؤوا والتقطوا صوراً. وفي مقابل الكشف على هذه الأشياء طلبت الإفراج عن ست فتيات أسيرات وحصل ذلك. كشفوا وقالوا إن هذه الأشياء لا تعود إلى إسرائيليين فقط. وهذا كل ما في الأمر.

■ علاقتكم مع سورية من ثوابت سياساتكم. متى بدأت هذه العلاقة؟

ـ بدأت في السبعينيات، أيام الإمام الصدر.

■ مع من هذه العلاقة؟

ـ مع القيادة السورية، خصوصاً الرئيس حافظ الأسد. بعض الناس

يؤيد سورية اليوم طمعاً بجنة أو خوفاً من نار. نحن لا طمعاً بجنة ولا خوفاً من نار. نحن نرى أن العلاقات الوثيقة بين سورية ولبنان تخدم مصلحة البلدين. هذا الأمر فعل إيمان لقّننا إياه الإمام موسى الصدر وسرنا عليه ولا نزال وسنبقى.

■ **العلاقات المميزة صارت جزءاً من الدستور، لكن لماذا قامت إدارة سورية يومية للشأن اللبناني؟**

ـ هذا السؤال وجيه فعلاً. قالوا للجبل لماذا أنت شديد الارتفاع فقال لهم وما ذنبي إذا كان الوادي شديد الانخفاض. للأسف أن عدم حسن الإدارة اللبنانية هو السبب. اللبنانيون هم الذين يشبكون السوريين في شؤونهم الداخلية ويستدرجونهم إلى التدخل فيها. دعني أقل لك بوضوح إن سورية يهمها أن يستقر الوضع في لبنان وألا يكون لبنان مصدر خطر عليها أو نقطة ضعف في وضعها الإقليمي.

ربما كانت سورية مهتمة بأن تعرف من سيكون رئيس الجمهورية في لبنان وهذا شيء طبيعي. وربما كانت مهتمة بأن تعرف عن الحكومة أو من هو قائد الجيش في لبنان، أي المواقع التي تعني وضع لبنان وتؤثر فيه، وهذا شيء طبيعي منذ وقت طويل، لأن لهذه الأشياء انعكاسات على مسائل تتعلق بسورية. لكن سورية لا يهمها من سيكون مديراً عاماً في هذه الوزارة أو تلك ومن سيكون رئيس المصلحة. اللبنانيون هم الذين يشبكون السوريين في هذه التفاصيل بسبب خلافاتهم. سورية يهمها استقرار الوضع وحين تتفاقم الخلافات تتدخل لإيجاد مخارج.

■ **دولة الرئيس، ألا تتحمل أنت جزءاً من المسؤولية في**

هذا الموضوع؟

ـ لا أريد أن أقول لا، لكنني أستطيع القول إنني لا أذكر أنني في يوم من الأيام شكوت (الى السوريين) في شؤون من هذا النوع. أنا دائماً أحاول معالجة هذه الشؤون لبنانياً ولم أكن يوماً البادئ بالشكوى. لكن ما يحصل هو أن غيري يذهب ويشكو عليّ في سورية فتصبح القصة كما هي معروفة وأصبح أنا من الجملة. لست أنا من يبدأ والقصة معروفة.

■ **ترميم التركيبة اللبنانية يستدعي حداً من التواطؤ بين اللبنانيين لمصلحة الدولة والمؤسسات، لكن الحروب الرئاسية تؤكد غياب الحد الأدنى من هذا التواطؤ؟**

ـ أنت تتحدث عن الترويكا. لماذا تتحدث عن الأموات؟ لقد ماتت ودفّناها.

■ **وهل أنت متمسك بدفنها؟**

ـ مئة في المئة. الحقيقة أنني عندما جئت (رئيساً لمجلس النواب في ١٩٩٢) رأيت شيئاً من الترويكا قائماً. لست أنا من أوجدها. واعتقدت بأن هذا يسهل معالجة القضايا وأننا في مرحلة استثنائية وقلقة. بعد فترة وجدت أن هذا الأمر موضع انتقاد كل الأطراف، وفي استطاعتك أن تسمع ما يقوله الناس وأن هذه الصيغة تغيّب دور المؤسسات. الواقع أن الناس يرون على ماذا اتفقنا لكنهم لا يحكون عما اختلفنا عليه. وجدت في الفترة الأخيرة أن الأشياء التي تتفق عليها لا تنفّذ، وأن الأشياء التي تنفذ هي التي لا نتفق عليها. وجدت أن الأمر يؤدي فعلاً إلى تغييب دور المؤسسات ويؤثر فيها. إذا لم يغيبها من حيث المبادئ يؤثر فيها تأثيراً كبيراً. لهذا

السبب أعلنت وفاة الترويكا وللسبب نفسه أعلن تمسكي بوفاتها.

■ **الرئيس رفيق الحريري شخصية محورية في النظام الحالي، متى بدأت علاقتك معه؟**

ـ أعتقد بأن ذلك كان في ١٩٨٣ أو ١٩٨٤، كان الرئيس الحريري قد قام بدور الوسيط في بعض الأحداث وتحدث معي هاتفياً من باريس ليبلغني أن أمين الجميل لا ينوي دفع الجيش إلى بيروت الغربية. وكنت عرفت الحريري أو عرفت عنه عندما كان يقدم منحاً إلى الطلاب وكنا نطلب منه مساعدة طلاب فقراء ونرسلهم إليه وكان يلبي قسماً منها. أول جلسة لي مع الحريري كانت على هامش لقاء الحوار الوطني في جنيف. هذه كجلسة.

■ **وظّف الرئيس الحريري في الثمانينيات قدرته المالية لاستدراج الميليشيات إلى السلام؟**

ـ ليس مع حركة «أمل».

■ **هل ظلت «أمل» خارج هذه الدائرة؟**

ـ استعمل المال قبل المجيء إلى السلام وبعد المجيء إلى السلام. حركة «أمل» التزمت دائماً القاعدة التي رسمتها لنفسها.

■ **هل تقاضت «أمل» أموالاً من الرئيس الحريري في إطار عملية التشجيع على السلام؟**

ـ إطلاقاً. أجبتك عن هذا السؤال من نواحٍ عدة. ساعة من هنا وساعة من هناك. حركة «أمل» لم تتسلم شيئاً على الإطلاق من أي إنسان من خارج سورية التي حصلنا منها على السلاح.

■ والأموال؟

ـ أبداً، أبداً. هناك كلمة شهيرة ألقيتها في الشام، في احتفالات الثامن من آذار (مارس) في منتصف الثمانينيات. في ذلك الاحتفال ووفق البروتوكول كانت كلمة عبدالسلام جلود قبل كلمتي. ولدى صعوده إلى المنبر انسحبت من القاعة وإذا به أسمعه يقول: نحن نقدم دعماً إلى المقاومة وحركة «أمل». تمنى عليّ الأستاذ عبدالحليم خدام ألا أردّ، لكنني خرجت عن نص كلمتي وخاطبت الرئيس حافظ الأسد قائلاً: نتلقى الدعم منكم لا من غيركم. قلت هذا الكلام علناً أمام كل الناس.

■ كيف تطورت العلاقة مع الحريري بعد ذلك؟

ـ لم تشهد العلاقة تطوراً إلى أن صرت رئيساً لمجلس النواب وصار رئيساً للحكومة.

■ هل هناك صراع أقوياء بينك وبين الرئيس الحريري؟

ـ حدود التركيبة الحاضرة معروفة. أنا لا أطمح إلى رئاسة الحكومة وهو لا يطمح إلى رئاسة المجلس، ولا أحد في لبنان يفكر بهذه الطريقة.

■ ألا يؤثر وجود رئيس دائم للحكومة في حرية تحرك رئيس مجلس النواب؟

ـ ليس هناك رئيس دائم للحكومة. إنه كلام يكتب في الصحف. على كل سياسي أو مسؤول أن يتذكر القول المعروف: لو دامت لغيرك لما وصلت اليك. لا الحريري دائم ولا أنا دائم، وليس هناك من إنسان دائم على الإطلاق. يخطئ من يعتقد بخلاف ذلك.

نحن نعيش في ظل نظام ديموقراطي والحكومات تعيش بثقة المجالس النيابية. ما دام رئيس الحكومة يحظى بثقة المجلس يبقى في الحكم. وبمقدار ما يكون حكيماً يبقى في الحكم، وإذا تراجعت الحكمة تبدأ الخسارة.

■ هل يمكنك تصور البلد من دون الرئيس الحريري رئيساً للحكومة؟

ـ نعم أتصور البلد من دون نبيه بري ومن دون رفيق الحريري ومن دون كل المسؤولين الحاليين. لقد تغلبت الشعوب في تاريخها على خسارات أكبر بكثير. فقد خسرت الشعوب رموزها الدينية وقادتها التاريخية واستمرت من دونهم. وأنا أؤكد لك أن لبنان أقوى بكثير من كل الحكام. أعتقد بأن الولايات المتحدة لو شهدت حرباً كالتي شهدها لبنان على مدار ١٧ عاماً لزالت من الوجود. لبنان قوي. انظر كيف يسبح العالم نحو الانقسامات وكيف انفجرت يوغوسلافيا وغيرها. انظر إلى لبنان فهو سبح عكس التيار وتمكن من استرجاع وحدته. على ماذا تدل هذه التجربة القاسية؟ تدل على أن لبنان أصلب من أرزه وأن أرزه أصلب من أي شجرة في العالم.

يجب أن نعرف حدود الأشياء. وبالتالي يجب ألا يعتقد أحد، لا أنا ولا غيري، بأن مصير العالم متوقف على شخصه وأنه المحور الذي لا غنى عنه. كل الحروب والغزوات لم تستطع إنهاء لبنان. أعطيك مثلاً إسرائيل، استضعفت لبنان لأن لبنان كان يقول إن قوته في ضعفه وكانوا يروننا زوزو وفوفو. دخلوا إلى هنا فماذا كانت النتيجة؟ لم تسترجع الدول العربية شبراً من الإسرائيليين إلا نتيجة

المفاوضات والإذلال. لبنان سيرغم الإسرائيليين على الانسحاب وسلاحه تلاحم شعبه على أساس المقاومة. لا تصدق إن المقاومة يمكن أن تنجح من دون تلاحم شعب وراءها.

للمقاومة الآن وجه شيعي وهذا صحيح. لكن المقاومة ليست مقتصرة على العمل العسكري. الإمام الصدر كان يقول أن أحد أهم أساليب المقاومة هو الوحدة الوطنية. انظر إلى ما حدث في ١٤ آذار/مارس (يوم المقاومة). انظر إلى من احتضن النازحين بعد عدوان ١٩٩٣ وإلى ما حدث في ١٩٩٦. الوحدة الوطنية ضمان أساسي للمقاومة.

■ في آخر العام ١٩٨٥ وقعت على «الاتفاق الثلاثي»، كم كان صعباً عليك الجلوس مع قائد «القوات اللبنانية» آنذاك إيلي حبيقة؟

ـ لم يكن صعباً إطلاقاً. ولم يكن صعباً بالنسبة لي الجلوس مع بشير الجميل أو أمين الجميل لأنني كنت مستعداً دائماً للجلوس عندما تكون هناك ركيزة له. رئيس حركة «أمل» لم يعمل تحت الطاولة في الماضي ولا في الحاضر. والحركة لا تنتهج سياسة تقوم على الازدواجية أو التخفي. ألتقي علناً من أريد لقاءه. يمكنني أن أسمي نفسي صاحب مدرسة في السياسة المفتوحة. ومن دون قياس وتشبيه أقول أنا ألعب المكشوفة ولا أحب المستورة. لم ننتهج يوماً سياسة تجعلنا نتخفى أو نخجل. نخاصم علناً ونصادق علناً. أعطيك مثلاً: أنا لم أحاول خلال الحرب ترتيب جلسات مع بشير الجميل أو سمير جعجع بعيداً عن الأضواء أو مع الاستخبارات اللبنانية أو غيرها. هذا أمر محسوم، فأسماء الذين كنت ألتقيهم كانت تنشر

في الصحف. وعندما كنا نشعر بتوافر ركيزة لتفاهم لبناني لم نكن نتردد.

أنا أعرف أنك تريد أن تسأل عن الميليشيات وسأجيبك: أنا أعترف بأنني أنشأت ميليشيا لكننا نحن صنعنا مقاومة. أنا أسست ميليشيا من أجل إنشاء الدولة اللبنانية وإنشاء الوطن اللبناني. كان العلم اللبناني دائماً إلى يميني وعلم حركة «أمل» إلى اليسار. عندما انتخب الرئيس الياس الهراوي وجاء إلى المقر الموقت لم يجد علماً لبنانياً جديداً ليضعه إلى جانبه فجئت إليه بعلمي من بربور وأعطيته إياه وبقي معه.

■ من كان صاحب فكرة الاتفاق الثلاثي؟

ـ بعث إيلي حبيقة برسائل إلى سورية ورعت دمشق هذا الموضوع. انتدبت بعدها الدكتور محمد عبدالحميد بيضون، وانتدب حبيقة (الوزير السابق) ميشال سماحة، وانتدب وليد جنبلاط السيد أكرم شهيب. وبدأت اجتماعات مكثفة في الشام استغرقت وقتاً طويلاً.

■ هل كان للرئيس الحريري دور في «الاتفاق الثلاثي»؟

ـ بالنسبة إليّ كرئيس لحركة «أمل» لم يكن له دور. لم يكن له دور معنا، أما مع غيرنا فربما لعب دوراً. في إحدى المرات، وكنا يومها في الشام نتفاوض، جاء الرئيس الحريري وزارني في بيتي هناك، شربنا القهوة ولم يدخل معي في تفاصيل.

■ دولة الرئيس، هناك تهمة موجهة إليك؟

ـ خير أن شاء الله ما هي التهمة.

■ **يقال إنك عرقلت الإصلاح الإداري وإنك تصر في التعيينات على المجيء بأشخاص ينتمون إلى حركة «أمل» وإن الطائفة الشيعية تملك نخبة ممتازة لكن هذه النخبة لا يفسح لها مجال للمشاركة؟**

ـ سمعت هذه التهمة وهي قيلت فعلاً، وجوابي بسيط جداً: قال اتفاق الطائف بالمناصفة في الفئة الأولى بين المسيحيين والمسلمين والمناصفة بين السنة والشيعة في النصف العائد إلى المسلمين. واستناداً إلى ذلك هناك عشرات الوظائف التي يفترض أن يشغلها أشخاص ينتمون إلى الطائفة الشيعية. إنني أدعوك إلى عرض أسماء هؤلاء وإن فعلت لاكتشفت أن عدد المنتمين إلى «أمل» أقل من حجمها داخل طائفتها وأقل من حقها. أريد أن أكون واضحاً هنا: حركة «أمل» ليست كل الطائفة الشيعية ولا يمكن القول إن كل الطائفة الشيعية تتمثل بـ «أمل». لكنني أعتقد بأن حصة الحركة لا تفوق حجمها وربما لا توازيه. أما أنني آتي بأناس أعرفهم فهذا صحيح. من أين سآتي بالناس وهل أستقدمهم من المريخ؟

■ **دولة الرئيس، هناك شكوى من النوعية، خصوصاً أن الطائفة الشيعية تزخر بالطاقات؟**

ـ أستغرب تماماً هذا الكلام. فد يكون هناك من يضيرهم أن ابن حركة «أمل» يثبت جدارته في المراكز الإدارية ويحكم ضميره ولا يركع أمام الضغوط. هذا أيوب حميد كان أول مدير عام من «أمل» ولم أكن يومها رئيساً لمجلس النواب. عندما عينت حميد مديراً عاماً للإعلام ظهرت اعتراضات في صفوف الشيعة، فهو من بيت ليف، وهي قرية صغيرة وهو من بيت فقير. هل نحرمه على رغم كفاءته لأنه من قرية متواضعة ولأنه لم يأت من أسرة غنية؟ أثبت حميد

جدارته وصار نائباً ووزيراً. الدكتور محمد عبدالحميد بيضون عين رئيساً لمجلس الجنوب فقامت القيامة. أثبت كفاءته وصار نائباً ووزيراً. إنني آسف لأن نضطر إلى الحديث في الحصص. هذه الاتهامات معروفة الغرض وهي جزء من التسريبات. أستطيع أن اؤكد لك أن نبيه بري لم يكن وراء قصة الحصص ومجيء كل رئيس بمن يخصه. لم أكن البادئ، غيري بدأ بهذا الأسلوب وكرسه. أنا قلت أكثر من مرة فلنتشارك لنختار معاً أصحاب الكفاءة من كل الطوائف فاختار الآخرون أسلوباً آخر.

■ وهل التقيت الدكتور سمير جعجع؟

ـ التقيت جعجع مرة واحدة، زارني في منزلي قبل سفري إلى الفاتيكان وكنت رئيساً للمجلس.

■ متى عرفت أنك ستصبح رئيساً لمجلس النواب؟

ـ بعد الانتخابات النيابية في الجنوب والنصر الكاسح الذي قدمه إلي أهلنا هناك عرفت أن اسمي وارد.

■ كيف تختصر العلاقة مع الرئيس الياس الهراوي؟

ـ ودّ مع خلاف في الرأي.

■ ومع الرئيس الحريري؟

ـ الشيء نفسه. ود مع خلاف في الرأي.

■ هل تكره الرئيس كامل الأسعد؟

ـ لا. أول شيء يجب أن يتعلمه السياسي، إذا لم يكن ذلك من طبعه، هو ألا يكره فكيف إذا لم يكن معتاداً في طبعه على الكره. الانتقاد شيء والخصومة السياسية شيء والكره شيء آخر. تحضرني الآن كلمة للأديب ميخائيل نعيمة يقول فيها «عجبت لمن يغسل وجهه مرة في النهار ولا يغسل قلبه ولو مرة في السنة».

أتمنى على كل اللبنانيين أن يغسلوا قلوبهم ولو مرة في السنة وعندئذ ننسى فعلاً عقود الحرب.

* * *

لا تُكتب قصة «أمل» ورئيسها نبيه بري من دون العودة إلى المؤسس الإمام موسى الصدر. كيف كانت البدايات؟ وما هي قصة العلاقة بين بري والصدر؟ وكيف تعامل الإمام مع «حرب السنتين»؟ وماذا يعرف رئيس مجلس النواب اللبناني عن رحلة الصدر إلى ليبيا وتغييبه؟ أسئلة كثيرة طرحناها على رئيس مجلس النواب اللبناني.

■ كيف بدأت علاقتكم مع الإمام موسى الصدر؟

ـ في ١٩٦٣ كنت طالباً في السنة الأخيرة في كلية الحقوق ـ الجامعة اللبنانية، ورئيساً لرابطة الطلاب في الكلية والجامعة معاً. وكنت في الوقت نفسه رئيس اتحاد الطلاب الجامعيين في لبنان، وهو كان عضواً في الاتحادين العالميين للطلاب الغربي والشرقي. وشهدت تلك السنة سلسلة تحركات احتجاج، ندوات وإضرابات. ونظمنا الإضراب الشهير من أجل وضع حجر الأساس لبناء الجامعة اللبنانية في الشويفات. في تلك السنة توفي أحد أقاربي في تبنين وجاء الإمام الصدر للتعزية. وجرى نقاش في منزل الوالد بيني وبين

الإمام اتسم أحياناً بشيء من الحدة. وللتاريخ أقول إنني وجدت فيه ليس رجل دين كبيراً فقط بل وجدته أيضاً مصلحاً اجتماعياً عظيماً. واستغرق الحوار اكثر من ساعتين.

■ علام دار النقاش؟

ـ كانت لي ملاحظات على تحركات الإمام الصدر والانقسامات التي كانت قائمة آنذاك. كان موضوع الناصرية مطروحاً بقوة في تلك المرحلة فسألته لماذا تبتعد عن عبدالناصر ولماذا لم تزر مصر بعد... وأسئلة أخرى. تضايق والدي من صراحتي لكننا في نهاية الاجتماع اتفقنا على أن نبقى على اتصال، وفكرت ملياً في الأجوبة التي ساقها رداً على أسئلتي.

بعد فترة وجيزة حصلت حادثة المثلجات (البوظة) في صور. والقصة هي أن مواطناً مسيحياً فتح محلاً لبيع المثلجات، وربما لأسباب تتعلق بالمنافسة أو الحساسيات الشخصية جاء من يدعو إلى مقاطعة صاحب المحل لأنه مسيحي. أدى الإمام الصدر صلاة الجمعة وتوجه إلى المحل المذكور ووراءه جمع من الناس وتناول المثلجات أمام الناس كلها. عندما سمعت بهذه الحادثة ركبت سيارتي ونزلت من تبنين إلى صور ودخلت على الإمام الصدر وجلست إلى جانبه وكانت بداية علاقتي به.

قبل إنشاء حركة «أمل» أو حركة «المحرومين» كما سميناها أردنا وضع ميثاق أو وثيقة سياسية يتم على أساسها أداء اليمين والانخراط. وكنت من الإخوان الذين اختارهم الإمام الصدر ليكونوا النواة من أجل وضع الوثيقة ومناقشتها. عقدت سلسلة اجتماعات معظمها في منزل الرئيس حسين الحسيني وفي حضور

الشيخ عبدالأمير قبلان وأحمد إسماعيل والمرحوم أحمد قبيسي. وافقنا على الوثيقة وكنت بين أول من أقسموا اليمين وراء الإمام الصدر.

حركة المحرومين هي الحركة الاجتماعية التي قادها الإمام الصدر وحركة «أمل» تعني «أفواج المقاومة اللبنانية» التي تنبثق من حركة المحرومين.

■ أين كنت في ١٣ نيسان (أبريل) ١٩٧٥ وهل توقعت أن تكون تلك الرصاصات شرارة لحرب طويلة؟

ـ في ١٣ نيسان كنت في بيروت عندما حصلت حادثة البوسطة في عين الرمانة. استدعاني الإمام الصدر وجرى تداول في الحادث وأبعاده. شعر الإمام بأن الحادث خطير وينذر بعواقب سيئة على الوضع العام، خصوصاً أن الأجواء السياسية كانت مشحونة قبل ذلك التاريخ. ورأى أن الوضع يستدعي تحركاً عاجلاً لمنع الفلتان والاحتكام إلى السلاح. وشدد على ضرورة القيام بمسعى لجمع الشمل بين اللبنانيين والفلسطينيين.

جرت هذه المشاورات في مقر المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في الحازمية، وتبلورت فكرة ترتيب اجتماع موسع بين الجهات اللبنانية والفلسطينية لأن الأجواء توحي بوجود مؤامرة كبيرة تستهدف دفع لبنان نحو كارثة. وطلب من بعض الأشخاص التوجه للتحدث مع الفلسطينيين وانتدبت أنا وأحمد قبيسي للتحدث إلى الشيخ بيار الجميل (رئيس حزب الكتائب اللبنانية). ذهبنا وكان الشيخ بيار متشدداً ومتشنجاً. وقلت له مرات عدة خلال الحديث «نحن أم الطفل وواجبنا أن نحرص عليه. نحن أم الصبي». وكنت أقصد أن

على اللبنانيين التنبه إلى ما يجرى نظراً إلى ما يمكن أن يلحق بلدهم. وكان الشيخ بيار يرد: «اذا أرادوا احتلالنا فليفعلوا»، ويقول «إما نحن وإما هم». كان موقفه متشنجاً جداً من الفلسطينيين.

في طريق العودة كان الرصاص ينهمر بغزارة على ساحة البرج خصوصاً في محيط سينما شهرزاد. تمهلنا قليلاً إلى أن خف الرصاص وتابعنا سيرنا إلى الحازمية. وأطلعنا الإمام الصدر على الأجواء لكنه أصر على ضرورة القيام بشيء لاحتواء التوتر وأجرى اتصالات مكثفة جداً انتهت بعقد ما سمي «اجتماع الـ٧٧» الذي ضم فصائل فلسطينية وأطرافاً لبنانية. كان الغرض من الاجتماع التشديد على ضرورة إبقاء باب الحوار مفتوحاً وتسوية الأمور عبر الاتصالات والمناقشات، لكن المؤامرة كانت أكبر بكثير من الجهود المبذولة في مواجهتها.

وأصرّ الإمام الصدر على البقاء في الحازمية وكنا نصعد يومياً إلى هناك على رغم الوضع الأمني، وتعرضنا مرات عدة لخطر الموت والاغتيال خصوصاً مع شيوع ظاهرة القنص. وفي إحدى المرات كنت مع الإمام الصدر وكان يقود السيارة موظف في الأمن العام اسمه محمد عيسى. بدأ الرصاص ينطلق فبطحت الإمام في السيارة ونمت فوقه إلى أن عبرنا المكان الذي يستهدفه الرصاص. وفي مرة أخرى تعرضت لمحاولة اغتيال وكنت وحيداً أحاول إنقاذ رجل مخطوف اسمه خطار حدثي الموجود الآن في «طيران الشرق الأوسط».

حفلت تلك المرحلة بممارسات الخطف. وكان الغرض فرز المناطق وقطع الاتصال بينها وترسيخ أجواء التشنج وردود الفعل. لم نستطع

منع التدهور فسعينا إلى تخفيف الآلام وتركز اهتمامنا على إنقاذ المخطوفين المسيحيين والمسلمين. كل مساء وفي السادسة تماماً كان يحصل اتصال بيني وبين داود أبو جودة، شقيق الكاتب والصحافي الراحل ميشال أبو جودة. كنت أعطيه أسماء المسلمين الذين خطفوا في الشرقية ويعطيني أسماء المسيحيين الذين خطفوا في الغربية. ونتبادل المعلومات عن نتائج الجهود لإطلاق هذا المخطوف أو ذاك. وكانت عملية التبادل تتم في مقر المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في الحازمية.

وحضر (الرئيس السابق) أمين الجميل (كان نائباً آنذاك) مرتين عملية التبادل إذ كان يحضر مع داود أبو جودة أناساً خطفوا في الشرقية ونحضر أناساً خطفوا في الجهة الأخرى ويتم التبادل.

وتحول منزلي في بربور، في تلك الأيام، مكتباً لتلقي شكاوى أهالي المخطوفين. كان الاتصال مع داود في الموعد المحدد جزءاً من البرنامج اليومي. وكنا نتعمد ألا نشغل خطينا الهاتفيين في الموعد المحدد، ولم يكن الخلوي دخل العمل. ذات يوم انتظرت ولم يتصل ومر بعض الوقت فراودتني الهواجس. اتصلت به وإذ بهم يقولون لي إن شقيقه ميشال على الخط وسارع إلى إبلاغي بصوت متهدج أن داود خطف! ورحت أعمل من أجل الإفراج عنه. إنها حكايات مؤلمة فعلاً، لكن هذه الحادثة كانت طريفة على رغم طابعها المأسوي ككل عمليات الخطف.

■ **ما هي قصة الاعتصامات التي نفذها الإمام الصدر خلال حرب السنتين؟**

ـ كان الغرض التعبير عن الموقف المناهض للحرب والتنبيه إلى

المخاطر المتزايدة التي تلوح في الأفق. أقيمت اعتصامات عدة بينها الاعتصام في جامع الصفاء التابع للكلية العاملية في رأس النبع. اعتصم الإمام الصدر هناك وصام وتوافدت الناس من رؤساء ووزراء ونواب وشخصيات. اعتصام وصيام من أجل وقف الحرب. خلال الاعتصام تلقى الإمام نبأ وقوع أحداث طائفية في البقاع فألقى كلمة شهيرة قال فيها «إن من اعتدى على مسيحي فقد اعتدى عليّ وعلى قلبي ودير الأحمر بلدي». وفك الاعتصام وتوجه إلى المنطقة لمعالجة الموضوع.

وهكذا كنا كلما داوينا جرحاً سالت جروح. كانت المؤامرة أكبر بكثير.

في وقت آخر، عقد الإمام الصدر اجتماعاً عاماً في منزل الشيخ عبد الأمير قبلان في بئر حسن جمع فيه عدداً من الشخصيات ليشرح أبعاد المؤامرة وليتداول مع المجتمعين في سبل التصدي لها. كان اليوم يوم سبت. وقف الإمام قرب خريطة وراح يشرح كيف تحاول المؤامرة تقسيم لبنان إلى دويلات، دويلة مارونية ودويلة شيعية ودويلة سنية ودويلة درزية. في هذا الوقت، رنّ الهاتف وكان الإمام يتحدث فأخذت الاتصال وإذ بالمتحدث الحاج مرتضى حمود وهو تاجر في المرفأ ــ أطال الله عمره ــ يخبرنا عن المذابح التي كانت تحصل هناك في ذلك اليوم الذي عرف بـ «السبت الأسود». دخلت على الإمام وقلت له ماذا تشرح فالأوضاع على الأرض سالكة وغير آمنة، أي أن المؤامرة مستمرة في اندفاعها.

■ **أفهم من كلامك أنه لم يكن لك في «حرب السنتين» دور المحارب وأن دورك يندرج في خانة جهود الإمام**

الصدر لوقف الحرب؟

ـ تماماً. كما قلت لك بقينا في مقر المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى (شرق بيروت) على رغم الأخطار. كنت عند الإمام بعدما خلّصت خطار حدثي من الخطف، ووقفت لمغادرة المكان نحو الحادية عشرة ليلاً، فألحّ الإمام عليّ لأنام في الحازمية فقلت له إنني دعوت الدكتور حسني المجذوب إلى العشاء ووصل إلى منزلي. وحسني اليوم مستشار للرئيس الحريري. قال عدني إذاً أنك ستذهب عن طريق الجبل فقلت له إن شاء الله. لم أتصور أن يستهدفني الرصاص وأنا أجهد لإطلاق المخطوفين من الجانبين. ما أن وصلت إلى قرب بن عازار في الحازمية حتى انهمر الرصاص وراح يلاحقني. سمع الإمام الرصاص فنزل حافياً بلباس النوم (الدشداشة البيضاء) ومشى حتى وصل إلى مستديرة الصياد حيث رده رجال الدرك وقالوا له إن السيارة أصيبت لأنها اصطدمت بحائط أثناء إطلاق الرصاص. اعتقدوا بأنني أصبت، فعاد الإمام وبدأ الاتصال بمنزلي إلى أن وصلت وأبلغته أنني نجوت بأعجوبة. كان هشام الشعار المدير العام لقوى الأمن الداخلي. جاء وكشف على السيارة ووجد فيها عشرات الرصاصات. بعدها قلت للإمام إن البقاء في مقر المجلس لم يعد جائزاً. ألححنا عليه كي يغادر فوافق، واتخذ حينها من منزلي في بربور مقراً لعمله.

■ **هل كان الإمام الصدر يحبك؟**

ـ أفضل أن تطرح هذا السؤال على غيري. كان الإمام يعدّني من المقربين.

■ **بصفتك رئيساً لحركة «أمل» وزعيماً للطائفة الشيعية...**

ـ (مقاطعاً) دعني أصحح أولاً، أنا لست زعيماً للطائفة الشيعية. أنا مسؤول لبناني.

■ تقول التجربة إن الزعامة على المستوى الوطني تبدأ دائماً بزعامة داخل الطائفة تكون ركيزة الانطلاق، هذا ما حصل مع كل الزعامات اللبنانية؟

ـ منطلقاتنا كانت واضحة. لو قرأت ميثاق حركة «أمل» لما عثرت فيه على كلمة مسلم أو شيعي. دعني أصحح أمراً مؤسفاً: لكل شيء في لبنان ترجمة ترجع إلى الولادة. في لبنان لا يعترفون أبداً بتطور بين الولادة والوفاة. هذه مشكلة بل مأساة. وأقول لك صراحة أنا نبيه بري لو ولدت من أب وأم مسيحيين لكان لديّ الشعور نفسه ولكانت لديّ العواطف والمواقف نفسها. أقول بأسف وألم: في لبنان لا يقرأون الشخص إلا في ضوء ولادته.

■ هل يعني هذا أنك لست متعصباً؟

ـ أفضل أن تسأل سواي عن هذه النقطة. لكنني سأقول لك لماذا لست متعصباً، لأنني، والحمد لله، متدين ولم أر رجلاً مؤمناً حقاً بالدين ومتعصباً في الوقت نفسه. جوهر الدين مناقض للتعصب. راقب على مدى العصور والأدوار، المتعصب لا يدخل المسجد أو الكنيسة. هل رأيت مسلماً حقيقياً لا يؤمن بقسم كبير من المسيحية وبالسيد المسيح عليه السلام وبسيدتنا مريم ويدخل الجنة؟ إذا تنكر لذلك يكون تنكر لعشرات الآيات من القرآن الكريم بل المئات.

وفي «حرب السنتين» تمسكنا بالبقاء في الحازمية إلى أقصى حد ممكن انطلاقاً من إيماننا بوحدة لبنان ولم نغادرها إلا مضطرين.

والمتعصب يهتم بالخطف لا بإطلاق المخطوفين. الموقف الثابت الذي لم نتزحزح عنه هو تمسكنا الكامل بوحدة لبنان.

■ كنت أريد السؤال عما تملكه بصفتك رئيساً لحركة «أمل» من معلومات عن تغييب الإمام الصدر في ٣١ آب (أغسطس) ١٩٧٨ خلال زيارته لليبيا؟

ـ تلقّى الإمام الصدر دعوة إلى ليبيا، وكان يريد أن يرافقه اثنان اختارهما هما أنا ومالك بدر الدين. لم يتمكن بدر الدين بسبب آلام الديسك في ظهره فاعتذر، أما أنا فكنت مضطراً إلى الذهاب إلى الولايات المتحدة لأسباب عائلية واعتذرت. هكذا اصطحب الإمام الصدر معه فضيلة الشيخ محمد يعقوب وعباس بدر الدين. ودعني أقل لك إن مسؤولين عربيين نصحا الإمام بعدم زيارة ليبيا، وكشفا لي ذلك. طبعاً لم يكن المسؤولان يتوقعان أن يحصل ما حصل لكنهما رأيا أن هذا الرجل (معمر القذافي) يقدم على تصرفات ليست عادية وأن لا فائدة من الزيارة. التقيت أحد المسؤولين قبل خمسة أشهر وكان صديقاً للإمام وكرر لي «والله أنا نصحته بعدم الذهاب».

وكان الإمام الصدر قد قام قبل ذلك بجولة عربية لدعم فكرة عقد مؤتمر الرياض لحل الأزمة في لبنان. نعم الإمام الصدر هو الذي سعى إلى عقد قمة الرياض. كانت ليبيا في «حرب السنتين» تمول وتسلح أطرافاً كثيرة في لبنان، ورأى الإمام أن زيارته لليبيا يمكن أن تساهم في ترسيخ الاستقرار في لبنان. وتلقى دعوة إلى حضور احتفالات الفاتح من سبتمبر ولباها. نزل مع رفيقيه في فندق الشاطئ ولم يكن وحيداً هناك وشاهده عدد من اللبنانيين المقيمين في الفندق

والتقوه. وفي ٣١ آب/أغسطس بعد تأخير، حدد للإمام موعد مع القذافي، وأبلغ من التقاهم في ذلك النهار أنه ذاهب للقائه. وصعد إلى السيارة من أمام الفندق ولم يعد.

المسألة لا تحتاج إلى جهد أو تفسير. طلع القذافي بقصة مفادها أن الإمام الصدر ورفيقيه غادروا ليبيا إلى إيطاليا، عملياً الإمام لم يعد إطلاقاً إلى فندق الشاطئ ليأخذ أمتعته... وفجأة يعثر على حقائب الإمام مفتوحة في فندق في إيطاليا وجواز موجود بداخلها ولا أثر في الفندق له ولرفيقيه. والقصة هي أن شخصين يعتمران عمامتين صعدا إلى طائرة تابعة لشركة «أليطاليا» أقلعت من طرابلس إلى روما وأوصلا الحقائب إلى الفندق الإيطالي. وبدأت التحقيقات وإذ بالمضيفة على الرحلة التي وصلت إلى روما تتعرف إلى الإمام الصدر من خلال الصور التي قدمت إليها لأنه كان قد سافر معهم في إحدى الرحلات، وقالت أنا أعرفه شخصياً ولم يكن على الرحلة بين الركاب.

أعتقد بأن الأمر واضح وكاف ولا يحتاج إلى المزيد: القذافي يتحدث عن لجنة تحقيق كأن الأمر يتعلق بحادث سيارة. إنهم يحاولون بكل الوسائل التخلص من هذا الموضوع والموضوع لا يحتاج إلى نقاش. الدولة اللبنانية اهتمت بالأمر وأرسلت (اللواء) نبيه فرحات (رئيس جهاز أمن الدولة حالياً وكان حينها في مخابرات الجيش اللبناني) وحصلت تحقيقات وقدم المدعي العام الإيطالي مطالعته في هذا الموضوع وكل الأمور ثابتة. لهذا لا أتوقف عند ما تروجه وسائل الإعلام الليبية بين وقت وآخر.

عندما حصل ذلك كنت في طريقي من ديترويت إلى نيويورك التي

وصلت إليها ونزلت عند صديق لي اسمه إيلي عساف. تلقيت اتصالاً من عائلتي في ديترويت أخبرتني فيه بأن الإمام الصدر اختفى. اتصلت فوراً بلبنان فطلب مني الرئيس حسين الحسيني البقاء في نيويورك لإجراء اتصالات في هذا الموضوع في الأمم المتحدة. وكان الأستاذ غسان تويني مندوب لبنان لدى الأمم المتحدة فاتصلت به وعملنا معاً في هذا المجال وأطلعنا الدول الكبرى على ما حصل.

كانت هناك صداقة مع تويني وكانت له علاقة مع الإمام الصدر منذ أيام وثيقة المحرومين والنقاشات التي دارت في شأنها قبل توقيعها. مكثت خمسة أيام وشعرت بأن الوقت طال فعدت إلى بيروت. في غيابي اختير الرئيس الحسيني أميناً عاماً لحركة «أمل» واخترت أميناً عاماً مساعداً واعتبرنا الإجراء موقتاً في انتظار عودة الإمام لأننا تصورنا أنه لا يعقل أن تصل الشهامة العربية إلى هذا الحد.

■ **وما قصة اللقاء مع الإمام الخميني؟**

ـ بعد انتصار الثورة الإسلامية ذهبنا في أول طائرة حطت في طهران للتهنئة. طبعاً ياسر عرفات سبق الجميع. كنا وفداً كبيراً بين أعضائه الشيخ محمد مهدي شمس الدين والرئيس حسين الحسيني وحسين كنعان وحسن يتيم وصدري نجل الإمام الصدر. كنا طائرة كاملة وذهب معنا مصطفى شمران، أحد أبطال الثورة الإيرانية، وكان المسؤول التنظيمي في حركة «أمل». ومصطفى شمران فيزيائي جاء ذات يوم إلى الإمام الصدر ومعه كتاب توصية من الإمام الخميني فاحتضنه الصدر وسلمه المدرسة المهنية في جبل عامل وراح يشرف على تخريج الكوادر.

وصلنا إلى طهران وتوجهنا إلى الفندق وحدد لنا موعد مع الإمام الخميني في اليوم التالي. ولاحظت صباحاً صوراً للقذافي في الصحف الإيرانية فسألت عن السبب فقيل إنه قد يصل غداً إلى طهران. عندما حان الموعد دخلنا مجموعة صغيرة من نحو خمسة أشخاص وطلبت من صدري الصدر أن يتولى الترجمة، فالإمام الخميني كان يفهم العربية ويجيدها لكنه كان يتحدث دائماً بالفارسية. قلت للإمام الخميني، رأيت صور القذافي هنا وهو خطف الإمام الصدر. مجيئه إلى هنا يعدّ بمثابة صك براءة له. نتمنى ألا يأتي إلى طهران وألا تستقبله إلا إذا جاء بالإمام الصدر معه. عندئذ أطلق الإمام الخميني تلك الكلمة: «الإمام الصدر هو ابني وتلميذي وصديقي»، موضحاً أن القذافي لن يأتي إذا لم يكن الصدر معه، وهذا ما حصل.

وعندما تطرق البحث إلى موضوع الإمام الصدر لم يشأ صدري الترجمة فتولى مصطفى شمران المهمة، فانتبه الإمام الخميني إلى صوته ثم وضع يده عليه وابتسم. بعدما خرجنا لحق بنا رئيس الوزراء يومها مهدي بازركان وقال إن الإمام الخميني يريد ألا يعود مصطفى إلى لبنان، فهو يريده قريباً منه ولمركز كبير. كان شمران منظماً وانضباطياً، قال: «هذا شرف لي لكنني أريد إذناً من الأمين العام للحركة ومن الأمين العام المساعد». وسألني الرئيس الحسيني ما رأيك؟ فأجبت: «اتكل على الله فليبق وهو يمكن أن يساعدنا هنا». وبقي شمران وإذا به يصبح ممثلاً للإمام الخميني ثم وزيراً للدفاع واستشهد في المعارك مع العراق.

■ **هل يمكن القول إن دور مصطفى شمران في «أمل» كان كبيراً؟**

ـ نعم. وكما ذكرت لك كان نظام الشاه يضطهده، وجاء إلى الإمام الصدر مع كتاب من الإمام الخميني فعينه مديراً للمؤسسة المهنية وعندما أسس حركة «أمل» عينه مسؤولاً تنظيمياً.

■ يحكى أن علاقة الإمام الصدر مع بعض الجهات في إيران كانت مضطربة؟

ـ انتزع منه الشاه جواز سفره.

■ قصدت مع مرجعيات دينية؟

ـ ممكن، وهو أمر طبيعي. وحتى الآن لا يمكن القول إن كل المرجعيات في جو واحد.

■ هل كنت في حزب البعث العربي الاشتراكي عندما كنت طالباً في الجامعة؟

ـ هذه مسألة لا أنكرها أو أؤكدها. كنت في تلك الموجة العربية التي كانت تشمل البعث والقوميين العرب والناصريين. كنت مؤيداً لهذا الخط دائماً. وعندما ترشحت لرئاسة الاتحاد في الجامعة اللبنانية خضت المعركة باسم العروبيين. وكما رويت لك في لقائي الأول مع الإمام الصدر حصل عتاب إذ إنني سألته لماذا لم تزر مصر بعد ولماذا لم تلتق عبدالناصر. هذا كان موقفي العربي دائماً وكنت مؤيداً للخط البعثي وللخط القومي، وما زلت على قناعتي، أي لا أزال كما كنت.

■ ألم تكن عضواً؟

ـ لا، لم أكن عضواً بمعنى العضوية والانتساب.

■ الصدامات بين «أمل» والفلسطينيين بدأت باكراً؟

ـ كان الرئيس حسين الحسيني أميناً عاماً وحصل اعتداء على منزله في عرمون. أطلقت قذائف «آر بي جي» على المنزل وكانت عائلته فيه. يومها اتهم (الملازم) أحمد الخطيب وجيش أحمد الخطيب («جيش لبنان العربي»). أي في النتيجة أن حركة «فتح» وراء القصة. حصلت إشكالات كثيرة حاولت مع الرئيس الحسيني وقفها، لكنها استمرت متقطعة إلى أن عقد اجتماع في طلعة شوران في مكان ليس بعيداً من هنا. وكان لخليل الوزير (أبو جهاد) عضو اللجنة المركزية لحركة «فتح» منزل هناك. اجتمعنا وتكثفت الجهود، وأوقفنا الاحتكاكات، لكن حصلت بعض المشاكل خصوصاً في منطقة الأوزاعي.

■ في ١٩٨٠ انتخبت رئيساً لحركة «أمل»؟

ـ توليت رئاسة «أمل» في نيسان (أبريل) ١٩٨٠. وجرى الانتخاب قبل عشرين يوماً لكن موعد تسلمي مسؤولياتي كان الرابع من نيسان.

■ وهل كان هناك انسجام بينك وبين الرئيس الحسيني عندما عملتما معاً؟

ـ لا شك في ذلك. كان هناك انسجام وكان كاملاً، والمشكلة التي طرأت بالنسبة إلى رئاسة الرئيس الحسيني للحركة كانت جوانبها قانونية أو تنظيمية ولم تكن المشكلة مني. مركز الأمين العام لم يكن موجوداً واخترع لأن الإمام غائب وكانت القصة موقتة. في ذلك الوقت اجتمعت الأقاليم وكانت الأجواء مشحونة خصوصاً من إقليم البقاع الذي كان ضد الرئيس الحسيني.

■ من كانت الأسماء البارزة في تلك المرحلة؟

ـ يمكن الحديث عن عدد من الأسماء بينها حسين الموسوي رئيس حركة «أمل الإسلامية» الآن، وحسن هاشم كان بارزاً في الجنوب والمسؤول عن الإقليم هناك، وكذلك الشهيد محمود فقيه، رحمه الله، والمرحوم عباس مكي وهو كان عقيداً متقاعداً، وموفق بيضون. كانت هناك أسماء كثيرة. في تلك الفترة كانت هناك هيئة تنفيذية إلى جانب الأمانة العامة. اجتمعت الأقاليم في مدينة الزهراء، أي في المكان الذي شهد لاحقاً أول مواجهة مع الإسرائيليين وانطلاق المقاومة. عقد اجتماع استمر نهاراً وليلاً إلى أن صاغت الأقاليم صيغة مجلس قيادة حركة «أمل» وبرز توجه لانتخابي رئيساً له. أنا شخصياً ترددت. ذهبت مع أحمد إسماعيل إلى منزل الإمام الصدر وحاولنا إقناع عائلته بأن يكون نجله صدري رئيساً لمجلس القيادة وأكدت استعدادي لأن أكون مساعداً له. ورفضت عائلة الإمام الصدر لاعتبارات نفسية واعتبارات أخرى، وتمسكت أم صدري، زوجة الإمام، بموقفها الرافض. وظهر في الأقاليم شبه إجماع لا بل إجماع على اسمي، فانتخبت رئيساً لمجلس القيادة على أن أتسلم مسؤولياتي عندما تنتهي مهمات الرئيس الحسيني في نيسان، وهذا ما حصل.

■ بين ١٩٨٠ و١٩٨٢ اصطدمتم بالمقاومة الفلسطينية؟

ـ هذه القصة أريد توضيحها: قبل أيام من تسلمي مهمات منصبي، جاء خبر مفاده أن صدام حسين قتل السيد محمد باقر الصدر وشقيقته الكاتبة بنت الهدى، فحصلت تظاهرة في منطقة الغبيري احتجاجاً على قتل عالم إسلامي كبير ومفكر إسلامي بارز من المرجعيات الكبيرة. لم تقتصر التظاهرة على حركة «أمل» بل شارك

فيها أناس أرادوا التعبير عن احتجاجهم على الجريمة وبينهم بالطبع أناس من «أمل». وتعرضت التظاهرة لإطلاق نار وأصيب اثنان من المتظاهرين أعتقد بأن أحدهما استشهد. وذكر وقتها أن مصدر النار كان من المبنى الذي يضم جريدة «بيروت» في الضاحية.

هكذا بدأت المشاكل بين حزب البعث (الموالي للعراق) وحركة «أمل» قبل أن أتسلم مسؤولياتي. وكان لحزب البعث انتشار واسع في الضاحية الجنوبية وكانت «جبهة التحرير العربية» جناحه الفلسطيني ووقفت إلى جانبه في الاشتباكات فاصطدمت «أمل» بالجبهة، وحين وقفت المنظمات الفلسطينية إلى جانب «جبهة التحرير» اتسع الصدام ليتحول صداماً بين «أمل» من جهة والمنظمات الفلسطينية من جهة أخرى.

■ **هل طلبتم آنذاك مساعدة من الجيش اللبناني؟**

ـ لم نطلب مساعدة من أحد وأتحدى كل الذين يقولون ذلك أن يقدموا دليلاً واحداً. في أي حال جوني عبده (مدير المخابرات في الجيش اللبناني آنذاك) حي يرزق وباستطاعتك أن تسأله. الحقيقة أننا رحنا نبحث عن حلول وعقدنا اجتماعات مع أبو عمار والحركة الوطنية اللبنانية. وتوصلنا في النهاية إلى صيغة فولدت هيئة التنسيق وكانت تضم أربعة أفرقاء: «أمل» و «الحركة الوطنية» والمقاومة الفلسطينية وسورية. وكنا نجتمع في حضور المسؤول في الأمن السوري آنذاك العقيد محمد غانم. عقدنا سلسلة اجتماعات وكنا نلتقي كلما حصلت إشكالات وبقينا على هذا الوضع إلى أن حصل الاجتياح الإسرائيلي.

■ **... واصطدمتم مع الشيوعيين أيضاً؟**

ـ كان حزب البعث جزءاً من «الحركة الوطنية» التي وقف بعض أحزابها إلى جانبه، فيما كان هناك رأي آخر داخل «الحركة الوطنية» يرفض الصدام مع «أمل» ويستغرب الموقف المسبق منها ويقول: إذا كانت لدى «أمل» أخطاء فلدى غيرها أخطاء أيضاً. مثلاً لم يحصل إشكال بيننا وبين الحزب السوري القومي الاجتماعي، وكذلك مع التنظيم الناصري (اتحاد قوى الشعب العامل) بزعامة كمال شاتيلا، وانضوى هؤلاء ومعهم حزب «رزكاري» الكردي و«أمل» في «الجبهة القومية» فيما بقي الآخرون في «الحركة الوطنية». «الجبهة القومية» ولدت في منزلي في بربور.


رفيق

على رغم محاولة اغتيال الوزير مروان حمادة لم يكن الرئيس رفيق الحريري يتوقع أن يكون الهدف المقبل «لأن أي قرار باغتيالي هو قرار كبير وخطير ومكلف لا يمكن أن يتخذه شخص عاقل». وقال: «أما محاولات اغتيالي سياسياً فلم تتوقف ولن تتوقف وهي تستهدف إبقاء البلد مريضاً إلى ما لا نهاية. لا مصلحة لهم في موت المريض ولا يقبلون بشفائه». وحين سئل إن كانت الموافقة على التمديد للرئيس إميل لحود تشبه تجرع كأس السم، رد سائلاً: «من تجرع السم أنا أم البلد؟».

هذا الحوار الذي نشر عشية الذكرى الأولى لاستشهاد الحريري هو حصيلة لقاءات متباعدة معه بدأت في سردينيا في صيف ١٩٩٩ وكان آخرها في بيروت قبل أسابيع من اغتياله. وتقضي الأمانة الإشارة إلى أن الحريري كان قد اشترط استكمال هذه الحوارات في خلوة في قصره الجبلي في فقرا، وموافقته المسبقة

على توقيت النشر. شاءت الأقدار أو يد الجريمة أن يغيب الحريري قبل استكمال هذه الحوارات.

في اللقاء الأخير كان الحريري حاسماً في التعبير عن قرار اتخذه: «لن أكون رئيساً للحكومة في عهد لحود... كلام نهائي ولا عودة عنه. سأقول لك كلاماً أوضح. لا في عهد لحود ولا في أي عهد يشبه عهد لحود... أي عهد يأتي بالطريقة نفسها وبالهدف نفسه وبالحسابات نفسها».

ورداً على سؤال إن كان يمكن الاستنتاج أنه لن يكون بعد اليوم رئيساً للحكومة، قال: «لا أعرف إن كان استنتاجك دقيقاً ولأي فترة من الوقت».

نفى الحريري أن تكون له أي بصمات على قرار مجلس الأمن الرقم ١٥٥٩، معتبراً أنه كان يمكن تفادي القرار حتى آخر لحظة. وسئل إن كانت الدول الغربية اتخذت قراراً بتغيير النظام في سورية، فرد أن الأمر يتوقف على سلوك النظام. وقال إنه لم يستطع التفاهم مع الرئيس لحود «لأن مشروع لحود، ومنذ البداية، كان موجهاً ضد البرنامج الذي على أساسه توليت رئاسة الوزراء». وأكد أن اللقاء الأخير بينه وبين لحود «كان لطيفاً للغاية».

تحدث الحريري في هذه الحوارات عن علاقته بلحود والعلاقات مع سورية. وتحدث أيضاً عن علاقته بالرئيس الراحل حافظ الأسد، مشيراً إلى أنه التقاه أكثر من خمسين مرة. وحكى عن علاقته بالملك الراحل فهد بن عبدالعزيز وبعض الذكريات في مجلسه.

روى الحريري أيضاً قصة نشأته وطريقه إلى النجاح والثروة والمبادئ التي انطلق منها في عمله السياسي. وقال: «أحياناً لا أكاد أصدق أن رفيق الحريري الذي انطلق من الصفر تمكن من الوصول إلى ما يتخطى أحلامه».

هل يحق للصحافي نشر حوارات كان المتحدث فيها قد اشترط عدم نشرها إلا بعد الحصول على موافقته «لأن التوقيت مهم في السياسة»؟ طرحت هذا السؤال على نفسي بعد ساعات من تلقي خبر استشهاد الرئيس رفيق الحريري. كانت الصدمة كبيرة والمناخ عاطفياً وتخوفت أن يؤدي التهاب المشاعر إلى تحميل بعض الكلام ما لم يُرده المتحدث أصلاً فصرفت النظر عن النشر. وقبل أيام من الذكرى الأولى لزلزال ١٤ شباط (فبراير) وجدت نفسي أمام السؤال نفسه، لكنني قررت هذه المرة نشر معظم ما جاء في هذه الحوارات لاعتقادي بأنها يمكن أن تكون تحية للرئيس الراحل، ولعلها تفيد القارئ الباحث عن تفاصيل مسيرة شخصية استثنائية.

من حق القارئ أن يعرف قصة هذه الحوارات التي جاءت حصيلة لقاءات متباعدة عقدت في سردينيا وباريس وبيروت. في ١٩٩٤ اتصلت بالرئيس الحريري طالباً منه الحديث. تردد طويلاً ثم وافق فذهبت إليه في مونت كارلو في ٢٦ كانون الأول (ديسمبر) وأمضيت معه يومين. قال لي يومذاك: «اعتبر هذا الحديث مجرد بداية، فوضعي السياسي ومسؤولياتي الرسمية تمنعني من الخوض في كثير من التفاصيل». وأضاف: «أعدك بأن نجري جولة أخرى من الحوار لاحقاً».

في صيف ١٩٩٩ عاودت الاتصال. كان الحريري خارج الحكم. وافق وذهبت إلى سردينيا مع آلة التسجيل الصغيرة،

وكانت جلسات عدة على يخته حيث كان يقيم. في اختتام اليوم الثاني صارحني قائلاً: «لم يحن بعد وقت البوح بما هو أهم. ما رأيك في ألا تنشر هذا الحديث الآن على أن نمضي يومين لاحقاً في فقرا. أقطع الاتصالات الهاتفية وأتفرغ لاستجماع الذكريات وستكتشف أنني كنت حاضراً بشكل أو آخر في كل محطة بعد ١٩٨٢».

وأضاف: «وبانتظار ذلك الموعد تستطيع أن تسألني عما تريد كلما التقينا في لبنان أو خارجه، وتستطيع تسجيل أجوبتي حتى ولو كنا نتحدث هاتفياً. شرطي الوحيد ألا ينشر شيء قبل موافقتي فأنا لا أريد أن يضر الإعلام بالسياسة فهل تعدني بذلك؟».

وعدته وصرت أسرق جزءاً من حوار كلما التقينا. للأسف كانت اللقاءات متباعدة، فقد عاد الحريري إلى الحكم في لبنان في العام ٢٠٠٠. الغريب أن الحريري كان يذكرني بوعده بخلوة صحافية في قصره الجبلي في فقرا، لكنني حين رأيته في المرة الأخيرة في قريطم قبل أسابيع من اغتياله لم يكن الجو يسمح باقتناص فرصة من هذا النوع، فقد شعرت بقدر من التوتر في حديثه وكأنه كان يقلب الانعكاسات المحتملة لفوز المعارضة في الانتخابات المقتربة.

لا غرابة في أن تستوقف شخصية رفيق الحريري أي صحافي يتابع حاضر لبنان ويسأل عن مستقبله. وحين كنت أحاول جمع روايات الحرب ومحاولات الخروج منها خصوصاً في عقد الثمانينيات من القرن المنصرم، كان اسم الحريري يتكرر على رغم حرصه في تلك الأيام على إبقاء دوره بعيداً من الأضواء وإخفاء حجمه الفعلي تفادياً لإثارة العداوات. كانت لرفيق

الحريري بصمات في كل المحطات. من إلغاء اتفاق ١٧ أيار (مايو) اللبناني ـ الإسرائيلي إلى «الاتفاق الثلاثي» بين الميليشيات الكبرى وصولاً إلى مؤتمري جنيف ولوزان وعهد الحكومتين ثم اتفاق الطائف.

كان السؤال الذي يشغلني في التسعينيات كيف نجح رفيق الحريري في التحول قطباً في مرحلة كان يفترض ألا تسمح بوجود أقطاب في لبنان. طرحت السؤال على الحريري فسألني عن الجواب. قلت: «قوتك المالية الضاربة تعادل قوة ميليشيا يفوق حجمها أحجام الميليشيات الموجودة».

أجاب: «أعوذ بالله من هذا التشبيه. لا أنكر أن المال إذا أحسنت استخدامه يمكن أن يعطيك فرصة، لكن دعني أقول لك: تستطيع بمالك شراء قصر كبير لكنك لا تستطيع بالمال وحده شراء محبة عامل في حديقة القصر. هناك الثقة والمتابعة والقدرة على إثارة الأمل لدى الناس».

وأضاف: «لم يتركوا وسيلة لتهشيم صورتي إلا لجأوا إليها. قالوا للشيعة إنني جئت لتحجيم دورهم. أنا لن أردّ، أنت تعرف السيد حسن نصر الله والرئيس نبيه بري. لماذا لا تسألهما؟ قالوا للمسيحيين إنني جئت لأسلمة البلد. لماذا لا تسأل البطريرك الماروني (مار نصرالله بطرس صفير) عن رأيه. هل تصدق أنني أشعر بالحزن حين أقرأ عن ارتفاع معدلات الهجرة، خصوصاً في أوساط المسيحيين؟ سأقول لك أكثر من ذلك. غياب الموارنة من لبنان يفقده ميزاته وربما مبررات وجوده. إنني أعني ما أقول. هذا لا يلغي عتبي على بعض السياسيين الموارنة الذين لا يعرفون أهمية دور طائفتهم في لبنان وأهميتها في دور لبنان في المنطقة

والعالم. أنا لا مانع لدي في إبقاء الرئاسة للموازنة إذا كان ذلك يطمئنهم. ولا مانع لدي في إرجاء إلغاء الطائفية السياسية عقوداً لأنني لمست بالتجربة أن كل الطوائف ليست جاهزة بعد للبحث في هذا الموضوع خارج الحسابات الطائفية».

كان الحريري يحلم بعد إعادة إعمار بيروت بإعادة إعمار المعادلة اللبنانية انطلاقاً من اتفاق الطائف. غالب الظن أنه كان ينتظر رئيساً آخر في بعبدا ليستأنف مسيرة الإعمار. ولم يتوقع أن يكون على لائحة الاغتيال لأن «هذا القرار كبير وخطير ومكلف». هذه المرة أخطأ الحريري. هنا نص الحوار:

* * *

■ **كيفك دولة الرئيس؟**

ـ ممتاز.

■ **هل يمكن أن تشرح؟**

ـ (يضحك) لماذا تستغرب أن يكون وضعي ممتازاً؟ هل ممنوع أن يكون المرء مرتاحاً؟

■ **لا، لكنني أعتقد بأن الإقامة خارج السلطة غير ممتعة لسياسي بحجم رفيق الحريري؟**

ـ غير ممتعة لرفيق الحريري أم للبلد؟

■ **أنا لدي أسئلة لا إجابات.**

ـ إذا نظرت إلي ألا تشعر بأنني مرتاح؟

■ **أشعر بأنك واثق.**

ـ مشكلة خصومي أنهم يخافون الناس والاحتكام إليهم. أنا أقبل بما تقوله صناديق الاقتراع.

■ **ماذا ستقول؟**

ـ أعتقد بأن الناس ستقترع لمصلحة البلد.

■ **تبدو متأكداً من نتائج معركة بيروت؟**

ـ لماذا تحصر المسألة ببيروت. هناك انتخابات على مستوى البلد، وأنا معني بكل المناطق.

■ **هل أفهم أنك ستخوض الانتخابات على كل الأراضي اللبنانية؟**

ـ ليس بهذا الشكل. للمناطق خصوصيات أحترمها. لكن لنا أصدقاء أو حلفاء. هناك أناس نلتقي معهم.

■ **هل أستطيع أن أقول إنك ستكون زعيم المعارضة في الانتخابات؟**

ـ (يضحك) تعرف أن المعارضة معارضات. لم يقبلوني في الموالاة.

■ **من هم؟**

ـ أنت تعرفهم.

■ **هل ستحاول تكرار تجربة العام ألفين، أي أن تفرض نفسك مجدداً رئيساً للحكومة؟**

ـ ما دام هذا الكلام لن ينشر إلا في الوقت المناسب سأقول لك الصراحة. لن أكون رئيساً للحكومة في عهد لحود.

■ **هذا الكلام نهائي وبغض النظر عن نتائج الانتخابات؟**

ـ كلام نهائي ولا عودة عنه. سأقول لك كلاماً أوضح: لا في عهد لحود ولا في أي عهد يشبه عهد لحود.

■ **عهد من مثلاً؟**

ـ أي عهد يأتي بالطريقة نفسها وبالهدف نفسه وبالحسابات نفسها.

■ **هذا يعني أنك لن تكون رئيساً للحكومة؟**

ـ لا أعرف إن كان استنتاجك دقيقاً ولأي فترة من الوقت.

■ **هل أفهم أن اختصار ولاية لحود وارد في حال فوز المعارضة بأكثرية المقاعد في مجلس النواب؟**

ـ لا أعرف. مشكلة الرئيس لحود الداخلية هي مجرد جانب من مشكلته.

■ **هل تقصد الإشارة إلى القرار ١٥٥٩ لمجلس الأمن؟**

ـ القرار وغيره. يخطئ من يراوح مكانه في عالم يتغير.

■ يحكون عن بصماتك وراء القرار؟

ـ ثمة من يريد تحميلي نتيجة أخطاء ارتكبها. أنا أسألك هل يستطيع سياسي في العالم وهو من دولة صغيرة استدراج مجلس الأمن والدول الكبرى فيه خصوصاً إلى قرار من هذا النوع. حتى الدولة الكبرى لا تستطيع إمرار هذا القرار إذا لم تكن هناك جملة ظروف ومعطيات وأخطاء ولقاء مصالح.

■ قيل إن الرئيس جاك شيراك أدى دوراً كبيراً؟

ـ بيني وبين الرئيس شيراك صداقة قديمة وعميقة أفدت منها دائماً لاستجلاب دعم سياسي أو مادي للبنان ووظفتها أيضاً لمساعدة سورية. المسؤولون السوريون يعرفون هذا الأمر. استفدت من العلاقة مع الرئيس شيراك لدعم اتفاق الطائف وفكرة إعادة الإعمار وحق المقاومة في جنوب لبنان. فعلت ما هو أكثر من ذلك. سعيت إلى موقف فرنسي يتفهم ظروف لبنان الخاصة بما في ذلك انتشار قوات سورية على أرضه. ساهمت في تحسين العلاقة بين باريس ودمشق. لكن كل ما أنجزته في هذا المجال ضاع بسبب الأخطاء. أسباب اللقاء بين فرنسا والولايات المتحدة حول الوضع في لبنان، بعد خلافهما حول العراق، قصة طويلة تتناول ملفات عدة.

■ ماذا طلبت في مقابل الموافقة على التمديد؟

ـ لا شيء. مجرد الخروج من الحكم.

■ ولماذا ودّعت اللبنانيين بتلك اللهجة المأسوية يوم خروجك؟

ـ للسبب الذي كشفته لك وهو قراري بأن لا أتولى رئاسة الحكومة في عهد لحود أو في أي عهد يشبهه. وقراري هذا أقلقني لأنهم يستطيعون دفع الحريري إلى الخروج من الحكم لكنهم لا يستطيعون دفع البلد خطوة إلى الأمام لا بل إنهم لا يستطيعون وقف التدهور.

■ **هذا يعني أنك ربطت البلد بشخصك؟**

ـ لا. هذا يعني أنهم لا يملكون برنامجاً. برنامجهم الوحيد هو السيطرة وسياستهم الوحيدة هي عرقلة ما يفعله الحريري.

■ **من تقصد بهم؟**

ـ الرئيس لحود ومن يدعمه.

■ **وماذا لو خسرت الانتخابات؟**

ـ إذا خسرت في انتخابات حرة أنحني أمام إرادة الناس. لنضع التواضع جانباً. أنا أستطيع الفوز في أصعب دائرة في بيروت. أستطيع الفوز في دوائر أخرى.

■ **ربما تحول إقامتك في الخارج دون احتكاكك بالناس خارج بيروت.**

ـ هل تعتقد بأنني ضعيف في طرابلس والشمال أم في البقاع الغربي وإقليم الخروب وغيرها.

■ **ولماذا لن تعود إلى رئاسة الحكومة؟**

ـ أنا ضحيت كثيراً وتنازلت كثيراً. كنت أفعل ذلك من أجل البلد لا من أجل رفيق الحريري. في ظروف عدة كانت مصلحتي

كسياسي أن أغادر الحكم. الوجود في الحكم وأمام هذا الحجم من العرقلة يأكل من شعبية السياسي. ومع ذلك كنت أستمر لشعوري بأن خراب كل ما بنيناه لا يمثل لديهم مصدر قلق. تصرفت كسياسي مسؤول أمام ضميره وناخبيه وشعبه وكمؤمن مسؤول أمام ربه. هذه المرة المسألة مسألة كرامة. إذا كان الثمن عدم تولي رئاسة الوزراء (...) وإذا كان الثمن كتلة نيابية أصغر (...) فلا حلول على حساب كرامتي بعد اليوم.

■ لنعد إلى القرار ١٥٥٩؟

ـ لهذا القرار علاقة بتطورات كثيرة تبدأ من هجمات ١١ أيلول (سبتمبر) إلى الحرب في العراق والموقف منها ومواجهة الأميركيين هناك وصولاً إلى الموضوع الفلسطيني ثم ما يجرى في لبنان وكيف يوظف النفوذ في لبنان في الملفات الأخرى. ثم إن هذا القرار كان يمكن إرجاؤه أو تفاديه حتى اللحظة الأخيرة. هل يستحق قرار التمديد للحود مثل هذا الثمن؟

■ هل كنت مؤيداً لوصول شخص آخر للرئاسة من أصدقاء سورية؟

ـ كل الأسماء التي كانت متداولة تندرج في هذا الباب. كان من المستحيل وصول رئيس معاد لسورية وعلى خصومة معها. لا يستطيع رئيس من هذا النوع أن يحكم. لا يمكن أصلاً أن ينتخب.

■ لماذا حصل التمديد إذاً؟

ـ لم أفهم هذه المسألة. التقارير أدّت دوراً حاسماً.

■ من أين جاءت التقارير؟

ـ تقارير لبنانية وسورية. تصور أن أحد التقارير، على حد ما قيل لي، يزعم أنني أهيئ عبر الانتخابات انقلاباً على سورية وأنني حملت الرئيس جاك شيراك اسم النائب نسيب لحود إلى القمة التي جمعته في البحر الأسود مع الرئيس (فلاديمير) بوتين والمستشار (غيرهارد) شرودر. (يضحك). نسيب لحود شخص محترم بلا أدنى شك. أعتقد بأنه إذا تولى الرئاسة يفكر في شخص آخر لرئاسة الحكومة. المسألة بسيطة. اسأل نسيب لحود نفسه.

■ هل تعتقد بأن الدول الغربية الكبرى اتخذت قراراً بتغيير النظام في سورية؟

ـ لا أعتقد بوجود قرار من هذا النوع. إن الوصول إلى قرار من هذا النوع يتوقف على سلوك السلطات السورية في المرحلة المقبلة وطريقة تعاطيها مع هذا القرار. نحن اللبنانيين لا مصلحة لنا لا في زعزعة استقرار سورية ولا في إطاحة النظام فيها. لنا مصلحة في سورية مستقرة ومزدهرة، سورية ترى في الاستقرار اللبناني والازدهار اللبناني مصلحة للبلدين.

■ لماذا لم تستطع التفاهم مع الرئيس لحود؟

ـ لأن مشروع لحود ومنذ البداية كان موجهاً ضد البرنامج الذي على أساسه توليت رئاسة الوزراء. جوهر هذا المشروع كان أمنياً ويقوم على التطابق الكامل ولا يفسح أي مجال لشراكة لبنانية، ولو متواضعة، مع سورية في إدارة الشأن اللبناني.

■ هل بسبب خوفك من هذا الشعور عملت للتمديد

للرئيس الياس الهراوي في ١٩٩٥؟

ـ نعم.

■ **أيدت التمديد لرئيس يناسبك وعارضت التمديد لرئيس لا يناسبك؟**

ـ عارضت التمديد لأنه لا يناسب البلد. وعلى رغم قناعتي لم أرد الصدام مع سورية أو أن أكون السبب في تفجير أزمة لا يمكن معرفة حدودها.

■ **هل كان مستحيلاً التوصل إلى تفاهم دائم مع لحود في ماراثون اللقاءات الثنائية التي كانت تجري بينكما؟**

ـ الحقيقة لم تكن هذه اللقاءات ثنائية يوماً. دائماً كان هناك ظل أو ظلال في الجلسة بيننا.

■ **ظلال من؟**

ـ جميل السيد ورستم غزالي وغيرهما.

■ **يقال إن اللقاء الأخير بينك وبين الرئيس لحود كان لطيفاً للغاية؟**

ـ هذا صحيح. قال لي أنت شخص وطني وكل منا يخدم البلد على طريقته. صارحته. قلت له إن خروجي من رئاسة الحكومة لا يعني أنني سأعرقل. علاقتي بالحكم ستحكمها علاقته بي وأتمنى ألا تكون هناك عودة إلى الممارسات التي استهدفتني في بداية العهد. انفعل الرئيس وقال إنه سيتصدى شخصياً لأي مضايقات أو

عمليات استهداف. أبلغته أيضاً أنني سأخوض الانتخابات وأن لا مشكلة لدي في بيروت مهما كان شكل الدوائر.

■ **هل أقفل الباب بينك وبين دمشق نهائياً؟**

ـ أنا لم اقفل الباب. ثم لا مطلب لدي. لست في موقع رسمي يستدعي التنسيق.

■ **هل تتجه إلى الدخول في اختبار قوة مع سورية عبر الانتخابات؟**

ـ لا أريد مثل هذا الاختبار ولا أسعى إليه ولا يفيد البلد. أنا وافقت على التمديد كي لا أعطي انطباعاً من هذا النوع.

■ **ثمة من شبّه وضعك آنذاك بوضع الإمام الخميني حين تحدث عن تجرع السم لدى موافقته على وقف إطلاق النار مع العراق؟**

ـ هل أنا الذي تجرعت السم أم البلد؟

■ **لماذا لم تسهّل وصول شخص آخر؟**

ـ كنت منفتحاً على أي اسم آخر. لم يكن سراً أن قرار التمديد غير شعبي في لبنان لكنه اتخذ. لم أرد أن أكون سبباً في أزمة كبرى في البلد. ضغطت على نفسي وتخطيت مشاعري الشخصية. أنا كنت أعرف أن سورية صاحبة الكلمة الأخيرة في هذا الموضوع ولأسباب كثيرة، لكنني كنت أتوقع أن تراعى مشاعر اللبنانيين. لم أطالب أن يكون الحريري شريكاً، كنت أتمنى أن يُعترف للبنان بحق أن يكون شريكاً في شأن هو لبناني أصلاً.

■ ما الذي يؤلمك في هذه التجربة؟

ـ يؤلمني وجود فريق، يضم مسؤولين مدنيين وأمنيين وسياسيين وحزبيين، يعتاش فقط من عرقلة برنامج النهوض بالبلد. لا يعنيهم مشروع الدولة ولا الإعمار ولا الازدهار ولا خبز الناس. مصلحتهم الفعلية أن يبقى البلد مريضاً وممسوكاً بواسطة الأجهزة. ليس بسيطاً ما فعلوه في القضاء وغيره.

■ هل تتمنى لو أنك ولدت في بلد آخر؟

ـ لماذا؟

■ لأن تركيبة لبنان ترسم حدوداً للزعامة. الوجود العسكري السوري يرسم حدوداً إضافية. في بلدان أخرى يأمر الحاكم وتنفذ إرادته؟

ـ تريد الصراحة. يؤلمني أن كثيرين من اللبنانيين لا يعرفون أهمية لبنان. بلدنا مهم شرط أن نتعاطى الشؤون الوطنية والسياسية بروح المسؤولية. كم هو عدد الذين تستطيع أن تسألهم عما فعلوا للبلد ويستطيعون تعداد إنجازات؟ لا يبنى المستقبل بالبيانات والعنتريات وتكرار الكلام الممل عن الحرص على المؤسسات.

■ ما هو جوهر المشكلة مع سورية؟

ـ في السبعينيات نشأ وضع في لبنان تشكلت فيه قناعة إقليمية ودولية أنه لا يمكن إنهاء الحرب في لبنان من دون تدخل عسكري سوري. وكان ذلك صحيحاً. وكانت العوامل متشابكة وتداخلت العناصر اللبنانية والفلسطينية والإسرائيلية والدولية. بعد الدخول السوري شهدت المنطقة أحداثاً كبرى منها السلام المصري ـ

الإسرائيلي والغزو الإسرائيلي للبنان من دون أن ننسى الثورة الإيرانية والحرب العراقية ـ الإيرانية. ومن دون الخوض في التفاصيل، نشأت في دمشق قناعة بأن دور سورية الإقليمي بات مرتبطاً بوجودها في لبنان، وأن هذا الوجود هو خط الدفاع الأول عن الدور والنظام.

كان الغرض من اتفاق الطائف مزدوجاً: إبرام تسوية بين اللبنانيين تسمح بقيام دولة لبنانية وإبرام علاقة استراتيجية مع سورية تطمئنها وتغنيها عن إدارة الشأن اللبناني. طرأت تطورات إقليمية كبرى وبينها غزو الكويت، فاعتبرت القيادة السورية أن التفويض الذي منح لها سابقاً تم تجديده وبات مفتوحاً.

تصاب الدول أحياناً بما يصاب به الأفراد. إنه الإدمان. أدمنت سورية إدارة الشأن اللبناني. وهنا ملاحظة لا بد منها، كانت سورية في عهد الرئيس حافظ الأسد تمسك بلبنان لكنها كانت تلتفت غالباً إلى توازنات لا بد من مراعاتها بين الطوائف أو داخل الطوائف. في التسعينيات ظهر ميل إلى كسر التوازنات ترجم عملياً مع وصول لحود إلى الرئاسة في ١٩٩٨ وراح يتعمق.

انطلاقاً من اعترافي وتقديري للدور الذي قامت به سورية في إنهاء الحرب كنت أتمنى لو أنها اغتنمت فرصة اتفاق الطائف للخروج من التفاصيل اليومية اللبنانية والاكتفاء بعلاقات استراتيجية تطمئنها في مجالات الأمن والموقف من النزاع العربي ـ الإسرائيلي. للأسف البرنامج الذي أعد لعهد لحود وطبق بعد وصوله يدعم الخروج على اتفاق الطائف ولم يأخذ في الحساب التوازنات الداخلية والحساسيات ولم يتوقف أيضاً عند التغييرات التي حصلت في العالم.

■ **هل كانت علاقتك بعبدالحليم خدام النائب السابق للرئيس السوري من أسباب تراجع علاقتك مع العهد الحالي في سورية؟**

ـ هذه العلاقة بدأت بطلب من الرئيس حافظ الأسد وتحولت في شق منها إلى علاقة شخصية. بعد تولي الرئيس بشار الأسد السلطة تحدثنا في هذا الموضوع ولم يكن يعارض أن أمر على أبي جمال لدى زيارتي دمشق. كنت أعرف طبعاً أن الملف اللبناني صار في عهدة آخرين وكانت علاقتي معه شخصية. كنت أعرف من هو صاحب القرار. أنا لا أخطئ في قراءة هذه المسائل.

■ **هل كان يعارض التمديد للحود؟**

ـ كان يعرف خطورته.

■ **هل كان بين من نصحوك في بداية عهد لحود بالخروج من رئاسة الوزراء لترك الرئيس يستنزف اندفاعته ثم تعود بعد الانتخابات؟**

ـ هذه المواضيع تحتاج إلى حديث تفصيلي ودقيق نتركه للمستقبل.

■ **هل صحيح أن وزراء في حكوماتك المتعاقبة كانوا يدبجون التقارير وينقلون أسرار مجلس الوزراء وحتى لقاءاتهم الشخصية معك؟**

ـ صحيح. تقارير خطية وشفهية. (يضحك) بينهم من تحسن خطه من كثرة ما كتب. وزراء ونواب وأمنيون.

الحقيقة كانت هناك دائماً وجهتا نظر. الأولى تقول بإبعاد الحريري

عن الحكم لكنها تخشى المضاعفات، والثانية تقول بإشراك الحريري في الحكم واستنزافه فيه عبر تفخيخ الحكومات والبرلمان والأحزاب والنقابات. هنا يجب أن أقول لك إنهم لو عرفوا منذ البداية أن مشروع إعمار بيروت سيعيد لبنان إلى الخريطة الإقليمية والدولية لما وافقوا عليه. علامات النجاح دفعتهم إلى إعداد مشروع مضاد هو مشروع لحود.

■ **من هندس هذا المشروع؟**

ـ صاحب الدور الأكبر (اللواء) جميل السيد. طبعاً السيد جزء من تركيبة. تصور أن لحود نفسه لم يستطع زحزحة مدير الأمن العام من مكانه.

■ **لكنك في انتخابات العام ٢٠٠٠ نجحت في ضرب عهد لحود وعدت إلى السلطة على حصان أبيض، وثمة من يقول إن اللواء غازي كنعان (رئيس جهاز الأمن والاستطلاع للقوات السورية في لبنان سابقاً) وجميل السيد ساعداك. هل كان للأمر علاقة بحسابات سورية داخلية؟**

ـ أنا لم أكن يوماً جزءاً من أي حساب سوري داخلي. رفضت باستمرار حتى مجرد الحديث في هذا الموضوع. العلاقات التي أقمتها مع المسؤولين السوريين في الثمانينيات والتسعينيات أقمتها بمعرفة الرئيس حافظ الأسد. لم تكن هذه العلاقات سرية ولا غامضة. هذا يصدق على علاقتي مع عبدالحليم خدام وحكمت الشهابي وغازي كنعان وغيرهم.

■ لكن علاقاتك لم تكن مستقرة في السنوات الماضية؟

ـ فعلت كل ما في استطاعتي. قد يتعلق الأمر بحسابات الآخرين وربما كان للكيمياء دورها.

■ ماذا ستكون صفتك بعد الانتخابات النيابية؟

ـ رئيس كتلة نيابية. لماذا لا تصدق؟

■ لأنني أشعر بأنك رممت السرايا لتقيم فيها؟

ـ أعيد وأكرر: لن أكون رئيساً للحكومة مع إميل لحود أو مع من يشبهه.

■ هل كانت محاولة اغتيال الوزير مروان حمادة رسالة؟

ـ كانت جريمة فظيعة قبل أن تكون محملة بالرسائل.

■ هل تشعر بالخوف على حياتك؟

ـ أولاً أنا مؤمن. ثانياً أنا لا قطرة دم على يدي. ثالثاً أنا ضميري مرتاح. رابعاً أعتقد بأن لدي إجراءات أمنية جيدة. وخامساً لدي قناعة بأن أي قرار باغتيالي هو قرار كبير وخطير ومكلف لا يمكن أن يتخذه شخص عاقل. لذلك أستبعد محاولة اغتيالي جسدياً. أما محاولات اغتيالي سياسياً فلم تتوقف ولن تتوقف وهي تستهدف إبقاء البلد مريضاً إلى ما لا نهاية. لا مصلحة لهم في موت المريض ولا يقبلون بشفائه.

■ ألم يكن باستطاعتك التفاهم مع الرئيس لحود على حد أدنى؟

ـ هو لم يكن قادراً على التفاهم معي. ببساطة أقول لك إنني خدمت المقاومة في جنوب لبنان أضعاف ما قدمه لحود لها. وخدمت سورية أضعاف ما خدمها لحود. لكنني أخدم سورية من موقعي لبنانياً وعربياً وبما أعتقد أنه يخدم مصلحة لبنان وسورية في المدى البعيد.

■ **ثمة من يقول إنك قدمت تنازلات كثيرة؟**

ـ هذا صحيح. قدمت تنازلات في الداخل لأنني كنت أرى أن العلاقات بين الطوائف والقوى السياسية اللبنانية يجب أن تكون طبيعية ولو استلزم الأمر تنازلات متبادلة أو تنازلات من طرف. هذا الأسلوب لم يكن مريحاً لبعض الناس. لا يريدون أن تكون علاقتي مع المسيحيين طبيعية أو قوية. الأمر نفسه بالنسبة إلى العلاقات مع الشيعة.

قدمت تنازلات أيضاً في العلاقات مع سورية. كنت أحلم بأن يجيء وقت يحصن فيه الاستقرار اللبناني الاستقرار السوري، والازدهار اللبناني الازدهار السوري لتقوم علاقة طبيعية بين دولتين تربطهما روابط كثيرة. علاقة لا يرى فيها إلى القرار اللبناني مشروع تهديد للعلاقة مع سورية أو مصدر قلق لها.

■ **أعود إلى القرار ١٥٥٩، هل كان لك دور في إنضاج ظروف صدوره؟**

ـ لا. وكان يمكن تفاديه.

■ **هل كنت على علم مسبق به؟**

ـ لا، لكن لم يكن سراً أن لبنان كان موضع تشاور بين باريس وواشنطن. أعتقد بأن الديبلوماسية السورية أخطأت حين اعتبرت أن لبنان ليس مهماً، وأنه يكفي إبداء مرونة في العراق ليبقى الوضع في لبنان على حاله. خيار التمديد اعتبر خيار مواجهة.

■ **ماذا تتوقع في المرحلة المقبلة؟**

ـ إنها مرحلة تستلزم من الجميع الحكمة والصبر والتصبر. مرحلة صعبة. دعني أختصر لك موضوع التنازلات في تشبيه لا أعرف إن كان دقيقاً. أنت أمام طائرة مدنية مخطوفة ولا تستطيع تحرير الركاب بالقوة فماذا تفعل؟ جوابي هو أن الأولوية لسلامة الركاب وإنقاذهم، فمجرد إنقاذ بيروت ولبنان يشكل عقاباً للخاطفين.

* * *

غداة انتخاب العماد إميل لحود رئيساً للجمهورية في ١٥ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٩٨ ذهبت للقاء الرئيس رفيق الحريري في السراي الكبيرة. كانت إحدى محطات التلفزة تعيد بث وقائع جلسة الانتخاب والحريري يتابع المشاهد كأنه يتفرس في صور نواب اضطروا إلى تأييد «الرئيس الجديد» على غرار ما فعل. وبدا لي كأنه يحاول عبر الصور قراءة معنى وصول لحود لبنانياً وسورياً. كان الحريري يعرف أن سورية هي «الناخب الأول والكبير» في رئاسة الجمهورية اللبنانية، لكنه كان يحلم أن يكون شريكها اللبناني في بلورة اختيار الرئيس. لم يتمكن، وكانت الرئاسة من نصيب الرجل الذي كان يأمل استبعاده.

كان الحريري رجل دولة، وكان يطالب عقله بترويض مشاعره. حاولت استفزازه قائلاً: «دولة الرئيس إلى أي فترة زمنية يحتاجون

للاستغناء عن خدماتك؟». ابتسم ورفع إصبعين. وسألته إن كان يقصد حاجتهم إلى سنتين، فرد: «يحتاجون إلى ولايتين رئاسيتين إذا كان هاجسهم مصلحة البلد. مصلحتي في الخروج ومصلحة البلد في بقائي. قررت تقديم مصلحة البلد».

اعتذر الحريري عن تأليف الحكومة الأولى في عهد لحود بعد خلاف بينهما حول مسألة تجيير أصوات النواب الذين تركوا للرئيس الحرية في تسمية رئيس الحكومة المكلف. والحقيقة أن بعض أصدقائه نصحوه بمغادرة الحكم وكان بينهم نائب الرئيس السوري آنذاك عبدالحليم خدام. قال له خدام إن لحود ينطلق في عهده بسيارة «بويك» جاءت طازجة من الشركة، وأنت ستنطلق بسيارة «أوبل» استهلكتها ممارسة الحكم. لماذا لا تتركه يستهلك بعض قوة سيارته ثم لكل حادث حديث. وهذا ما حصل حين عاد الحريري إلى الحكم في العام ٢٠٠٠ بعد فوز لافت لم يزعج بعض الأطراف السوريين الذين لم يكونوا متحمسين أصلاً لوصول لحود.

في صيف ١٩٩٩ ذهبت إلى الحريري في سردينيا. بدا الرجل مشغولاً ببيروت عن سحر المكان الذي يرسو فيه يخته. وخلال الحوار الذي دام معظم ساعات النهار كان الحريري يستفيد من الاستراحات ليجري اتصالات بمعاونيه أو أصدقائه من الصحافيين سائلاً عن أحوال البلد والمستجدات. هنا الحوار:

* * *

■ متى صار لديك بليون دولار؟

ـ ذهبت بعيداً في الأسئلة.

■ **متى صار لديك مئة مليون دولار؟**

ـ في الثالثة والثلاثين. كانت مرحلة الطفرة والأشغال كالمطر.

■ **في ١٩٨٢ صرت بليونيراً؟**

ـ في ١٩٨٢ أو ١٩٨٣.

■ **فوربس قدرت ثروتك بأربعة بلايين دولار. هل هذا قريب من الحقيقة؟**

ـ الحقيقة أنني لا أعرف بدقة. لتقدير الثروة علاقة بأسعار الأسهم والأراضي والشركات وهذه تختلف. أنا أقول الحمد لله.

■ **هل هذا الرقم قريب؟**

ـ ليس بعيداً. نحن عملنا مستمر.

■ **قبل أربع سنوات قلت لي إن لديك ٢٥ ألف موظف؟**

ـ نعم وما زالوا.

■ **لم تتراجع أشغالك؟**

ـ لا، زادت سنة ١٩٩٨ كان «التيرن أوفر» في السعودية أعلى من أي سنة أخرى في الشغل، حتى أثناء وجودي هناك: ٢,٢ بليون دولار.

■ **تهتمون بالصيانة؟**

ـ صيانة كل المشاريع التي ننفذها. نصون مطارات ومنشآت.

■ **أعمالك في السعودية يديرها نجلك سعد؟**

ـ نعم ومعه مجلس إدارة.

■ **وماذا بعد عن الثروة؟**

ـ أؤكد مجدداً أنني لست مصاباً بهاجس دخول النوادي التي يتحدث عنها الإعلام كنادي أغنى ٥٠٠ رجل في العالم أو أغنى مئة رجل في العالم. لا أهتم بهذا الموضوع.

■ **ماذا بقي لديك من مطالب. صرت بليونيراً وتوليت رئاسة الحكومة. ماذا تريد؟**

ـ لا شيء. لا أريد شيئاً. لهذا السبب لا يقدر أحد على ابتزازي.

■ **لك علاقة قوية مع الملك فهد بن عبدالعزيز، مع من لك علاقة قوية أيضاً عربياً؟**

ـ مع الرئيس حافظ الأسد.

■ **متى التقيته للمرة الأولى؟**

ـ في آخر ١٩٨٢ أو بداية ١٩٨٣ على ما أذكر. كنت مع الأمير بندر بن سلطان وكان الغرض وقف النار في لبنان. واستمرت العلاقة. لا أعتقد أن أحداً من خارج سورية عقد هذا القدر من اللقاءات مع الرئيس الأسد وأمضى معه هذا الوقت. العلاقة مستمرة منذ ١٧ سنة والتقيته نحو خمسين مرة.

■ ماذا يميز الرئيس الأسد؟

ـ عقله استراتيجي ويهتم في الوقت نفسه بالتفاصيل. السياسيون يمتلكون عادة واحدة من هاتين الصفتين، لكن الرئيس الأسد يجمع بينهما. استراتيجي ويهتم بأدق التفاصيل. هذا إضافة إلى مواصفات الوفاء وبعد النظر. جعل الرئيس الأسد لسورية مكانة في العالم. راقب، الآن كل الأنظار متجهة إلى سورية في موضوع السلام إذ لا أمل من دونها.

■ متى بحثت دمشق معك في موضوع رئاسة الحكومة؟

ـ في ١٩٩٢.

■ معقول؟

ـ كما قلت لك. لم يبحث في الموضوع قبل ذلك معي. ربما بحث مع آخرين.

■ يقولون إن الرئيس الياس الهراوي طرح اسمك فور انتخابه؟

ـ هذا صحيح.

■ وقيل له بعد بكير؟

ـ نعم بعد بكير.

■ لماذا صار مناسباً في ١٩٩٢ ما كان مبكراً قبل قليل؟

ـ أعتقد بأن الظروف تغيرت بعد الانتخابات النيابية في لبنان. مرحلة جديدة وتوجه جديد. رئيس جديد لمجلس النواب.

■ قبل التكليف التقيت الرئيس الأسد، حول ماذا كان التفاهم؟

ـ تفاهم على التحالف بين لبنان وسورية. أعتقد بأننا من جهتنا طبقنا ما اتفقنا عليه وأنهم طبقوا من جهتهم. دعم الرئيس الأسد العلاقة بين سورية ولبنان وأنا عملت كل شيء خلال وجودي في رئاسة الوزراء لتوثيق هذه العلاقة. وأعتقد بأن العلاقة انتقلت من وضع إلى آخر. لا شك في أن الرئيس الهراوي أدى دوراً أساسياً والرئيس بري كذلك. في لبنان ليس هناك شيء اسمه الرئيس الأوحد. كل يساهم من موقعه.

■ هل حاولت في تلك الجلسة الحصول على تفويض واسع لتأليف الحكومة؟

ـ الرئيس الأسد شخصية تتمتع بجاذبية خاصة. لم يحدث أن بحثنا مع الرئيس الأسد في أسماء الوزراء.

■ هل أدت السعودية دوراً مباشراً في وصولك إلى رئاسة الحكومة.

ـ لا.

■ قيل إنك سألت الملك فهد بن عبدالعزيز وتردد في تأييدك؟

ـ سألت الملك فهد وقال لي: «وفقك الله ونحن تهمنا مصلحة

لبنان». كان الملك فهد يخاف علي من حوادث أمنية.

■ **هل تعرضت لأي محاولة اغتيال؟**

ـ لا.

■ **هل تلقيت معلومات عن خطط لاغتيالك؟**

ـ باستمرار ترد تقارير.

■ **من يتولى أمنك؟**

ـ قوى الأمن الداخلي.

■ **هل استهدفتك المافيات مثلاً؟**

ـ تردد كلام كثير. أنا لم أسمح لسلوكي بأن يتأثر بهذه التقارير. في البداية كنت أكثر حذراً وكذلك الذين يتولون مسألة أمني. أنا إنسان مؤمن ولا أعيش هاجس الاغتيال.

■ **هل أيد والداك دخولك المعترك السياسي؟**

ـ لا، كانا دائماً ضد هذا الخيار.

■ **لماذا؟**

ـ أولاً لست من بيت سياسي، أي ليس هناك تقليد من هذا النوع. كان والدي يردد دائماً: «السياسة ليس لها دين» بمعنى أنها بلا دين. وكان يقول لي: «الله رزقك وأعطاك. تريد أن تساعد العالم ساعدهم، إذا كنت تريد تعاطي السياسة لمساعدة بلدك فهناك طريقة أخرى غير السياسة».

■ **هل الخوف على ثروتك بين الأسباب؟**

ـ لا، لم تكن لديهم هذه المشكلة.

■ **ووالدتك؟**

ـ كان لها الموقف نفسه، وهو أن المساعدة ممكنة من دون دخول المعترك السياسي. لم يكن أحد في بيتنا يريدني أن أخوض في العمل السياسي. زوجتي لم تكن مؤيدة لهذا الموضوع. شقيقتي أنا أدخلتها إلى السياسة.

■ **هل تريدني أن أصدق أن زوجتك فرحت بخروجك من الحكم؟**

ـ أقاموا احتفالاً يشبه العيد.

■ **عادة تفضل المرأة أن يكون زوجها في السلطة، قد تعتقد زوجتك بأنك ستبقى تحت الأضواء؟**

ـ إذا كنت تريد التأكد اسألها. هي الآن تخشى أن أعود إلى الحكم.

■ **متى بدأت علاقتك مع الرئيس الياس الهراوي؟**

ـ في ١٩٨٢.

■ **تم التعارف بمبادرة من جوني عبده والتقيتم في بيت الهراوي وانكسر بك السرير؟**

ـ صحيح.

■ **أدّيت دوراً في وصول الهراوي؟**

ـ نعم.

■ **يحكى أنك لم تكن مؤيداً لوصول رينيه معوض؟**

ـ هذا غير صحيح.

■ **ماذا تذكر من الجانب الرئاسي بعد الطائف؟**

ـ حتى قبل الطائف كان هناك تفاهم بين سورية والسعودية على وصول رينيه معوض.

■ **من ساهم في ترتيب هذا التفاهم؟**

ـ كثيرون ساهموا وشخصيته كانت مساعدة. كان معروفاً من كل الأطراف.

■ **متى أيدت سورية معوض؟**

ـ قبل الطائف. لم يكن الكلام نهائياً تماماً لكنه كان موجوداً. بعد الطائف ترجم هذا الكلام.

■ **ما قصة رحلته السرية إلى سورية بعد الطائف ولقائه بالرئيس الأسد؟**

ـ جاء النواب إلى باريس. ذات يوم قيل إن معوض غائب. في ذلك اليوم كان في سورية، ذهب بطائرتي والتقى الرئيس الأسد ثم صارت الانتخابات.

■ **مرشحك الأول كان الياس الهراوي؟**

ـ كنت أعرفه أكثر وأعرف أنه «طحيش» مبادر. ورأيت أن المرحلة تحتاج إلى مواصفات من هذا النوع. وأثبتت الأيام أنني على حق.

■ **ألم يبحث معك معوض في إسناد منصب إليك؟**

ـ لا.

■ **ماذا حدث بعد اغتيال معوض؟**

ـ زرت عائلته في البيت في باريس وسئلت ما العمل؟ فأجبت: انتخابات. اتصلنا بنواب كانوا في باريس.

ـ عندما طرح الهراوي من طرح غيره؟

ـ كان جورج سعادة رحمه الله.

■ **هل طرح جان عبيد والتقى الرئيس الأسد؟**

ـ حصل لقاء بينه وبين عبدالحليم خدام وحكمت الشهابي. هذا حصل بعد استشهاد الرئيس معوض.

■ **يقولون إن الرئاسة عرضت على بيار حلو؟**

ـ هناك كلام لكنني لست متأكداً منه. قيل إن الرئيس حسين الحسيني نقل العرض وأن حلو أجاب بأن موضوع ميشال عون لن يحل بغير استخدام القوة وأنا لست مستعداً.

■ **وجان عبيد؟**

ـ قال إن الرئيس فرنجية مطروح وأنا لا أتقدم على الرئيس فرنجية. موقف فيه وفاء للرئيس فرنجية.

■ **رجحت كفة الهراوي عند سورية؟**

ـ كنت من الذين عملوا لدى سورية ولدى السعودية أيضاً.

■ **ماذا كان يريد الأميركيون؟**

ـ انتخاب رئيس للجمهورية.

■ **هل التقى الهراوي الأسد قبل الانتخابات على غرار ما فعل معوض؟**

ـ أعتقد بأن شيئاً من ذلك قد حدث.

■ **هل قال لك الهراوي بعد انتخابه إنه سيطرح اسمك لرئاسة الحكومة؟**

ـ نعم كان الموضوع حاضراً في ذهنه منذ اليوم الأول.

■ **اختلفت معه بعد تولّيك رئاسة الحكومة؟**

ـ اختلفنا كثيراً واتفقنا أكثر. هنا سأقول لك شيئاً. لدى كل واحد منا ضعف شخصي تجاه الآخر. حتى حين كنا نختلف وهو بارع في المناورات والتركيبات لم أستطع أن أكرهه ولم يستطع أن يكرهني. الحقيقة أن لدي نقطة ضعف. أنا أحب الظرفاء والرئيس الهراوي إضافة إلى صفاته الأخرى ظريف، أنا لا أحب الثقلاء ثم

إنني لست حقوداً. مثلاً أنا أحب نبيه بري على رغم كل الخلافات. كنت أحياناً أغضب من مناوراته وأتوقف عن التحدث إليه وأكتشف أنني زعلت أكثر مما زعل. في حياتي لم أستطع أن أبني علاقة قوية مع شخص ثقيل الدم مهما كانت لي معه مصلحة مالية أو سياسية. هذا طبعي. يمكن أن نلتقي لكنني أشعر بأنني أقوم بذلك مرغماً. أحياناً يأتيني الضرر من صاحب دم خفيف ومع ذلك لا أستطيع منع نفسي من الإعجاب به.

■ لنتحدث عن بعض طرائف الرئيس الهراوي؟

ـ أعوذ بالله. إنه أستاذ في تركيب المقالب وخفة الدم. وحين تضبطه يركب مقلباً يضحك.

■ هل حدثت طرافات في مجلس الوزراء؟

ـ دائماً. قصة الزواج المدني أليست طرفة. وزع النص على الوزراء وقال للعلم، ثم قام بتطبيقهم من وراء ظهري وطرحه على التصويت.

■ وكان بينكما عتاب؟

ـ دائماً. عتاب شديد وعتاب خفيف وعتاب متوسط. لكن المحبة كانت حاضرة.

■ هل بقيت العلاقة الشخصية مع الرئيس الهراوي بعد خروجه من القصر؟

ـ نعم.

■ هل للنساء دور في تسميم العلاقات؟

ـ نعم، تؤدي النساء دوراً في التسميم وفي الترطيب.

■ زوجتك من أي نوع؟

ـ نازك لا تتدخل.

■ هل من حساسيات لديها تجاه سياسيين معينين؟

ـ لا.

■ والسيدة منى زوجة الرئيس الهراوي؟

ـ أقدّرها لكن شخصيتها مختلفة.

■ ماذا كان الرئيس الهراوي يقول عن جولاتك في الخارج؟

ـ لا شيء، كان يأخذها بنكتة. فبعد زيارة في الخارج كان يقول لي: أكيد ستقول لي إنهم يسلمون عليك ومشتاقون إليك.

■ لماذا لم يكن يذهب؟

ـ لا يحب.

■ وكنت تقترح عليه؟

ـ كنت أقترح عليه أن أذهب بمعيته، لكنه لم يكن يحب. هناك انتقادات كثيرة لعهد الرئيس الهراوي لكن يجب القول إنه ابن النظام وديموقراطي. كان يتضايق من بعض بنود الدستور لكنه لم

يخالفها بل سعى إلى تعديلها بالوسائل الديموقراطية. هذه نقطة تحسب له. أنا كنت أتضايق من بعض البنود لكن لم أخالفها.

■ **في الخلافات كنتم تحتكمون إلى سورية، ألم يكن باستطاعتكما الجلوس في بعبدا؟**

ـ كنا نجلس في بعبدا ولم نكن نحتكم إلى سورية في كل شيء. نحن كنا عرضة لحملة مركزة. من كانوا ضدي ليسوا قلائل.

■ **هل صحيح أنك قبل تأليف حكومتك الأولى فكرت بتأليف حكومة كالتي أُلّفت في عهد الرئيس لحود؟**

ـ نعم. كان بودي أن تكون الحكومة على الشكل الآتي. أنا كنت مع حكومة الـ٣٠ وزيراً وما زلت. والتجربة دلت على صحة ذلك. السياسة في لبنان قصة كبيرة. لا بد من إعطاء مواقع للسياسيين من جهة والمجيء بمجموعة من التكنوقراط للعمل من جهة أخرى. حكومة «على سلامتهم» أو حكومة «طبوشين» لا تنفع ولا تمشي.

■ **في أول حكومة ماذا طرحت؟**

ـ كان بودي أن تحافظ كل الحكومات التي ألّفتها على الخط الوطني العام، شرط أن يمثل هذا الخط بأصحاب سمعة نظيفة لا تشوبها شائبة. هذا الأمر لم نوفق فيه لأسباب عدة. هناك نقطة يلوموننا عليها. ماذا يجري في إيرلندا؟ محاولات للمجيء بالمحاربين وإشراكهم بالسلطة ثم تغليب منطق الدولة. إنهاء الحرب في لبنان أو فلنقل إنهاء الميليشيات شهد محاولتين. هناك طريقة اتبعها ميشال عون. طرح إنهاء «القوات اللبنانية» بالقوة. استخدم

المدفع فماذا كانت النتيجة؟ دمرت المنطقة الشرقية ودمر الجيش وبقيت الميليشيات. الياس الهراوي، قدم طرحاً آخر. قال للميليشيات الدولة تتسع للجميع. سلموا اسلحتكم للدولة وشاركوا. هذا بدأ في ١٩٩٠ ولا أريد أن أنسب الفضل لنفسي، فقد بدأ قبل أن أتولى رئاسة الوزراء. أسألك أين هي الميليشيات اليوم؟ ذابت الميليشيات. تجربة ميشال عون كانت مدمرة بغض النظر عن أهدافه. الهراوي أنهى الحرب الأهلية بطريقة أخرى. الآن الدولة هي الأقوى.

■ **لماذا أيدت التمديد للرئيس الهراوي؟**

ـ كان الوضع الإقليمي يفرض بقاء الأمور على ما هي عليه. جرى تشاور مع الجميع في الداخل والخارج وتوصلنا إلى توافق. تم التمديد للرئيس الهراوي. لاقى الأمر معارضة شديدة من قوى عدة واستمرت هذه المعارضة حتى نهاية العهد.

■ **هل كان الهراوي الممدد له ضعيفاً؟**

ـ أنا أعتقد بأننا جميعاً كان باستطاعتنا أن نفعل أفضل مما فعلناه خلال فترة التمديد. ربما كان أفضل للرئيس الهراوي الخروج في ختام السنوات الست، لكن ذلك حصل ولا نستطيع إعادة عقارب الساعة إلى الوراء.

■ **هل صحيح أنك طرحت التمديد للهراوي لقطع الطريق على وصول العماد إميل لحود؟**

ـ لا، لو لم يحصل التمديد لجاء شخص آخر.

■ هل طرحت أسماء آنذاك؟

ـ كانت هناك أسماء مطروحة بينها جان عبيد.

■ لماذا جان عبيد؟

ـ لأنه موثوق.

■ متى تعرفت إلى جاك شيراك؟

ـ قبل عشرين سنة. كان رئيساً لبلدية باريس وكنت أنا هناك. نشأت صداقة مبنية على الثقة وتحولت علاقة عائلية.

■ يبدو أنك تحب اقتناء البيوت الجميلة. أين تملك بيوتاً؟

ـ نعم. لدي في ماربيا وفي بالما وفي كان ومونت كارلو وسان ماكسيم وفي باريس وخارجها وفي نيويورك وواشنطن وفي سويسرا وفي الرياض وجدة وعمان ودمشق وفي لبنان، في بيروت وصيدا وفقرا.

■ ما هو أحب بيت إليك؟

ـ كلهم. بيت الرياض له معنى خاص لدي. عشت فيه فترة طويلة وولد فيه أولادي.

■ من يتولّى صيانة هذه البيوت؟

ـ فرع الصيانة في شركتنا.

■ **كم تنفق في الشهر، خمسة ملايين دولار؟**

ـ كمصروف شخصي لا. القسم الأكبر من مصروفي هو للمساعدات الاجتماعية.

■ **كم تنفق في السنة؟**

ـ فوق الـ١٥٠ مليون دولار بين المصروف الشخصي والمساعدات.

■ **الشخصي نحو ٣٠ مليون دولار سنوياً؟**

ـ ممكن.

■ **تملك يختين ما اسمهما؟**

ـ «نارا» و «نارانا».

■ **وكم طائرة؟**

ـ أربع طائرات. اثنتان «بوينغ ٧٢٧» وواحدة «جي ٣» والرابعة لم تصل بعد.

■ **متى اشتريت الطائرة الأولى؟**

ـ أعتقد في ١٩٧٨ أو ١٩٧٩ وهي من طراز «سابر لاينر».

■ **في تلك السنة أهديت إلى الرئيس سليم الحص طائرة؟**

ـ نعم، وهي في تصرف الدولة اللبنانية.

■ **ومتى اشتريت اليخت «نارا»؟**

ـ في ١٩٨٢، أما الثاني فجديد.

■ **كانت لك لقاءات مع سمير جعجع، القائد السابق لـ «القوات اللبنانية» المحظورة، داخل لبنان وخارجه؟**

ـ خلال فترة الحرب ونهايتها كنت ألتقي الجميع.

■ **متى بدأت العلاقة مع وليد جنبلاط؟**

ـ في أواخر ١٩٨٢. معظم هذه العلاقات بدأت بعد الاجتياح الإسرائيلي. الحقيقة أن العلاقة السياسية مع مختلف الأطراف بدأت بعد ١٩٨٢. قبل ذلك التاريخ لم أخض في التفاصيل السياسية.

■ **علاقتك مع وليد إما غرام وإما انتقام؟**

ـ أعرف وليد قبل ١٩٨٢ وتوثقت علاقتي معه بعد ذلك التاريخ. لم يصل الأمر إلى الانتقام. ينتكس الغرام لكنه لا ينتكس إلى حد الانتقام.

■ **هل وحدتكما المعارضة الحالية؟**

ـ لا، قبل ذلك. قبل الانتخابات الرئاسية زارني في فقرا لتناول العشاء. تحدثنا ولم نتفق وغادر من دون تناول العشاء. كان معارضاً بشدة لوصول العماد لحود. قال رأيه بصراحة.

■ **هل التدخل السوري هو الذي جعلك تؤيد وصول العماد لحود إلى الرئاسة؟**

ـ هذا العنصر يضاف إلى الجو العام. نظمت حملة تسويق ذكية لضمان وصول العماد لحود، وكان واضحاً أن عدم وصوله سيؤدي إلى إحباط في البلد. حصل هجوم واسع على الطبقة السياسية التي سهلت الهجوم عليها بسبب حروبها بين أطرافها وتحول وصول لحود مطلباً وهو ما كانت ترمي إليه الخطة.

■ على ماذا تفاهمت مع العماد لحود قبل انتخابه؟

ـ على كل شيء.

■ تأليف أول حكومة؟

ـ لم يبق أمر لم نبحثه وكان التفاهم كاملاً.

■ يومان مهمان، الأول كلفت به تأليف حكومتك الأولى، والثاني غادرت القصر في عهد آخر معتذراً. ماذا تتذكر من اليوم الأول؟

ـ في اليوم الأول كان هناك قدر من التهيب والحذر في كل كلمة. كل كلماتي كانت مكتوبة. قلت في خطاب لن يأتي الربيع إلا وتكون الورشة قد بدأت. أمسكها السياسيون وسموها «الوعود الربيعية». أنا كنت أقصد أننا نحتاج إلى ١٠ سنوات. حوروها وأوحوا أنني قلت إن كل شيء ينتهي في الربيع. السياسيون شاطرون عندنا. لا شك بأن المرء يتعلم ويكتسب خبرة.

■ ماذا قالت لك زوجتك يوم توليت رئاسة الحكومة للمرة الأولى؟

ـ لم تكن مبسوطة.

■ **مخاوفها أمنية؟**

ـ مجموعة أشياء. حياتنا تغيرت. لم يعد هناك وقت كاف للأولاد. كانت نازك إذا عاشت معي في بيروت قلبها على الأولاد في باريس، وإذا عاشت مع الأولاد قلبها على زوجها. فترة صعبة عائلياً ولعلها الأصعب في حياتي.

■ **هل خفت أن يتعرقل تأليف حكومتك الأولى؟**

ـ لا.

■ **ونهار الاعتذار، هل صحيح أنك حملت معك ورقتين واحدة للقبول وأخرى للاعتذار؟**

ـ لا، صعدت ومعي ورقة قبول، لكنني فوجئت بقصة تجيير أصوات النواب. كنت قد قلت للرئيس إنني سأضطر إلى الاعتذار في حال حصول ذلك، وقال لي إن الأمر لن يحصل. سألته لماذا حدث ذلك، فأجاب: أجبرني النواب. واعتذرت.

■ **ماذا كان رد فعله؟**

ـ سألني كيف، فقلت له أعتذر، كما قلت لك.

■ **هل صحيح أنك انتظرت اتصالاً سورياً ولم يأت؟**

ـ هذا غير صحيح. وأنا لم أتصل.

■ **متى تعرفت إلى السيد عبدالحليم خدام؟**

ـ في ١٩٨٢.



■ **وتوطدت العلاقات منذ ذلك التاريخ؟**

ـ نعم. كنت على تنسيق دائم مع سورية وهو نائب الرئيس والمسؤول عن الملف اللبناني مع حكمت الشهابي وغازي كنعان.

■ **يشكو السياسيون في لبنان من أسلوب خدام؟**

ـ مثَّل أبو جمال مرحلة أساسية في تاريخ سورية، خصوصاً في لبنان.

■ **هل تخاف من السلام على المنطقة؟**

ـ لا أخاف، من الضروري أن نكون واقعيين. أنا أرى أن السلام ضروري للمنطقة ومهم إذا كان سلاماً شاملاً. لكنني أعتقد أنه لا يحل كل مشاكل المنطقة. يحل نوعاً من المشاكل ويخلق تحديات جديدة. إعطاء الانطباع بأن السلام سيحل كل مشاكلنا غير صحيح. لا أشعر بأن هناك في لبنان من يحاول تقدير هذه التحديات أو درس انعكاساتها على البلد. هناك كلام من كبار المسؤولين في البلد مفاده أن كل المشاكل ستحل بعد توقيع السلام. أعتقد بأن هذا الكلام يشكل خطأً كبيراً. هناك مشاكل عدة: مشاكل مخيمات، مشاكل «حزب الله»، مشاكل تطبيع ومشاكل اقتصادية وتحديات وطنية وثقافية. السلام ليس نزهة، وتبسيط المشاكل يرمي إلى تفادي البحث عن حلول.

■ **هل تخاف أن ينجب السلام إرهاباً؟**

ـ في الجانبين هناك من يعارض عملية السلام. لدى الإسرائيليين ولدى العرب هذه القوى ستعبر عن نفسها بوسائل متعددة. أتمنى ألا يكون العنف بين هذه الوسائل.

■ **هل أنت مراقب الآن؟**

ـ نعم.

■ **هل كنت تشتهي الوجود في السلطة في هذه المرحلة؟**

ـ (يضحك)، لا.

* * *

كنت في باريس وعرفت بالصدفة أن الرئيس الحريري وصل فجأة إليها. اتصلت به وذهبت إليه. بدا قلقاً من الأوضاع العراقية والفلسطينية. قال إن لبنان يحتاج إلى مناخات جديدة وإن سياسة العرقلة التي ينتهجها فريق الرئيس إميل لحود تحول دون تحقيق إنجازات. وتطرق إلى سلبية الشارع المسيحي منتقداً أسلوب التعامل معه.

وقال: «المسيحيون المشاركون في الحكم هم الأقل تمثيلاً. ميشال عون الموجود في المنفى أكثر شعبية منهم وسمير جعجع الموجود في السجن أكثر شعبية منهم».

سألته إذا كانت هناك قنوات بينه وبين عون فأجاب: «هذا الملف ليس عندي. بصراحة غير مسموح لي أن أتدخل فيه. لو فتحت حواراً مع عون فسيعدّون ذلك مشروع انقلاب على لحود وسورية معاً».

سألته عن الملف القضائي لعون والاتهامات الموجهة إليه فرد مبتسماً: «إن كنت تتفق مع عون أو تختلف معه، لا بد لك من الاعتراف بأن هذا الملف سياسي. للأسف لقد نجحوا في برمجة القضاء وهذا الأمر خطير». قلت له: «ألهذا السبب يشكك أصدقاء جعجع في قصة تفجير كنيسة الذوق التي كانت السبب في استدراجه إلى التوقيف والسجن؟». وفوجئت به يجيب: «أنا أيضاً لديّ علامات استفهام حول هذه الحادثة. هذا الموضوع صعب ولا أريد التحدث فيه».

أترك هنا ما دار في ذلك اللقاء الذي شُغل الحريري خلاله في قراءة الوضعين الإقليمي والدولي وأعود إلى لقاء سردينيا وهنا نص الحوار:

■ أين ولدت وفي أي بيئة؟

ـ قصتي بسيطة. والدتي، رحمها الله، أنجبت خمسة أولاد توفي منهم اثنان، الأول ولد في الشهر التاسع وتوفي والثاني عاش عشرة أشهر وتوفي بعدما أصيب بمرض معوي. لم يكن الطب متقدماً مثل اليوم. هكذا نشأنا ثلاثة أنا وأخي وليد، ونسميه شفيق، وشقيقتي بهية وهي نائب في البرلمان اليوم. ولدت في عائلة متواضعة ومتماسكة. والدي ووالدتي كانا من المؤمنين بالله سبحانه وتعالى ومن المحبين للناس. إنها تلك القيم الدينية والإنسانية البسيطة التي تقوم على محبة الجار والقريب واحترام الآخر. لم أسمع في صغري كلاماً مسيئاً بحق الآخرين ولا كلاماً نابياً. كانت تربطهما بعائلتيهما علاقات قوية تقوم على التزاور والتعاضد والمشاركة في الأفراح وفي الأحزان.

أستطيع القول إنني نشأت في جو طبيعي. الأم تعطي لعائلتها أقصى ما تستطيع من الحنان والرعاية والأب يقدم لعائلته أقصى ما يستطيع من الجهد والاهتمام والعطف. لم تؤد الصعوبات المالية التي كانت العائلة تعيشها إلى توتير الأجواء أو تنامي مشاعر الحقد والحسد. وربما هذه الصعوبات نفسها زادت من إصرار والدي على توفير مناخ من الحب والحنان والعطف. في العائلة التقليدية كانت الأنانية غائبة. يقدم الأهل لأولادهم بلا حساب. ويقدم الأخ لأخيه بلا حساب أو مقابل. ولدت في منزل خارج صيدا القديمة على مقربة من ساحة النجمة في أول طريق جزين.

■ **والوضع العائلي؟**

ـ كان لدى جدي، رحمه الله، بعض الأملاك. وكانت أوضاعه معقولة على ما رواه لي والدي فأنا لم أعرف جدي. ورث والدي بضع قطع بسيطة من الأرض ثم عمل في التجارة وكان حريصاً على سمعته واسمه. أذكر، على رغم صغر سني آنذاك، أنه عندما حدثت كارثة ثلجية في لبنان وقضت على المواسم أصيب والدي بخسائر كبيرة لأنه كان قد ضمن مجموعة بساتين. اضطر والدي إلى بيع كل شيء ليسدد التزاماته وكي لا يعلن إفلاسه. سيطرت تلك الحادثة على تفكيرنا من زاويتين: الأولى أهمية الوفاء بالالتزامات مهما كان الثمن، والثاني غياب دولة تعويض الخسائر أو بعضها، أي غياب التكافل الاجتماعي لدى الدولة. بمعنى أن الخاسر المباشر تحمل العبء كله ولم يشاركه المجتمع. من دون أن يقصد، علمني والدي درساً عزيزاً على قلبي مفاده أن من الأفضل أن تخسر من مالك أو مالك على أن تخسر من سمعتك. أي الأفضل أن يهتز وضعك المالي ولا تهتز ثقة الآخرين بك. والحقيقة أن المال يأتي

ويذهب فيما السمعة لا تقبل التفريط. من الأسهل أن تعيد بناء رصيدك في المصرف من أن تعيد بناء رصيدك لدى الناس وبغض النظر عن حجم الأول والثاني.

وعلمت لاحقاً أن المبلغ الذي جمعه والدي من بيع كل أملاكه لم يكن كافياً، فلجأت والدتي وهي من آل حجازي من صيدا، إلى بيع ما لديها من مصاغ لإكمال تسديد الالتزامات. هكذا تحول والدي من رب عمل إلى عامل. عندما حصلت الكارثة الثلجية كان عمري أقل من سبع سنوات. أثرت بقوة على طريقة حياتنا إذ صار على والدي أن يكافح أكثر من ذي قبل ليوفر لنا شروط العيش والتعليم. كنت صغيراً لكن ما حدث بقي محفوراً في ذاكرتي. أذكر أن والدتي تأثرت جداً بما حصل وأن والدي تمالك أعصابه وقال لها هذا أمر الله وعلينا أن نعمل.

■ وبعد ذلك؟

ـ شعرت أنا أيضاً بأن عليّ أن أتحمل مسؤوليتي تجاه الوضع الجديد. وفي أيام العطل المدرسية كنت أرافق والدي وأعمل معه في بساتين الجنوب. أنا أعرف بساتين الجنوب لأنني عملت فيها أثناء متابعتي دراستي.

■ أين تعلمت؟

ـ أرسلني أهلي إلى مدرسة فيصل وكانت أقساطها بسيطة. أعفتني المدرسة من القسط لأن علاماتي كانت جيدة. بعدها انتقلت إلى المقاصد ومنها إلى جامعة بيروت العربية. الحقيقة أنها كانت سنوات صعبة. كنت أعمل في أيام العطل الأسبوعية وفي فترة الصيف

أيضاً. طبعاً كان الوضع مؤلماً بالنسبة إلى والدي. ثمة فارق بين أن تكون رب العمل وبين أن تعمل لدى الآخرين. منذ تلك الأيام صممت أن أوفي هذا الرجل حقه إذا أكرمني الله وتحسنت أحوالي.

■ **هل كان والدك صارماً؟**

ـ كان ذكياً بالفطرة وطيب القلب وقريباً من الناس. كانت علاقته بالناس طيبة. يضحك ويمزح ويبادله الناس المشاعر نفسها. لم يكن والدي صارماً. والأمر نفسه بالنسبة إلى والدتي. طبعاً كان لديهما تمسك كامل بالقيم الدينية والأخلاقية.

■ **ألم تكن في مراهقتك تصطدم بوالدك؟**

ـ أنا لم أعش مراهقتي لأصطدم بأحد بسببها. كنت في المدرسة أو في الشغل أو كنت أهتم بالقضايا المطروحة.

■ **ماذا كان انتماؤك السياسي في أول شبابك؟**

ـ كنت من الشبان الذين أثارت اهتمامهم فكرة القومية العربية وتعرفت إلى عدد من قادة هذا التيار قبل بلوغي العشرين.

■ **يقولون إنك انتسبت إلى «منظمة العمل الشيوعي»؟**

ـ لا.

■ **لم تدخل أي حزب؟**

ـ لا. كانت لدي ميول وصداقات. كنت في خط حركة القوميين

العرب وعملت لبعض الوقت في مجلة «الحرية». كان هناك محسن إبراهيم ومحمد كشلي وسامي مشاقة وغسان كنفاني رحمه الله.

■ هل صحيح أنك شاركت في توزيع بيانات تعارض الانفصال بين مصر وسورية؟

ـ نعم. وكنا نسير في التظاهرات. أذكر أنني كنت أحمل سامي الشعار، وكان أكثر سمنة من الآن، على كتفي في التظاهرات. وانتخبت في جامعة بيروت العربية في اتحاد الطلبة.

■ هل أرست تلك المرحلة علاقة صداقك بينك وبين محسن إبراهيم؟

ـ حصلت صداقة وثم باعدت الأيام بيننا بسبب سفري وانهماكه بالموضوع الفلسطيني، وحين كنت في الحكم كنا على طرفي نقيض. لكن أبو خالد دمه خفيف. تختلف معه في السياسة وتتفق معه في خفة الدم.

■ نشأت في صيدا، من كان النموذج في ذهنك، عبدالناصر؟

ـ أنا جزء من جيل تفتح ذهنه على فكرة القومية العربية بعيداً من الطائفية والمذهبية. كان هناك موضوع فلسطين. اندفع الجيل الشاب آنذاك نحو الشعارات التي نادى بها عبدالناصر. عندما حصلت النكسة في ١٩٦٧ طرحت أسئلة كثيرة وتحتم علينا التساؤل عن الخطأ والصواب. كانت هناك موجة تأييد عارمة لعبدالناصر من دون التوقف عند الصواب والخطأ. بعد ١٩٦٧ بدأ قسم من الشباب يرى الأمور مختلفة. في هذا الوقت كنت قد صرت في السعودية.

هناك بدأت أرى الأمور بمنظار مختلف. في السابق كنا نستمع إلى ما يقوله عبدالناصر واليسار عن الدول النفطية ولم نكن نعرف واقع الحال في تلك الدول. عندما ذهبت إلى السعودية رأيت الواقع مختلفاً. أنا عايشت تجربة المملكة العربية السعودية من ١٩٦٥ حتى الآن. أدركت أن هذه الدول استطاعت في المحصلة النهائية أن تبني بنيتها التحتية وأن تطور نفسها وأن تبني إنسانها وأن تتحول إلى قوة مؤثرة في المنطقة والعالم. كل ذلك بهدوء وبعيداً من الضجيج والمبالغات والشعارات البراقة. حققت هذه الدول تقدماً مستمراً وغير بطيء. لم تقم بحرق المراحل لكنها تخطت فعلياً مرحلة التخلف التي كانت قائمة منذ مئات السنين واستخدمت الثروة في نقل الإنسان، في هذه الدول، خصوصاً في السعودية، من حال إلى حال. أوجدت هذه الدول طبقة وسطى مهمة جداً. التطور كان كبيراً على صعيد الإنسان نفسه قبل أن يتجلى في المنشآت والطرقات. هناك فرص التعليم ونظام للتأمينات الاجتماعية من الأكثر تقدماً في العالم، وهناك الضمانات الصحية. كل ذلك بهدوء.

■ **عملت في دار «الصياد»؟**

ـ نعم عملت في «الصياد» في المحاسبة، وفي الليل كنت مصححاً في صحيفة «الأنوار» وأتابع دراستي في الجامعة العربية في فرع المحاسبة وإدارة الأعمال.

■ **كم كان أول راتب قبضته؟**

ـ عندما كنت صغيراً وأعمل في البساتين كنت أحصل على خمس ليرات في النهار أي نحو دولارين ونصف. كنت أشارك في

القطاف وفي حمل الصناديق. في الصيف كنت أعمل في قطف التفاح وتوضيبه التفاح. عملت في بلدات جبل لبنان والبقاع والشمال. أعرفها من العمل لا من الإجازات الصيفية. كنت أجمع بعض ما أحصله صيفاً لأتابع دراستي شتاء. نعم عملت في التفاح في بشري وإهدن وكسروان. لا أذكر تحديداً أول راتب تقاضيته، لكنه كان في حدود المئتي ليرة.

■ **ماذا كانت هواياتك؟**

ـ لا هوايات. لا الوقت موجود ولا الوضع يسمح. ربما لهذا السبب أعرف معنى أن يحرم تلميذ من مدرسة جيدة ومن أن تكون له هوايات وأعرف معاناة الأهل حيال وضع من هذا النوع.

■ **متى قررت الذهاب إلى السعودية؟**

ـ كان الأمر مجرد صدفة. قرأت في إحدى الصحف المحلية إعلاناً يتحدث عن الحاجة إلى مدرس فقدمت طلباً. أعتقد بأنني اللبناني الوحيد الذي ذهب في ذلك العام (١٩٦٥). ذهبت وبدأت أدرس في إحدى المدارس في جدة. كنت في الواحدة والعشرين من عمري وكنت متزوجاً. كان راتبي في حدود ستمائة ريال شهرياً أي الحد الأدنى. لم تكن تحسم من هذا المبلغ ضرائب باستثناء ما كان يعرف بـ «طوابع طرق» ونسبتها ٢ في المئة، أي ١٢ ريالاً. هذا يعني أنني كنت أتقاضى ٥٨٨ ريالاً شهرياً. لهذا كنت أعمل بعد الظهر في مكتب محاسبة. وبين دوامي الوظيفتين كنت أعطي دروساً خصوصية للطلاب. هذا جعل دخلي يراوح بين ١٢٠٠ و١٣٠٠ ريال شهرياً. بدأت باتفاق على ٦٠٠ ريال لكنني وبعد عشرين يوماً فقط سعيت إلى زيادة دخلي.

ما دفعني إلى الذهاب إلى السعودية شعوري بأن ذلك البلد تتوافر فيه فرص غير موجودة في لبنان، وكان رأيي صحيحاً. درست فترة سبعة أو ثمانية أشهر ثم عملت في مكتب للمحاسبة ما يزيد على سنة وانتقلت إلى شركة مقاولات.

■ **كيف كانت انطلاقتك بعد ذلك؟**

ـ كما قلت، عملت في شركة مقاولات نحو خمس سنوات تعلمت خلالها المهنة. بدأ وضعي يتحسن ومررت بمراحل صعود وهبوط. عندما حدثت حرب ١٩٧٣ ارتفعت الأسعار وكنا قد أخذنا أشغالاً بأسعار منخفضة. ارتفعت أسعار النفط وكذلك أسعار المواد الأولية. صارت كلفة الالتزامات عالية جداً وأصبنا بخسائر كبيرة. هنا في ١٩٧٣ كنت بدأت أعمل لحسابي بعدما تعلمت أصول المقاولات. كنا نأخذ مقاولات من الباطن Subcontractor. أعمال في الطرق والجسور الصغيرة والعبارات والحمايات على جوانب الطرق. في ١٩٧٣ بقيت أسعار العقود التي وقعناها على ما هي عليه وارتفعت أسعار المواد والعمالة فخسرنا. كان لا بد من الصبر. لاحقاً وفقنا في شغل آخر وكانت السوق قد بدأت تتوازن. ربحنا في الشغل الجديد فسددنا ديوننا. كانت هذه اللبنة الأولى في بناء الثقة مع المؤسسات المالية والسوق.

■ **ومشروع البناء في الطائف؟**

ـ في تلك المرحلة. ولم آخذ أنا المشروع بل أخذت مقاولة من الباطن. الأرباح كانت بسيطة لكن صار لدينا فوائض سددنا فيها الديون. كنت أعمل مع آخرين لفترة ثم توافقنا على الافتراق إذ لكل منا طريقته في العمل. الانفصال كان حبياً ومن دون خلافات.

■ **نريد أن نعرف قصة المليون الأول، متى نمت وفي رصيدك أول مليون دولار؟**

ـ كان عمري ٣١ سنة حين صار لدي أول مليون دولار.

■ **من أين جاء؟**

ـ من العمل. أنا لم أعمل في غير المقاولات. لم أحصل مالًا من عمولات ولا من وساطات. المقاولات هي ميداني الوحيد.

■ **من مشروع قصر المؤتمرات في الطائف؟**

ـ من مجموعة مشاريع منها الطائف ومنها الهدى ومستشفى بعد أن أسسنا شركة «سعودي أوجيه». حين أسست، أعتقد في ١٩٧٦، كانت حصتي صغيرة فيها. بعدها اشتريت حصص الآخرين.

■ **ماذا يشعر المرء حين يمتلك المليون الأول؟**

ـ أريد أن أجيبك بصدق كامل. حين يمتلك شاب مثل هذا المبلغ يصاب بنوع من الغرور والشعور بالنجاح وربما بالتفوق. هذه حالة مرضية. أعترف بأنني أصبت بشيء من ذلك. أحمد الله لأن هذه المرحلة لم تدم طويلاً لدي. دامت نحو سبعة أشهر.

■ **شعرت يومذاك أن رفيق الحريري قوي؟**

ـ (يضحك) شعرت أن رفيق الحريري قوي وقبضاي وذكي ودمه خفيف. النكتة التي يرويها تثير الضحك. والفكرة التي يطرحها ممتازة وتثير الاهتمام. إنها مبالغات الشباب. أشكر الله أن تلك

الفترة لم تدم طويلاً وهذا يرجع في اعتقادي إلى أمرين: الأول التربية في البيت، والثاني الجو العام في المملكة العربية السعودية. الجو العام في السعودية يغلب عليه التواضع ولا يقبل هذا النوع من السلوك. الجو لا يسمح بالفظاظة ويشدد على التمسك بالبساطة والقيم واحترام الآخر. عدم مراعاة هذه القواعد تجعلك غريباً ومنبوذاً. ربما كان هناك شيء من التبرير لشاب مثلي جاء من لبنان ومن وضع مالي مسحوق ومر في ظروف صعبة أن يصاب بشيء من الغرور لدى تحسن أوضاعه. لم يتحسن وضعي وحدي، تحسن وضع معظم من عملوا في المقاولات آنذاك. حظي أنني طويت صفحة النشوة هذه سريعاً في فيما هناك من لازمتهم حتى اليوم.

■ هل يصاب المرء بسبعة شهور مشابهة حين يتولى رئاسة الحكومة؟

ـ المال كما المواقع كما السلطة السياسية كلها أنواع من السلطة. إذا كان لديك الاستعداد للتكبر والغرور وإذا لم تكن قدماك على الأرض كما يقولون، يمكن أن يصاب المرء بالغرور سنوات طويلة. أكرمني الله سبحانه وتعالى بأمور كثيرة لكن من أبرز ما أكرمني به هو أن فترة الغرور انتهت سريعاً.

■ ولجيش المدّاحين دوره؟

ـ على المرء أن يصارح نفسه وأن تكون لديه الجرأة لمعرفة حدود الأشياء. يتعرض صاحب الموقع لمثل ما تقول أو بعضه. تقول شيئاً عادياً فيأتي من يقول لك إن ما قلته رائع وخارق. يكون وزنك ١٣٠ كيلوغراماً وتعثر على من يراك صاحب قوام ممشوق. بعض الكلام عن حسن نية وبعضه جزء من أسلوب. المهم أن تكون لدى

المرء جرأة التحديق في نفسه. لا أقول إن المرء يجب ألا يفرح بنجاحه أو بما ينجزه. الإنسان يحب النجاح ومن حقه أن يبتهج بثمار جهده، لكن ليس من حق صاحب المال أو السلطة أن يصاب بالعمى فلا يرى إلا الألوان التي يريد ولا يسمع إلا الأصوات التي يريد.

■ وهل يصاب المرء بسبعة أشهر مختلفة إذا غادر السلطة؟

ـ (يضحك) هناك من يصاب بالمرارة لا الغرور. هذه ليست حالتي. دوري لم يبدأ مع تولي رئاسة الوزراء ولم ينته مع مغادرتها.

■ ثمة من يقول إنك تعشق السلطة وإن الإقامة خارجها تزعجك؟

ـ لو كنت أعشق السلطة كما تقول لبقيت حيث كنت. للوجود في السلطة هدف وللنجاح فيها شروط، ومن الأفضل للسياسي أن يكون خارجها حين لا تتوافر شروط النجاح.

■ ويقولون إن كلمة الرئيس السابق مؤذية؟

ـ ربما تكون مؤذية لمن يكون دوره مرهوناً بوجوده في السلطة. في الديموقراطية لا الألقاب دائمة ولا المواقع.

■ عندما ذهبت إلى السعودية هل كانت في بالك صورة نجاح لبناني ما؟ إميل البستاني مثلاً أو غيره؟

ـ هنا يجب أن أعترف. أنا لم أجرؤ على الحلم بأن أصل إلى ما وصلت إليه. لقد حققت أشياء كثيرة لم أكن أحلم بتحقيقها.

■ **بماذا تشعر حين تقف قبالة المرآة؟**

ـ أحياناً لا أكاد أصدق أن رفيق الحريري الذي انطلق من الصفر تمكن من الوصول إلى ما يتخطى أحلامه. طبعاً أنا الآن غير ما كنت عليه قبل سنوات. التجربة مدرسة لمن يحسن القراءة. لكنني أقول إن بين ما أفخر به في حياتي هو أن الأمور الأساسية في داخلي لم تتغير.

■ **وهي؟**

ـ لا أزال أنظر إلى نفسي آخذاً في الحساب أنني شاب انطلق فقيراً وعمل في البساتين وأهله وأقاربه هم من البسطاء الذين تربطهم به مودة. في المناسبات الاجتماعية ندعو الأقارب. أشعر بأن لهفة هؤلاء الناس تجاهنا جميلة وحميمة وخالصة ومنزهة. المال لا يوفر مثل هذا الشعور. هناك من لم يستفد منك ولم يطلب ولم تقدم له شيئاً وتراه يبادرك بعاطفة بعيدة من الغرضية.

■ **ألا تشعر بأن الذين يتقربون منك يريدون مالاً؟**

ـ هناك من هم على هذا النحو. أعرف ذلك ولدي حساسية تجاه هذه القصة. راداري يلتقط هؤلاء الناس بسرعة سواء ظهر علي ذلك أم لم يظهر. لكن من الظلم اعتبار أن كل من يظهر لك الود يحمل مطلباً. أقول ذلك في ضوء تجربتي. أنا مثلاً أحافظ على صداقاتي القديمة.

■ **يقولون إنك متعلق بابنتك؟**

ـ نعم متعلق بعائلتي. هند هي الصغيرة وظريفة جداً.

■ كيف تحاول حماية أولادك من كونك غنياً وشهيراً وتحت الأضواء؟

ـ أعتقد بأننا نجحنا حتى الساعة.

■ هل يستطيعون العيش بشكل عادي؟

ـ إننا نحاول أن نوفر لهم ذلك.

■ هل نجحت التجربة مع الشبان؟

ـ نعم. إنهم يعيشون عيشة عادية، يتصرفون بتواضع ومسؤولية وتخرجوا من الجامعات باستثناء الصغير.

■ هل أنت عصبي تهبط معنوياتك إذا خسرت وتنرفز فينعكس ذلك على جو البيت؟

ـ أعوذ بالله، ثم إنني لم أخسر في السياسة. غيري يخسر. كي تفهمني يجب أن تعرف حقيقة أساسية. لا قيمة للمال عندي. المال لا يعني لي شيئاً.

■ كم مليونيراً خرجوا من مؤسساتك أو بفضل الصداقة معك؟ هل تفرحك قدرتك على تغيير المصائر؟

ـ ساعدت كثيرين في حياتي. لكنك لا تستطيع أن تساعد الناس كل الوقت. تعطي فرصة لشخص فإن كان مؤهلاً يتابع طريقه.

■ هل تسببت في ولادة مئتي مليونير مثلاً؟

ـ ممكن. كثيرون ساعدتهم ونجحوا. ربما بين الذين أعطيتهم منحاً

تعليمية من صار مليونيراً. أنا غيرت مصير ٣٠ ألف شخص بتعليمهم.

■ **بماذا يشعر من يستطيع تغيير المصائر؟**

ـ مرة كنت جالساً مع زوجتي في مقهى الـ «سيتي كافيه»، اقتربت صبية حلوة وسلمت علي وقالت: «أنا من مؤسسة الحريري. أنا من المتخرجات. أتمنى أن أدعوك إلى عرسي وهو الأسبوع المقبل». هذه المشاهد تتكرر معي. معظم من ساعدناهم لا أعرفهم.

■ **في السياسة يقولون إنك تهتم بالشخص إذا كان دوره ضرورياً لك وحين ينتهي هذا الدور لديك القدرة على نسيانه؟**

ـ هذا غير صحيح. أنا عكس ذلك. نقطة ضعفي أنني أحافظ على صداقاتي.

■ **ألم يؤثر صعود نجمك في السنوات العشر الأخيرة على علاقتك مع زوجتك؟**

ـ لا مشكلة أبداً. أنا أحب زوجتي. أحبها جداً وأقدرها.

■ **لماذا؟**

ـ لأنها سيدة بكل معنى الكلمة.

■ **ألم تعرقل طموحك؟**

ـ بالعكس كانت عاملاً مساعداً. سيدة تبيض الوجه في المجتمع وتحب الناس ويحبونها وأنيقة وذكية.

■ **هل ستكون في الحكم في العام ٢٠٠٠؟**

ـ أنا الآن في المعارضة؟

■ **هل كان يوماً ثقيلاً اليوم الأول بلا رئاسة الحكومة؟**

ـ نعم ثقيل، لكنه لم يكن مفاجئاً بالنسبة إلي. صدقني إنني لست متمسكاً بموضوع السلطة.

■ **أي ألوان تحب؟**

ـ في اللبس أفضل الكحلي والألوان مثل الكريم. أحب القمصان الزرق.

■ **أي محل في العالم يجتذبك؟**

ـ هنا، سردينيا لأنها هادئة.

■ **هل لديك وقت للقراءة؟**

ـ قبل عملي في السياسة كنت قارئاً جيداً جداً. تاريخ وأديان. أنا قرأت العهد القديم بأكمله. كنت قارئاً نهماً. قرأت التاريخين العربي والإسلامي. كل كتب نجيب محفوظ وتوفيق الحكيم ومصطفى لطفي المنفلوطي والترجمات العالمية للكتب الأساسية: «وداعاً أيها السلاح» و«الشيخ والبحر» و «الحرب والسلم» ومكسيم غوركي وألبرتو مورافيا.

■ **من تحب من المطربات والمطربين؟**

ـ فيروز وفريد الأطرش وعبدالوهاب.

■ هل لديك هاجس التاريخ، وكيف ستكون صورتك؟

ـ يهمني لكنه ليس هاجساً. أعتقد بأن الأمر يتحول هاجساً في مرحلة من العمر والعمل السياسي.

■ ماذا تتوقع أن يكتب عنك في التاريخ؟

ـ أتوقع أن يكتب عني أنني أعدت بناء البلد.

■ هل تقصد أن يرتبط اسمك باسم مدينة؟

ـ لعله ارتبط الآن على الأقل بإعادة بناء بيروت وورشة الإعمار على رغم كل الحملات والتشويهات.

■ ألا تخاف من أن يكون التاريخ ظالماً؟

ـ صعب أن يكون ظالماً إذا كتب بإنصاف.

■ كيف توطدت علاقاتك في السعودية؟

ـ ناصر الرشيد صديق عزيز وأخ. درس في الولايات المتحدة ونال دكتوراه في الهندسة. اختط لنفسه طريقاً كما فعلت أنا. لم يفكر في العمولات. اختار أن يكون استشارياً وأنا اخترت أن أكون مقاولاً. واستمر العمل حتى اليوم. هو يأخذ شغلاً من الحكومة وأنا أنفذ شغلاً للحكومة. نحن لم نهتم بدور الوسيط بمعنى استقدام شركات أجنبية وتقاضي عمولات. طريقتنا كانت مختلفة. إنه شخص محترم جداً وعلاقتنا قوية ومستمرة حتى اليوم.

■ يتحدثون عن دورٍ له في قيام العلاقة بينك وبين الملك فهد بن عبدالعزيز؟

ـ الحقيقة أن الأمور جاءت طبيعية. كان الدكتور ناصر الرشيد استشارياً للملك خالد وللأمير فهد الذي كان ولياً للعهد. نحن كنا الشركة التي نفذت العمل. هكذا نشأت العلاقة. الملك فهد يهتم شخصياً بمتابعة الأمور التي يراها مهمة للدولة. العلاقة مع الملك فهد بنيت خطوة خطوة وأساسها مسألة بسيطة هي الثقة. أنا أعتقد أنه في العلاقات الإنسانية لا يمكن القيام بأي شيء من دون الثقة. الثقة هي الأساس. لا تقوم علاقة قوية ودائمة إلا إذا ارتكزت على الثقة. كنا وما زلنا صادقين مع خادم الحرمين الشريفين وهو أعطانا ثقته وانتقلت مني إلى ابني (سعد) الذي تسلم الأشغال. أنا قليلاً ما أتدخل حالياً. الحقيقة أن علاقات الثقة هي مع الملك فهد ومع الأمير عبدالله والأمير سلطان والأمير نايف والأمير سلمان ومع العائلة ككل. إنها علاقة مبنية على الاحترام المتبادل والثقة.

■ في أي سنة بدأت علاقتك مع الملك فهد؟

ـ في ١٩٧٧ ـ ١٩٧٨.

■ تبدو هذه العلاقة مع الملك فهد مميزة. ماذا تذكر من محطاتها؟

ـ أثمن ما يمكن أن يحصل عليه المرء هو أن يكون موثوقاً من الآخرين وأن يتصرف بصدق وأمانة وإخلاص. حبل الكذب قصير.

■ الملك فهد شخصية مميزة وفريدة. محب للعمل وللخير وللإنجاز.

ـ الإنجاز مسألة أساسية لديه، وترك بصمات واضحة في المملكة العربية السعودية. دوره في قيام الطبقة الوسطى حاسم. من أهم

الأشياء في السعودية وجود طبقة وسطى عريضة جعلت الناس يرون مصلحتهم في استقرار النظام. دور الملك فهد مميز في البناء وفي التعليم وفي السياسة الحكيمة.

العلاقات مع الأمير عبدالله ترتكز على المبدأ نفسه. وإذا شئت اختصار شخصية الأمير عبدالله بكلمة تستطيع القول إنه فارس. لديه فضائل الشجاعة والمروءة والوفاء. أعتقد أنه سيقود المملكة، بعد الملك فهد، بحكمة نحو الأفضل.

■ **هل هو عنصر الثقة الذي أبقى مؤسساتك تعمل في السعودية حتى حين كانت الظروف المالية صعبة؟**

ـ كل الدول تمر بصعوبات. أعتقد بأن بعض الصحافة الأجنبية ضخم هذه الصعوبات في إطار حملة على المملكة نتيجة لمواقفها القومية. حصلت صعوبات لكن السعودية تملك القدرة على تجاوزها.

■ **ماذا تذكر من معايشتك للملك فهد؟**

ـ ذات يوم وخلال الحرب العراقية ـ الإيرانية خرقت طائرات إيرانية الأجواء السعودية فتصدت لها الطائرات السعودية والدفاعات الأرضية فتم إسقاط طائرتين إيرانيتين وإصابة ثالثة. كنا مع الملك فهد حين أبلغ بالحادث. انتظر قليلاً ثم أمر بأن يتم الإعلان عن إسقاط طائرة واحدة. سألناه عن السبب فأجاب: إذا أعلنا عن إصابة ثلاث طائرات نكون كمن يهين الجيش الإيراني. نحن لا نريد مواجهة مع إيران أو مشكلة معها. إذا أهنت الجيش الإيراني علانية يشعر بأن من واجبه أن يرد. الجيش الإيراني يعرف ماذا حصل ولا ضرورة لإخراج الحادث كله إلى العلن.

الواقعة تشير إلى حكمة الملك فهد، وهي تجلت أيضاً في محطات أخرى خلال تلك الحرب التي كانت حساسة جداً بالنسبة إلى المنطقة. بهذه الروحية تعاطى مع مشكلة الحج والحجاج. عثر الملك فهد دائماً على وسيلة لتنفيس الاحتقانات التي كانت قائمة. نجحت هذه السياسة في تفادي مواجهة جدية وهو ما سمح الآن بإقامة علاقات ودية بين البلدين. حصلت بين البلدين حوادث معينة، ويعرف الإيرانيون أن المملكة لم تكن راغبة في حصول صدام لكنها اضطرت إلى ممارسة الحزم في بعض الأحداث. كان الملك فهد يقول لنا إن إيران دولة موجودة منذ آلاف السنين ونحن أمة موجودة منذ آلاف السنين. نحن لا نستطيع إلغاء إيران ولا هي تستطيع إلغاءنا. لا بد من وقت تهدأ فيه النفوس ونجلس إلى طاولة لحل مشاكلنا بروية. يجب ألا نقدم على أي عمل من شأنه إطالة الفترة التي تفصلنا عن موعد الجلوس إلى الطاولة. يجب أن نظهر انفتاحاً وسعة صدر وصبراً. والحقيقة أن سورية أدّت دوراً في تهدئة الأجواء بين إيران والسعودية. أعرف هذا الموضوع فقد كانت لي مساهمة فيه. ذهبت من قبل الملك فهد عشرات المرات إلى دمشق بهذا الشأن.

الحادثة الأخرى عندما اجتاحت القوات العراقية الكويت. حاول الإخوة الفلسطينيون، وموقفهم كان معروفاً، فتح خط بين السعودية والعراق. اتصلوا بمجموعة في المملكة وكنت أنا من عداد هذه المجموعة. قالوا إن هناك رسالة عاجلة من الرئيس صدام حسين للملك فهد.

وصلت الرسالة إلى الملك فهد وفحواها أن صدام مستعد للانسحاب من الكويت إذا وافق الملك فهد على الاجتماع به في

خيمة على الحدود السعودية ـ العراقية. الملك فهد، وببراعته المعهودة، أرسل جواباً قال فيه لماذا نجتمع على الحدود. أنا مستعد للذهاب إلى بغداد لكن نريد رسالة من الرئيس العراقي أنه مستعد للانسحاب من الكويت إذا اجتمعنا. الرسالة نحفظها لدينا ولم يسبق لنا أن كشفنا أموراً نحتفظ بها. كان الملك فهد جدياً ومستعداً للتوجه إلى بغداد، على حد ما قال لنا، وان يعلن من هناك عن انسحاب القوات العراقية من الكويت. ربما لهذا السبب تأخرت وسائل الإعلام في السعودية في الإشارة إلى الغزو. وشرح لنا الملك فهد ذلك، قال ظننا أن صدام قد يتأثر برد الفعل الدولي على العمل العسكري الذي قام به ضد الكويت وبالتالي يجب أن نوفر له باباً للتراجع عبر السعودية لكنه لم يغتنم تلك الفرصة.

■ يقولون إن الملك فهد تألم كثيراً من الغزو العراقي للكويت؟

ـ نعم تألم الملك فهد وتألمت كل العائلة السعودية. إذ إن المملكة لم تقصر في دعم العراق خلال الحرب العراقية ـ الإيرانية. الملك فهد حاكم ذكي ومقدام ولديه فكرة واضحة عن السياستين الإقليمية والدولية. محدث لبق وحديثه محبب. الجلسة معه ممتعة.

* * *

حضوره جذاب ويأسر محدثه. الوفاء هو من سمات العائلة السعودية. هل انتبهت إلى الاحتفال بالذكرى المئوية لدخول الرياض؟ لقد كرموا كل الناس الذين كانوا مع الملك عبدالعزيز من المقاتلين إلى الطباخين.

الأقوياء يُطمئنون ويخيفون. ومشكلة رفيق الحريري هي مشكلة الأقوياء. مؤيدوه كثر وخصومه ليسوا قلائل. الاستغناء عنه مغامرة ونجاح مشروعه باهظ التكاليف. واللبنانيون حزبان: الخائفون عليه والخائفون منه. وللمرة الأولى منذ استقلال لبنان تدور لعبة الموالاة والمعارضة حول شخص رئيس الحكومة ومشروعه.

غداة الانتخابات النيابية صيف ١٩٩٢ استجارت «الجمهورية الثانية» برفيق الحريري. رصيدها شارف على الإفلاس، وهو متواضع أصلاً، وبرلمانها «الطازج» يحتاج إلى غطاء، ونموذجها يفتقر إلى الجاذبية في الداخل والخارج. ولم يكن أمام الرئيس الياس الهراوي غير الاستعانة بـ «التغطية الذهبية» التي يوفرها اسم الحريري لبنانياً وعربياً ودولياً. أوقف الحريري «انتحار» الليرة اللبنانية وجنب «الجمهورية الثانية» ثورة الجياع، وجنب دمشق خضات اجتماعية واقتصادية في لبنان تنذر بإرباك السلام الذي تديره فيه.

نزل الحريري إلى الساحة اللبنانية في صورة المنقذ. الحاجة الملحة إليه أضيفت إلى الثقة التي يثيرها اسمه في المحافل والى قوته المالية وكلها حولت اسمه قوة ضاربة لم تعتد المعادلة السياسية التعامل معها أو احتمالها. نزل الحريري، بصفته أكبر الملاكمين، إلى حلبة لا تسمح أصلاً بالنجاحات الباهرة والضربات القاضية، خصوصاً أن القرارات الكبرى لا تتخذ على الحلبة نفسها. ومنذ اللحظة الأولى بدا واضحاً أن النظام الذي اتكأ على الحريري تحرك في الوقت نفسه لحرمانه من صفة اللاعب الأول ولجعله واحداً من كبار اللاعبين. وأظهرت تجربة السنتين الماضيتين قدراً من الغربة بين الحريري والنظام السياسي. فرئيس الحكومة ليس وافداً من متاريس الحرب وهو ليس ابن النوادي السياسية للجمهورية الأولى. إنه

أقوى من أن يتحول إلى لاعب عادي وأضعف من الإمساك بكل خيوط اللعبة.

سُلِّم الحريري رئاسة الحكومة ولم يُسلَّم كل المفاتيح اللازمة للإنقاذ، وتبدى نقص المفاتيح صريحاً في تشكيلة حكومته وغياب الصلاحيات الاستثنائية وحروب الوزراء المشاكسين ومبارزات ساحة النجمة والتجاذبات في نادي الرئاسات. وفي ساعات التأزم الشديد كان الحريري يتذكر النقص في المفاتيح والتفويض فينبه ويحذر ويعتكف ويصل إلى حدود الاستقالة. ثم تتكرر اللعبة: الاستغناء عنه متعذر ونجاحه الكامل أو السريع ممنوع. وفي ظل هذا التفويض المشروط كان عليه أن يقبل بما يرفضه أصلاً وأن يحكم بلغة «لم يكن في الإمكان أحسن مما كان». صار إحباط تجربته أولوية مطلقة لمعارضيه وصار أسير الرحلة التي بدأها. أخطأ معرقلوه كثيراً ولم تعزْه القدرة على ارتكاب الهفوات.

حكي الكثير عنه. مؤيدوه أحبوه إلى حد الإضرار به. وخصومه بغضوه إلى حد الإضرار بالوطن. وهو على عادة الأقوياء لا يشعر بالحاجة إلى شرح نفسه ويفضل الشرح بالواسطة. لكن هل يحق لرجل تتوقف على مصير تجربته قدرة لبنان على اللحاق بالشرق الأوسط الجديد وقدرة اللبنانيين على العودة إلى الرهان على الدولة والاستثمار والازدهار أن يبقى صامتاً؟

لم يسبق أن أدلى الحريري بحديث صحافي طويل تحدث فيه عن دوره السياسي قبل وصوله إلى رئاسة الحكومة، خصوصاً في محطات الثمانينيات وهي كبيرة وخطيرة. ولم يسبق أن تحدث عن نظرته إلى لبنان وتركيبته وكذلك عن طموحاته السياسية وعن إمبراطوريته التي تضم ٥٢ ألف موظف في ثلاث قارات.

قبل أيام من نهاية العام الماضي أعلن أن الحريري يمضي إجازة في

مونت كارلو. اتصلت به لإجراء الحوار فوافق وكان الموعد في مساء اليوم نفسه. لم يكن سهلاً إقناع رجل لا يزال في الحكم وفي ذروة معركته بأن يوافق على استعادة محطات ساخنة. قال إن الوقت لا يزال مبكراً وقال إنه لا يحب الحديث عن دوره. وبعد أخذ ورد انطلق الحوار الذي استلزم جلستين طويلتين في هدوء مونت كارلو وثالثة قبل أيام في ضجيج بيروت وعجقة المواعيد. نقلنا إلى رئيس الوزراء أسئلة وتساؤلات واتهامات أجاب عنها في حلقات ثلاث انطلقت الأولى من الحاضر وأسئلته، وتضمنت الحلقتان الأخريان حواراً عن محطات الثمانينيات والوساطات والوفاق والانتخابات.

* * *

■ **ما هي ظروف إعلان الاستقالة في أول كانون الأول الماضي؟ وهل كان لديك قبل جلسة مجلس الوزراء قرار بإعلانها؟**

ـ قبل الجلسة لم يكن لدي قرار بالاستقالة. الواقع أن الكثيرين من المسؤولين في البلد وصلوا إلى حالة من التذمر من الانحطاط السياسي وطريقة التعاطي السياسي. يجتاز البلد مرحلة صعبة ويحتاج إلى أكبر قدر من المسؤولية. لا أحد ينكر الحق في المعارضة والنقد والمحاسبة، لكن أن تجد نفسك أمام حملات تجريح وافتراءات لا أساس لها، يجعلك تشعر أحياناً كأنك لست في محلك. إذا كانت الاتهامات صحيحة فلا مبرر لبقاء المسؤول الموجهة إليه الاتهامات. وإذا كانت الاتهامات غير صحيحة وبلا أساس فيجب ألا تقال. ما قيل غير صحيح على الإطلاق ومن أطلقه يعرف أنه غير صحيح لكن الاستمرار في الإسفاف، سواء داخل مجلس

الوزراء أو خارجه، يدفع المرء أحياناً إلى التفكير في ملازمة منزله.

ما استغربته في الواقع هو أن الذين اتصلوا بي للعودة عن الاستقالة، إضافة إلى فخامة الرئيس (الياس الهراوي) والرئيس نبيه بري حين اجتمعنا، كان بينهم عدد من المعارضين، فقلت لأحدهم أنت تصرح كل يوم وتهاجم كل يوم، فأجاب أنه لا يريدني أن أغادر، وبرر ذلك بالقول: «لأن معارضتك تحرز».

تبدو المسألة مضحكة لكنها تشير في الواقع إلى مأساة. السياسة ليست ميداناً للتسلية أو الإيذاء ولا أعتقد بأن الناس تقر هذا الأسلوب. أحدهم قال لي في حضور مسؤولين «لا يمكن المرء بناء زعامة إلا إذا عارضك». أنا أفهم أن المعارض مسؤول أيضاً والمواقف السياسية ليست مجرد لعبة إعلامية أو حركات استعراضية. هذا الأسلوب لا يبني دولة ولا يحفظ وطناً. ما سمعته من كل المسؤولين والمعنيين في البلد جعلني في النهاية في وضع لا أستطيع فيه إلا أن أعود عن الاستقالة.

■ ثمة من يقول إنك جعلت الوضع في البلد أسيراً لوجودك في رئاسة الوزراء؟

ـ هذا غير صحيح. لماذا لا تقول العكس؟

■ **وهناك من يقول إنك لا تستطيع الاستقالة؟**

ـ لهذا قلت لك لماذا لا تقول العكس.

■ **كم كان حجم الدور السوري في توفير الضمانات**

التي أنهت الأزمة؟

ـ لسورية دور أساسي وللرئيس الأسد دور أساسي بلا شك. أقول، بفعل معايشتي للموضوع لمدة أكثر من سنتين، إن السوريين أدوا دوراً ايجابياً تماماً في كل الاستقرار الذي نعيشه. دورهم كان إيجابياً باستمرار ومنذ وصولي إلى الحكم.

■ **أين هي نقطة الضعف في التعاطي بين لبنان وسورية؟**

ـ نقطة الضعف موجودة عندنا. سورية دولة لها نظامها وأسلوبها وطريقتها والتزاماتها الوطنية والقومية والدولية. بعض المسؤولين عندنا يتصرفون على نحو مختلف.

■ **ألا يستدعي قيام علاقات ثابتة بين سورية ولبنان عودة «التواطؤ» بين المسؤولين اللبنانيين؟**

ـ أنت تقصد وجود نوع من التفاهم بين المسؤولين اللبنانيين؟ طبعاً. هذا ما يلح عليه المسؤولون السوريون. عبّروا عن ذلك في أكثر من مناسبة ووجهوا أكثر من طلب ورجاء.

■ **هل فتحت الاستقالة الباب لأجواء جديدة؟**

ـ نأمل ذلك. منذ العودة عن الاستقالة الأجواء أفضل.

■ **ما قصة الوزراء المشاكسين؟**

ـ هناك وزراء يرون أنفسهم غير معنيين بالتضامن الوزاري. كل وزير يعطي رأيه داخل مجلس الوزراء وهذا حق وضروري. لكن هناك من يعتقد بأن عدم الأخذ برأيه يعطيه حق التشهير بمداولات

مجلس الوزراء. هناك من يقول داخل الجلسة إنه سيشهر بها بعد خروجه منها. لقد حدث ذلك مرات عدة. إنه أمر مؤسف لأنه يعطي صورة غير صحيحة عن الوضع. لا علاقة للمشاكسة بالمناقشة. اكثر المناقشين والمعترضين هو الوزير فؤاد السنيورة وهو صاحب أعلى نسبة اعتراضات على القرارات، ومع ذلك لم يحدث أن خرج السنيورة وهاجم الحكومة أو رئيس الجمهورية أو تحدث خارج التضامن الوزاري لأنه يشعر بمسؤوليته ويفضل الذهاب إلى منزله وترك الوزارة على إيذاء التضامن الوزاري.

■ قيل إن المشاكسة تصاعدت بعد إحساس بعض الوزراء بأنك تسعى إلى تغييرهم؟

ـ هذا غير صحيح. صدر مثل هذا الكلام خلال الاعتكاف. لماذا حصل الاعتكاف؟ هناك من يقول إنه كان يجب ألا يحدث؟ ربما هذا الكلام صحيح، لكن لماذا لا نسأل عن أسباب الاعتكاف وهي الأسباب نفسها التي أدت إلى الاستقالة. الاعتكاف كان بمثابة تنبيه مسبق إلى أن الأوضاع لا تسير في الاتجاه الصحيح. كانت الرسالة موجهة إلى السياسيين اللبنانيين. الاستقالة كانت نتيجة شعوري باستحالة الاستمرار إلا إذا حصلت عودة إلى الذات والتفكير الواقعي والمسؤولية، وآمل أن يكون ذلك قد حصل.

■ ألا تعتقد بأن جزءاً من المعارضة يرجع إلى الطريقة التي اقتحمت بها النادي السياسي والتي قدمك الإعلام بها في صورة المنقذ الذي يثير مخاوف أصحاب الأدوار؟

ـ أسمع مثل هذا الكلام. أنا لا أفكر في هذا الأمر. أنا لم آت لتحجيم أدوار أو للدخول في هذا النوع من المعارك. لسنا في وضع

عادي لنتسلى بالحرتقات. والدور لا يكون بمنع الآخرين من العمل أو بإظهار القدرة على العرقلة. صناعة الأزمات لا تصنع الدور. ورجل الدولة هو من يبحث عن الحلول ويقدم مصلحة البلد. إذا لم يكن البلد معافى فما قيمة الأدوار فيه؟ لا أرى في الحقيقة مبرراً لهذه الحملة التي تستهدفني. لا أرى أي مبرر وطني خصوصاً أن الحملات تضر قبل كل شيء بالمصلحة العامة وأحياناً بمن يطلق الحملات.

وإذا كان قصدك بإلغاء الأدوار الإشارة إلى دور رئيسي الجمهورية والمجلس فدعني أقول لك إنه لا أحد يستطيع إلغاء أدوار الآخرين، لا دور رئيس الجمهورية ولا دور رئيس المجلس ولا رئيس الوزراء. الشخص نفسه يلغي دوره أو يسقطه لكن طبيعة النظام لا تسمح لشاغل موقع بإلغاء المواقع الأخرى.

■ **هل هناك غربة بينك وبين عقلية النظام السياسي أو الطبقة السياسية، أي أن أحدكما يجب أن يستوعب الآخر أو يغيره؟**

ـ طبعاً أنا من خارج نادي الرؤساء. أنا لم أبدأ من السياسة بل من العمل التربوي والتنموي، أي من العمل الوطني العام. ربما لهذا السبب تبقى ممارستي السياسية محكومة بضوابط وطنية وأخلاقية. حين بدأت العمل التربوي لم أخطط للوصول إلى العمل السياسي ولو كان هذا قصدي لربما عثرت على طرق أقصر.

نعم هناك نوع من الاختلاف في الأسلوب وطريقة العمل. أنا أحب الأمور الواضحة والطريقة المباشرة ومناقشة المسائل بصوت مرتفع، لأن الشأن العام لا يمكن أن يقرر في الكواليس. أحياناً يأخذون عليّ

صراحتي، لكنه أسلوبي. في بلد مثل لبنان لا يجوز جعل التأجيل هو القاعدة بحجة أن الملفات شائكة أو حساسة. المطلوب أن نرتفع دائماً إلى مستوى المشكلات ومستوى الحلول. حين توليت المسؤولية كانت هناك قضايا كثيرة نائمة أو مدفوعة إلى الظل ولم أوافق، وهذه بعض أسباب المشاكل. لا يجوز إرجاء اتخاذ القرارات وإرجاء بناء الدولة وتفادي الصعوبات، تماماً كما أنه لا يجوز الارتجال والتسرع والقبول بأي تسوية حتى وإن كانت على حساب الجوهر. دعنا نقل أن الحرب هي السبب في أسلوب التأخير والتأجيل علماً أن مرحلة ما قبل الحرب شهدت مثل هذه الممارسات.

■ كيف هي علاقاتك داخل نادي رؤساء الحكومات؟

ـ علاقاتي «كويسة» أو لا بأس بها.

■ هل يثير طرح موضوع الفساد انزعاجاً لديك أم قلقاً؟

ـ أبداً. انزعاج لا. يثير قرفاً، والسبب هو أن القضايا التي وصلت إلى القضاء غير صحيحة أبداً ومن طرحها يعرف ذلك. لكن الذي طرحها بدأ بطرحها أمام الإعلام قبل القضاء والغرض إعلامي وسياسي في الدرجة الأولى.

■ بماذا ترد على الكلام عن مبالغ دفعت لنواب في قصة «سوليدير» ورشاوى لصحافيين ومؤسسات؟

ـ هذا الكلام غير صحيح ومؤسف. ما حدث هو أن المشروع عرض في المجلس النيابي وأثار ضجة. اقترح عدد من النواب شرح المشروع شرحاً أفضل للنواب ووسائل الإعلام، ولهذا طلبت من

المعنيين شرحه للإعلام والنواب للغرض نفسه. بين النواب من اقتنع وبينهم من لم يقتنع وظل معارضاً. الحديث عن رشاوى دفعت للنواب في المجلس السابق لا يستهدف «سوليدير» بقدر ما يستهدف القول أن لا صدقية للمجلس السابق، وهو المجلس الذي صنع الطائف والإصلاحات الدستورية. المقصود هو التشكيك في كل الصيغة.

الاتهامات بالرشاوى لا توصل إلى أي مكان لكنها تلقي ظلالاً من الشك على صدقية المجلس السابق. يقولون إن ٤٠ نائباً تلقوا رشاوى. طيب الذين ذهبوا إلى الطائف كانوا بمجموعهم ٦٢. أي أن التشكيك يشمل غالبية النواب وتالياً ما أقروه وكل ما يتعلق بالنظام السياسي، لهذا قلت إنه الشعور بالقرف.

■ **لكن هل تستطيع التعاطي في السياسة من فوق؟**

ـ كيف؟

■ **لهذه اللعبة قانون.**

ـ مهمة المعارضة تبيان الأخطاء وتقديم مقترحات وبدائل، أما إلقاء الاتهامات على عواهنها فلا يندرج في باب المعارضة.

■ **ألم يكن من المفترض أن تقرر فور توليك رئاسة الحكومة الامتناع عن شراء حتى شبر من الأرض؟**

ـ هذا الموضوع نفذته من دون أن يطلب أحد مني ذلك. دلني على ما أفعله في لبنان باستثناء ما يقال إنني أفعله. قلت لك ما لدي في لبنان. الأراضي التي أملكها لم تعرف أي زيادة مهمة في

السنتين الماضيتين، هناك استكمالات بسيطة جداً. القرار اتخذته، أما المساهمة في «سوليدير» فكنت أنا من اقترح أن يدرج في القانون ما يمنع الشخص وزوجته وأولاده من المساهمة بأكثر من عشرة في المئة. هناك من لا يخجل حتى ولو بدت اتهاماته كاذبة. والقوانين في لبنان تحمي، ويا للأسف، الحق في التشاتم.

■ هل نستطيع القول إن ثروتك تراجعت بعد تعيينك رئيساً للحكومة؟

ـ لا، لا تستطيع قول ذلك. يمكن أن تكون أشغالي تراجعت أما ثروتي فلا. هناك فرق.

■ مثلاً عدم إشرافك على العمل قد يؤثر؟

ـ يؤثر في الأشغال.

■ ويقولون إن العمل العام باهظ التكاليف. ألم تزدد الأعباء المالية عليك؟

ـ لدينا أصلاً برنامج خاص بالمنح الدراسية والمساعدات التربوية والاجتماعية والمؤسسة تتابع عملها. لا شك في أن لدينا مبالغ كبيرة ننفقها في هذا المجال. تعرف لماذا يشعر المرء بالاستياء من الاتهامات؟ لأن كل ما يتحدثون عنه من أرباح ومكاسب يمكن تحقيقه بمجرد توفير بسيط في المساعدات التي نقدمها وغالبيتها غير معلنة. من ينفق كل هذه المبالغ هل يحتاج إلى قطعة أرض؟

■ هل هناك رقم تقديري لنفقات تعليم الطلاب؟

ـ بين الذين تخرجوا والذين يتابعون دراستهم حالياً والشؤون

الاجتماعية ومشروع كفرفالوس هناك مئات الملايين من الدولارات.

■ **ألهذا السبب يثيرك الاتهام بشراء قطعة أرض أو ردم جزء من البحر؟**

ـ طبعاً. أنفقنا ما يمكن أن يصل إلى بليون دولار على الأمور التي أشرت إليها، مساعدات تربوية واجتماعية وطبية وكثير منها لم يعلن عنه. حتى ١٩٩٣ تخرج ١٢ ألف طالب جامعي وهناك من دخل وخرج وهناك من يكمل حالياً.

■ **هل ينتمي هؤلاء إلى حزب رفيق الحريري؟**

ـ انهم ينتمون إلى حزب لبنان، فهم من مختلف الطوائف والمناطق. وأقصد بحزب لبنان أنهم قوة تعد بالمستقبل أي بلبنان العلم والتقدم والثقافة والحوار مهما اختلفت توجهاتهم السياسية. الغالبية العظمى منهم لا أعرفها.

■ **هناك من يقول إن قوتك المالية أقل بكثير مما يعتقد؟**

ـ أنا لم أتحدث إطلاقاً عن قوة مالية.

■ **هل تجزم بأن وضعك المالي لم يتراجع؟**

ـ (يضحك) الحمد لله. مستورة. أنا لم أقل شيئاً في هذا الموضوع. الناس يقدرون ويعدلون وبعضهم يضيف ويُنقص.

■ **كم عدد الذين يعملون في مؤسسات تابعة لك في العالم؟**

ـ نحو ٢٥ ألف شخص.

■ **أين؟**

ـ معظمهم في السعودية، وهناك فريق في فرنسا وبريطانيا وسويسرا وأميركا إضافة إلى لبنان وبعض الدول العربية طبعاً.

■ **إدارة إمبراطورية بهذا الحجم ماذا ترتب؟**

ـ ترتب وجود مديرين قادرين. إنهم موجودون.

■ **هل توقع على القرارات المهمة؟**

ـ أبداً. منذ توليّ رئاسة الوزراء ابتعدت عن كل التواقيع.

■ **من عمل معك منذ بداية الثمانينيات ومن خانك، ومن هم الذين تخليت عنهم أنت أو افترقت حساباتك عن حساباتهم؟**

ـ سبق أن قلت إنني منفتح على كل الناس. وكما أكدت لك لم أشعر يوماً بأنني سأصبح رئيساً للحكومة ولم أخطط لمثل هذا الأمر. الله سبحانه وتعالى تكرّم علي بفضيلة عدم الوقوع في الغرور ولهذا أسعى دائماً إلى التعلم. أعتقد بأن غالبية الناس تحاول أن تتعلم، وهناك فريق لا يحاول لكنه يضطر إلى التعلم بفعل التجربة والتعامل. أنا من الذين يبذلون جهداً من أجل التعلم. من يعتقد بأنه لم يبق أمامه ما يتعلمه هو رجل محدود وفي حكم المنتهي.

أنا أتعاون مع كل الناس. هناك من اعتاد القول إن فلاناً يؤثر في فلان وإن فلاناً بات بعيداً بعدما كان قريباً أو غير ذلك. دعني أقل لك بوضوح إننا في نهاية القرن العشرين، ولا بد من احترام الكفاءة والتخصص. أنا أستعين في كل موضوع بمن يعرف في هذا

الموضوع. على المسؤول أن يستمع إلى أهل الاختصاص وكذلك إلى أهل الخبرة. أي لا بد من الاستعانة بالشخص المناسب في الموضوع المناسب. معظم عملي ليس فردياً. وبخلاف اعتقاد الناس بأنني آخذ كل شيء في صدري وأتنطح لكل موضوع. ربما كان في ذلك جزء من الحقيقة لكن الشيء الأساسي هو أنني أستشير كثيراً وإذا اقتنعت بالأمر أخوض وأتحمل المسؤولية.

■ هل يمكننا اعتبار خطابك في الجامعة الأميركية قبل توليك رئاسة الوزراء بمثابة بيان وزاري؟

ـ لا، لم يكن مشروع بيان وزاري بل كان ضرورة للبلد. يومذاك رأيت الأوضاع تسير في اتجاه معاكس لكل الجهد الذي بذل خلال ١٢ سنة أو ١٠ سنين. رأيت الأوضاع تندفع في اتجاه مخالف تماماً لما يفترض أن تكون عليه. كانت هناك تفسيرات عدة لخطاب الجامعة الأميركية. الواقع هو أنني أردت أن ألفت إلى أنه لا يجوز الاستمرار في ما كان الوضع عليه. وحين توليت رئاسة الحكومة أعتقد بأنني حاولت تطبيق الأشياء التي قلتها، وأعتقد بأنني نجحت إلى حد كبير في ذلك.

■ متى ولدت فكرة عَمار وسط بيروت التجاري؟

ـ في الثمانينيات وكان الدكتور محمد عطاالله، رحمه الله، رئيساً لمجلس الإنماء والإعمار، وكنا نناقش هذا الموضوع. لم أعتقد يوماً بأن الحرب هي خيار نهائي للبنانيين، ولم أعتقد بأن القوة هي لغة التخاطب الوحيدة بينهم. وفي موازاة الأفكار التي كنا نحملها لإنهاء الحرب كانت تجول في أذهاننا أفكار عن إعادة بناء السلام. أنا لم أستسلم يوماً لمنطق الحرب. ليس من حق المرء أن ييأس. كل

الشعوب تمر بنكبات ومحن ثم تنهض منها، وفي النهاية يأتي دور التعقل والبناء وإزالة آثار الحرب من النفوس والأماكن معاً.

■ ماذا كانت تعني لك فكرة إعادة إعمار بيروت؟

ـ الكثير الكثير. الإعمار هو الميدان الذي عملت فيه وأحببته لأنه إضافة إلى الجانب الاقتصادي يشير إلى الحياة والتقدم والإرادة. إنها تعني لي أولاً على المستوى المهني، ذلك أن إعادة إعمار مدينة شيء مهم جداً. وثانياً، وهذا هو الأهم، إنها تعني الانتقام من الحرب. وإعادة إعمار البلد هي في النهاية انتقام الأوادم من الحرب كفكرة وأسلوب ومن المآسي الناجمة عن هذا الخيار وكل ما يتضمنه من وحشية وخراب وكوارث ودمار ومن فكرة الاحتكام إلى السلاح لحل المشاكل، ومن فكرة القطيعة نفسها. في النتيجة دمرت بيروت وكان لا بد من إعادة إعمارها بأيد لم تكن طرفاً في تدميرها وبفكرة مناقضة للفكرة التي أدت إلى التدمير. هناك قوى دمرت وهناك فريق يعمر. وسيكون في استطاعة الناس أن ترى وتستنتج.

■ هل تعني إعادة الإعمار إحياء شراكة المصالح بين الطوائف أم شيئاً آخر؟

ـ طبعاً إعادة إعمار بيروت تعيد المصالح المشتركة بين اللبنانيين. أنا شخصياً لا أحب كلمة التعايش، والمقصود من إعادة إعمار بيروت هو تعزيز مسيرة العودة إلى العيش المشترك. أنا ضد فكرة التعايش لأن التعايش يمكن أن يكون مع الأعداء. العيش المشترك لا يقوم إلا على المحبة والاقتناع، أما التعايش فيمكن أن يضمر الكراهية والاستعداد للحرب. بمعنى أن التعايش يمكن أن يكون مجرد هدنة فيما العيش المشترك يجب أن يكون خياراً لا عودة

عنه ولا يقبل النقض.

■ كم هو حجم مساهمتك الشخصية في مشروع إعادة إعمار الوسط التجاري؟

ـ ١٢٥ مليون دولار أي نحو ٧ في المئة.

■ وما هي الأرباح التي تتوقعها من هذه المساهمة؟

ـ في المبدأ بمقدار ما يتوقع الـ ٩٣ في المئة الباقون. سبق أن أعلنت أن الأرباح التي يمكن أن تدرها مساهمتي هذه ستذهب إلى مؤسسة الحريري لتنفقها على الطلاب الذين تتكفل بتأمين نفقات دراستهم وعلى المؤسسات الخيرية والاجتماعية.

■ هل تراجعت أعمالك بعد توليك رئاسة الحكومة أم لا؟

ـ معظم أعمالي خارج لبنان.

■ أقصد هل أثر غيابك عن الإدارة اليومية للمؤسسات التابعة لك؟

ـ طبعاً يؤثر. وهذا طبيعي وإلا لكان وجود المرء مساوياً لعدم وجوده. يؤثر ولكن أنا بطبعي مؤسساتي وبنيت أشغالي على هذا الأساس فلا يؤثر غياب الشخص إلى هذه الدرجة. التأثير موجود لكنه لا يعادل المسافة بين الأبيض والأسود.

■ يقال في البلد إنك توليت رئاسة الحكومة ولا تزال شركاتك تعمل في لبنان؟

ـ هذا الكلام غير صحيح على الإطلاق. لدي في لبنان ثلاثة أمور: مساهمتي في «سوليدير» أي في إعادة إعمار وسط بيروت، وهو مشروع كنت وراءه قبل فترة طويلة من توليّ رئاسة الوزراء. والحقيقة هي أنه حين طرح موضوع المساهمة فكرت طويلاً في حسنات المساهمة أو عدمها. تخوفت من أن يؤثر عدم مساهمتي في الثقة بالمشروع وأن يدفع كثيرين إلى عدم المساهمة وبالتالي فتح الباب لاحتمال فشل المشروع. وفكرت في أنني لو ساهمت فسيقول بعضهم إن رئيس الوزراء يساهم في مشروع ضخم من هذا النوع. في النهاية ألهمني الله أن أساهم وأعلنت أنني أتبرع بإيرادات مساهمتي لتعليم الطلاب والمؤسسات الاجتماعية والخيرية.

الأمر الثاني هو أن لدي مصرفين وهما من أيام الحرب ولا علاقة لي بإدارتهما منذ وقت طويل. وفي لبنان حالياً نحو ٨٠ مصرفاً.

الأمر الثالث هو أن لدي مجموعة أراض اشتريتها خلال السنوات الطويلة التي أمضيتها في الخارج، وهي أراض لا مشاريع عليها في الغالب ومعظمها بساتين في الجنوب، إضافة إلى قطع متفرقة. ولدي أيضاً شركة أوجيه ـ لبنان التي سرحت موظفيها منذ فترة طويلة وأبقيت فريقاً بسيطاً منهم لأنني اعتبرت، وهذا قبل وقت طويل من تولي رئاسة الوزراء، أنني يجب ألاّ أشغل في البلد شركة كبيرة في هذا الحجم. ورأيت أن من واجبي أن أترك المجال لغيري خصوصاً أن أعمالنا أساساً هي خارج لبنان ولا تزال، أي في الخليج وأوروبا وأميركا.

■ **يحكون عن شراء عقارات وأراض؟**

ـ أولاً شراء العقارات ليس عيباً ولا حراماً ما دمت تشتري بأموالك

وفي صورة مشروعة. أنا أرفض الفكرة من أساسها وأعرف غرض الذين يتعمدون طرح هذا الموضوع. إذا كان السؤال هل أملك بعد تولي رئاسة الحكومة خطة لشراء عقارات، فأقول هذا غير صحيح. وهل اشتريت بكميات كبيرة، أجيب أيضاً هذا غير صحيح. حصل بعض الأشياء كاستكمالات لأشياء تمت سابقاً ودائماً بالحد الأدنى. بين الأمور التي تعرض على مكاتبنا المعنية بهذه المواضيع وما تم شراؤه فعلاً فارق كبير، فما أشتري لا يعادل الواحد في الألف مما عرض.

أنا أفهم لماذا يحكى في هذه القصة. الحقيقة أن كل سمسار يريد أن يروج لقطعة أرض أو عقار يحاول أن يرفع الثمن ويذهب إلى الراغب في شرائها ويقول له إن الحريري يريدها لكنني أفضل بيعها لك. إنها اللعبة المعروفة. تروج أنباء كثيرة عن أراض وعقارات بهدف رفع ثمنها من دون أن ندري بوجودها أو أنها معروضة للبيع.

تعرف، نحن في بلد ديموقراطي والناس يقولون ما يريدون. ولكون المرء، والحمد لله رب العالمين، يملك قدرات مالية فهذا يشكل نقطة قوة أصلاً لكنه في المقابل يشكل نقطة ضعف لأن هناك من يحاول القول إن هذا المرء يريد أن يشتري البلد. كثيرون يلقون التهم جزافاً لأغراض معروفة. طبعاً غالبية الناس تعرف الحقيقة، وما فعلته منذ بدء الثمانينيات حتى اليوم يكفي للرد من دون الحاجة إلى الخوض في التفاصيل.

■ **يقولون أيضاً إنك تركت الوضع الاقتصادي ينهار لكي تصبح المنقذ الوحيد ويلجأوا إليك؟**

ـ لكي يفعل المرء ما تتحدث عنه يجب أن يكون مجرداً من الأخلاق والكرامة والأنانية والحس الوطني. حين ينهار الوضع الاقتصادي يجوع الناس ويفقدون ثروتهم وآمالهم. من يفعل ذلك يجب أن يكون بلا قيم. وبكل تواضع أقول إن رفيق الحريري ليس كذلك ولم يظهر يوماً في حياته أن مصير الناس لا يعنيه، بل أظهر خلاف ذلك.

انهار الوضع الاقتصادي نتيجة عوامل عدة أهمها الحرب وتراكماتها لا سلوك المسؤولين. انهار بفعل ضرب البنية التحتية. إضافة إلى أن البلد كان ينفق من دون أن ينتج، أي أن الدولة كانت تنفق من دون أن تجبي أو تحصِّل. وفي هذه الحالة فإن الإفلاس هو النتيجة. بفعل الأزمة فقد الناس الثقة بالمسؤولين من كل النواحي. لم تكن هناك ثقة ولم تكن هناك خطة مالية معينة لطريقة الحفاظ على سعر صرف الليرة.

■ ماذا يحدث للوضع الاقتصادي إذا أفاق اللبنانيون واكتشفوا أن رفيق الحريري لم يعد رئيساً للحكومة؟

ـ لا أحب الإجابة عن هذا السؤال لئلا أقع في خطأ مادح نفسه. الأمر متروك للناس. أنا أرى أنني نجحت في مهمتي حين يجيء يوم لا يتغير فيه شيء، سواء كنت في السلطة أم لم أكن. هذا سأعدّه قمة النجاح لأنه سيعني أن وضع البلاد صار يرتكز على مؤسسات لا على أشخاص. ربما كنا في حاجة في مرحلة معينة إلى شخص يثق الناس بنزاهته ونظافة كفه وقدرته على إثارة مشاعر الثقة لدى الآخرين. والحمد لله الثقة بالوضع في لبنان تنمو وعود البلد يشتد. وبوضوح أقول: أنا أرى نفسي نجحت في مهمتي بصفتي رئيساً

للحكومة ومسؤولاً في الدولة، وإذا جاء وقت صار فيه الوضع في البلد يسمح بأن أكون خارج السلطة.

■ كم سنة تحتاج لتحقق هذا الهدف؟

ـ نحن نتقدم بلا شك بخطوات كبيرة.

■ دعنا نفترض لسبب ما أن الحكومة سقطت في اقتراع على الثقة أمام البرلمان، فماذا ستفعل؟

ـ فهمت قصدك، وجوابي هو أنني لا يمكن أن أقدم على أي عمل يلحق ضرراً بالبلد. أعتقد بأن لدي من الحس الوطني ما يكفي للتفريق بين العمل الوطني والعمل السياسي. إذا كان وجودي في المعارضة يخدم البلد أعارض أما إذا كان وجودي فيها يضر البلد فلن أدخل فيها. الواجب الوطني يحتم ذلك. نحن نجتاز مرحلة معينة تفرض على الجميع التكاتف. الوضع لا يسمح بطغيان الأنانيات وأسلوب وضع العصي في الدواليب.

■ نقاط قوتك معروفة فما هي نقطة ضعفك؟

ـ ... أنني غني. كون المرء غنياً أو وجود المال معه يعطيه هالة من جهة ويسهّل تشويه صورته من جهة أخرى. لقد أكرمني الله سبحانه وتعالى لكنني أحس مع الفقراء أكثر بكثير من بعض الفقراء أنفسهم. لكن حين يكون الإنسان صاحب ثروة من السهل التشكيك في كلام له من هذا النوع. لا تستطيع مثلاً اتهام الرئيس سليم الحص بأنه يريد أن يشتري البلد إذ معروف أن الرجل لا يملك أموالاً وبالتالي فالتهمة في غير محلها. أما بالنسبة إليّ فإذا قال شخص إن الحريري يريد شراء البلد فلا بد من جهد لإظهار أن

كلامه غير صحيح، والسبب بسيط هو وجود القدرة المالية وما تثيره لدى بعض الناس. المال إذاً نقطة قوة ونقطة ضعف في آن. فلأنني غني أجد نفسي مضطراً إلى أن أتنبه إلى أمور كثيرة، أكثر من غيري.

■ **هناك من يتحدث عن نقطة ضعف عندك اسمها حب الذات؟**

ـ عندي أنا؟ أعوذ بالله. بالعكس. بالعكس تماماً. لا أريد الخوض في التفاصيل. سبق أن قلت لك إنني لا أحب التحدث عن نفسي.

■ **في البلد نكات عن حكومتك وسياستك وقدرتك المالية، فإلى أي حد تستطيع احتمال النقد والنكات؟**

ـ لا تزعجني أبداً وإذا لم أعثر على من ينكت أتولى الأمر بنفسي.

■ **لا يزعجك أن تستيقظ صباحاً وترى رسماً كاريكاتورياً لاذعاً ضدك؟**

ـ على العكس، انشرح. هذه الأمور لا تؤثر فيَّ. أنا لا ألاحق تفاصيل الأمور المزعجة.

■ **هل أنت متسلط مع مستشاريك والعاملين معك؟**

ـ لا، أبداً.

■ **هل يستطيع من يذوق طعم السلطة احتمال العيش خارجها؟**

ـ ليست لدي هذه المشكلة.

■ التأثير في القرار شيء والجلوس في موقع القرار شيء آخر؟

ـ إنك تدفعني إلى الكلام في موضوع لا أحب الكلام فيه وهو لا يدخل بطبيعته في باب التواضع. ربما كنت من القلة القليلة في لبنان التي تنبع سلطتها من نفسها. هذا الكلام لا يحتوي على تواضع لكنه حقيقي ويعكس الحقيقة. ربما نتيجة تجربتي وظروفي الخاصة أوجدت لنفسي وضعاً وصورة. أنا خارج السلطة أملك حرية حركة أكبر بكثير مما أملك حين أكون فيها.

■ هل في سلوكك نقاط ضعف أخرى غير كونك صاحب ثروة؟

ـ ليس هناك من إنسان كامل، الكمال لربنا سبحانه وتعالى. أنا لا أدخن ولا أشرب الكحول ولا ألعب القمار. أنا رجل لدي بيتي وعائلتي وأولادي أحبهم وأحترمهم وأحب عملي. وأعامل أهلي بمحبة وعرفان. كلنا في النهاية تربينا على القيم الدينية سواء الإسلامية أو المسيحية، ونتيجة لهذه التربية نميز الأمور الصحيحة من الأمور السيئة. ربما ارتكبت هفوات وأخطاء.

■ إلى أي حد يزعجك وجود سياسيين ناجحين؟

ـ أعتقد بأن الله سبحانه وتعالى أكرمني بأمور عدة أهمها أنني لا أشعر بالغيرة من أحد. إذا وجدت من هو أغنى مني أفرح له. إذا اغتنى شخص أفرح له، وكذلك إذا رزق طفلاً أو طفلة. والأمر نفسه إذا رأيت شخصاً يرتدي بزة جميلة. والشعور ذاته ينتابني إذا رأيت شخصاً بستانه أفضل من بستاني. يمكن أن أحاول جعل بستاني كبستانه لكنني لا أتمنى أبداً أن يتدهور وضع بستانه. أن

تلبس مثلي أو أحسن، أو أن يكون منزلك أفضل من منزلي... هذا كله لا يزعجني فأنا ليس لدي هذا النوع من المشاعر. أعتقد بأن هذه النقطة بالذات هي أهم ما أكرمني الله به. أشعر بالتقدير لأي نجاح ينطلق من الجهد والعمل والمثابرة. الناجح عبر هذه الطريق يستحق نجاحه. على المرء أن يعمل لينجح بدل صرف الوقت في تمنيّ عدم نجاح الآخرين.

■ **ألا تراودك رغبة مثلاً في إحباط رئيس الحكومة إن لم تكن أنت رئيساً للحكومة؟**

ـ أبداً، وأرى في هذا السلوك جريمة. كما سبق أن قلت، إن طبيعة المرحلة التي يجتازها لبنان تحتم على الجميع تقديم مستلزمات العمل الوطني على مقتضيات العمل السياسي.

■ **ما هي الأسباب التي أدت إلى تكليفك تأليف الحكومة في ذلك الظرف، في ١٩٩٢؟**

ـ الظرف ذاته. أنت واحد من اللبنانيين. افترض أنني لم أكلف برئاسة الحكومة فماذا كان سيحصل؟

■ **المزيد من التدهور الاقتصادي.**

ـ نعم وليس فقط التدهور الاقتصادي بل ربما التدهور الاجتماعي والسياسي.

■ **ربما لهذا السبب يقول بعضهم إن مهمتك كانت «تطبيع» الوضع بعد انتخابات قاطعها فريق من اللبنانيين.**

ـ يتردد كلام من هذا النوع، وتعرف في السياسة في لبنان

التفسيرات كثيرة.

■ **ما هي قصة الأموال التي كانت ترسل إلى العماد ميشال عون يوم كان قائداً للجيش؟**

ـ هذا حدث في عهد الرئيس أمين الجميل. كانت «القوات اللبنانية» آنذاك قد بدأت باستقطاب عناصر من الجيش مستفيدة من تدهور الأوضاع المالية للعسكريين. وكانت لدى «القوات» إيرادات مالية بفعل الجبايات. حينذاك جرى كلام مع الرئيس الجميل وبعض المسؤولين وتوصلنا إلى اقتناع بأنه لا بد من مساعدة الجيش على اجتياز الأزمة لتفادي عملية استقطاب عناصره.

■ **حكي عن نصف مليون دولار شهرياً؟**

ـ أعتقد بأن الرقم كان في هذه الحدود أو أكثر قليلاً.

■ **كم استمرت هذه المساعدة؟**

ـ بين سنة وسنة ونيّف على ما أذكر. كانت هناك لجنة في الجيش تتولى توزيع هذه المساعدة. ولم أسمع أي شكوى بشأن التوزيع ولو كان هناك سوء تصرف لعرفنا. وقد توقفت هذه المساعدة فور قيام قصة الحكومتين.

■ **تردد أن هناك من عرض على العماد عون ٣٠ مليون دولار في حال موافقته على مغادرة قصر بعبدا، هل كانت لك علاقة بالعرض أو علمت به؟**

ـ إذا كنت تسأل هل كنت أنا مصدر العرض والمال فهذا غير صحيح ولا علم لي به.

■ متى التقيت ميشال عون؟

ـ مرة واحدة. كنت في بيروت ومررت على وزارة الدفاع أو القصر الجمهوري فالتقيته وسلّمت عليه.

■ هل أنت بارع في اختيار العاملين معك أم أن الصدمات كثيرة؟

ـ لا وجود لصدمات. الحمد لله معظم الذين يعملون معي تتوافر فيهم الشروط اللازمة. ربما لأنهم لم يأتوا فجأة. كان لدي الوقت لاختيار الناس ثم اختبارهم قبل تولّيهم المسؤوليات.

■ ما الأصعب؟ العثور على الكفاءة أم الأمانة؟

ـ الاثنتان، لكنني أعتقد بأن معظم الناس أمناء. حين تعامل الشخص معاملة حسنة وتعطيه بدلاً مجزياً يتمسك بالأمانة.

■ ألا تخاف من انهيار هذه الأمبراطورية؟

ـ لا.

■ ألا ينتابك شعور باحتمال حدوث ذلك كما هي حال أمبراطوريات مالية أخرى؟

ـ السبب في انهيارها هو التوسع من دون تعقل واستدانة مبالغ ضخمة. وليس هذا أسلوبي.

■ تقصد أسلوب المضاربة؟

ـ أنا محافظ بطبعي، وأولادي مثلي في العمل. اثنان منهم في

السعودية يشرفان على الأعمال. هناك مجالس إدارة وهم ليسوا الرقم واحد فيها.

■ هل تأتي بابنك فجأة فوق المدير صاحب الخبرة؟

ـ لا بد من التدرج، ولكن لنقل صراحة أن المديرين يعاملونهم معاملة خاصة لأنهم أولادي. هذا أمر لا أحبه لكنها طبيعة الأشياء. درسوا في أميركا وبدأوا العمل. أولادي ليسوا رؤساء مجلس إدارة وليسوا برتبة مدير عام، إنهم أعضاء في مجالس إدارة.

■ إلى أين وصلنا في المفاوضات مع إسرائيل؟

ـ إنها تتركز حالياً على المسار السوري ـ الإسرائيلي.

■ مفاوضات واشنطن العسكرية توحي كأن سنة ١٩٩٥ ستكون حاسمة؟

ـ قد تكون كذلك. على رغم أهمية التفاصيل فأنا مقتنع بأن السلام مرهون بجواب إسرائيل عن سؤال استراتيجي وهو ماذا تريد إسرائيل؟ هل تريد أن تكون دولة مسيطرة ومهيمنة في المنطقة أم تريد العيش بسلام في المنطقة؟ إذا كانت تشترط الهيمنة فلن يكون هناك سلام، أما إذا كانت تريد العيش بسلام فإن السلام يصبح في متناول اليد. في ضوء الإجابة تتحدد أمور كثيرة. إسرائيل الراغبة في الهيمنة ستفرض شروطاً لا يمكن قبولها، أما إذا كانت ترتضي العيش من دون هيمنة فيتحتم عليها الاعتراف بالهواجس الأمنية لدى الآخرين أيضاً. أعتقد بأنها لم تجب عن هذا السؤال.

■ لماذا فضّل لبنان الابتعاد عن التفاوض في انتظار النتائج؟

ـ يجب أن نعرف أن حجم المشاكل والمخاطر بين سورية وإسرائيل أكبر بكثير مما هو بين لبنان وإسرائيل. وهذا الفارق هو ما يجري البحث فيه، وحين يعالج يمكن حينئذ أن يمشي المساران معاً بسهولة أكبر.

■ ألم نتنازل عن حقنا في التفاوض لمصلحة التطابق مع الموقف السوري؟

ـ لنا مصلحة في ذلك، ورأيي في هذا الموضوع قديم.

■ يبدو أن القرار ٤٢٥ صار جزءاً من التاريخ؟

ـ لا، نحن ذهبنا إلى المفاوضات على أساسه.

■ لكننا ذهبنا إلى مدريد ولعملية مدريد قواعد أخرى؟

ـ نحن نفاوض من أجل انسحاب إسرائيل من جنوب لبنان. ثم نقول إننا جزء من المنطقة فإذا حل السلام نحن معه وإذا لم يحل السلام فلن ننفرد بالتوقيع عليه. ينص القرار ٤٢٥ على انسحاب إسرائيلي غير مشروط. نحن نطالب بهذا الانسحاب ونقول إننا جزء من المنطقة أي إننا لا نستبعد موضوع السلام مع إسرائيل إذا كان هناك سلام في المنطقة، ونقصد مع سورية لأن الآخرين أنجزوا ما اعتقدوا بأنه سلامهم.

■ إلى أي حد تستطيع الدولة اللبنانية أن تحمي قرار السلام؟

ـ تستطيع.

■ الحماية من مؤسساتها السياسية والأمنية أم من كون السلام سيحظى بغطاء سوري؟

ـ من الاثنين، وستكون للسلام قوة دفع. هذا أمر طبيعي.

■ هل ستتوقف المقاومة وسيمنع لبنان انطلاق عمليات عسكرية إذا انسحبت إسرائيل؟

ـ من دون شك. وهذا نقوله علناً.

■ هل هناك تفهم من جانب «حزب الله»؟

ـ إنهم لا يقولون عكس ذلك بل يدعون دائماً إلى انسحاب إسرائيل من الأراضي اللبنانية المحتلة.

■ إذا حاول بعضهم مقاومة التطبيع بالعنف؟

ـ لكل مرحلة صعوباتها وحلولها، ولا أعتقد بأن اللبنانيين يستعجلون التطبيع. فهم يعرفون مخاطره عليهم بالذات خصوصاً في المجال الاقتصادي.

■ إلى أي درجة تستعد سورية اقتصادياً لمرحلة السلام؟

ـ سورية تستعد. إنها مستمرة في برامجها الاقتصادية والاستثمارية وهي لا تستعد للسلام فقط، سورية تعدّ نفسها للصمود والسلام معاً، وهذا النهج أرسته حكومتنا في لبنان حين بدأنا ببرنامج اسمه الصمود والتحضير للسلام إذا حصل.

■ هل تتوقعون تحسناً في العلاقات مع الولايات المتحدة أو دفعاً جديداً لها؟

ـ نعم نتوقع تحسناً. نحن بلا شك حريصون على العلاقة مع الولايات المتحدة، وهي بدورها حريصة على علاقاتها مع لبنان الذي، على رغم صغر حجمه، له دور في تحقيق السلام وفي مرحلة ما بعد تحقيق السلام. هناك الآن مسألة الحظر. طبعاً نحن نتمنى أن يرفع، لكن عدم رفعه دفع اللبناني إلى نوع من التكيف. لذلك فإن الشركات التي تأتي إلى لبنان حالياً معظمها أوروبي.

■ هل بدأت حسابات انتخابات رئاسة الجمهورية تتداخل مع الاعتبارات الحكومية؟

ـ لا أعرف، ربما. بالنسبة إليّ أرى أن الحديث عن انتخابات الرئاسة مبكر جداً.

■ قيل إنك كنت وراء فكرة التمديد للرئيس الهراوي؟

ـ نواب كثر يتحدثون في الموضوع حالياً. الله يقدم الخير.

■ هناك كلام كثير في البلد عن الإعلام والحريات. ما هو موقفك؟

ـ أعتقد بأن لا ديموقراطية من دون إعلام حر. هذا أمر محسوم. المسألة هي أننا بلد ديموقراطي ويجب أن تكون لدينا قوانين تحمي الديموقراطية والإعلام وحرية المواطن كما هي الحال في أي بلد آخر في أوروبا أو أميركا. هذا موقفي. هناك أناس لا يريدون صدور القوانين وأنا كنت حريصاً على صدور قانون الإعلام المرئي والمسموع. مع تطبيقه ستستقيم الحياة الديموقراطية أكثر. حين طرح

الموضوع صوّر موقفنا كأنه ضد حرية الإعلام. مستحيل، نحن لا يمكن أن نكون ضد حرية الإعلام. أنا مع التنظيم وأن يتحمل كل إنسان مسؤولية ما يقول. حرية الرأي يجب أن تكون مصونة وكذلك حرية الكلمة. لكن يجب أن تصان كرامة الناس أيضاً. يجب ألا يستخدم الإعلام، تحت غطاء الحرية، لضرب مصالح البلد. القانون الذي صدر جاء في هذا الإطار. أما بالنسبة إلى الإعلام المكتوب فنحن عدلنا المرسوم الاشتراعي ١٠٤ بطلب من نقابتي الصحافة والمحررين. والنقيبان محمد البعلبكي وملحم كرم يشيدان بهذه الخطوة تماماً.

■ **لماذا لم تُصدر صحيفة؟**

ـ أنشأت التلفزيون والإذاعة قبل توليّ رئاسة الحكومة وبقيا في حكم الاستمرار. ولديّ امتياز لإصدار جريدة لكنني لا أفكر في ذلك حالياً وخلال وجودي في السلطة.

■ **هل تدربت على تحمّل النقد؟**

ـ وطدت نفسي على ذلك منذ البداية.

■ **هل صحيح أن لديك ميلاً طبيعياً إلى اعتبار أي انتقاد لك كأنه محاولة ابتزاز؟**

ـ لا ليس لدي مثل هذا الميل. أحياناً أعرف الشخص وإن كان الابتزاز هو هدفه. أنا لا أحب الأحكام المسبقة، وهذا ما أطلبه من الناس، أي البحث والتفكير قبل إصدار الأحكام.

■ **هل تعتقد بأن تجربتك مع الإعلام كانت ناجحة؟**

ـ لا. أعتقد بأنها ناجحة جداً. حدث تصوير غير صحيح لأمور عدة.

■ **إلى أي درجة تعتقد بأن اللبناني العادي عرف ماذا تريد وما هو مشروعك؟**

ـ لا أعتقد بأنه عرف كل مشروعي. ربما لم نشرح ما يكفي، والإعلام لم يبذل جهده للإيصال.

■ **هل تشعر بأن رصيدك الشعبي الآن أقل منه قبل سنتين؟**

ـ طبيعي أن يكون أقل. ممارسة السلطة تستنزف جزءاً من الرصيد وهذا معروف في الديموقراطيات، لكنه ليس أقل بكثير. «نصف الناس أعداء لمن ولِّي الأحكام هذا إن عدل». أنا أعتقد بأن الأعداء لم يصلوا بعد إلى نصف الناس.

■ **أنت الآن في الحكم بتفويض نيابي، ألا تراودك رغبة في الحصول على تفويض مباشر من الناس أي خوض الانتخابات النيابية؟**

ـ يمكن أن أخوض الانتخابات النيابية.

■ **أين؟**

ـ في أي مكان في لبنان. لا أعتقد بأن لدي مشكلة. أستطيع خوضها في الجنوب أو بيروت أو الشمال.

■ **هل تتضمن العلاقة الوثيقة مع الرئيس صائب سلام**

بعداً انتخابياً؟

ـ لا، إنها سابقة وقديمة وهي تقوم على الاحترام المتبادل والمحبة. العلاقات المبنية على الحسابات الانتخابية تمر في صعود وهبوط. مع الرئيس سلام العلاقة مختلفة.

■ **هل ستكون رئيساً لكتلة نيابية؟**

ـ لننتظر، لكنني حتماً سأخوض الانتخابات.

■ **هل تتجه إلى تأليف حزب أو تجمع؟**

ـ لا. لكن الفكرة قابلة للنقاش.

■ **متى فكرت في خوض تجربة العمل السياسي؟**

ـ لم أفكر في أي وقت في العمل السياسي بالمعنى الحرفي للكلمة. اهتمامي في الشأن العام قديم لكنه كان يتخذ وجهاً اجتماعياً أكثر من أي وجه آخر.

ذهبت إلى السعودية في الستينيات بغية العمل ومواجهة ما ترتب عليّ من مسؤوليات عائلية. عملت هناك واستلزم الأمر بضع سنوات كي أتمكن من الوقوف على قدميّ. كانت علينا ديون سددتها. رتبت وضع أهلي. وكانت هناك مدرسة تعلمت فيها في صيدا وهي مدرسة فيصل وأبلغوني أنهم يريدون إعادة إعمارها فدفعت مبلغاً لم أعد أذكر إن كان ٣٥٠ ألف ليرة أو ٣٥٠ ألف دولار، لكنني أذكر أنه كان نصف المبلغ الذي كان معي. وفتحت هذه الخطوة أمامي آفاق العمل الاجتماعي ووقفت على حاجة مجتمعنا للخدمة العامة ودورنا في هذا السبيل. ووفقت بمشيئة الله

في إنشاء مؤسسة لدعم دراسة الطلاب وإيفادهم للتحصيل. وهي بدأت متواضعة قبل أن تبلغ الشأن الذي بلغته في السنوات الأخيرة.

ثم فكرت في إنشاء مدينة جامعية بهدف مساعدة اللبنانيين من مختلف المناطق والطوائف على التحصيل الجامعي العالي. ووقع الخيار على منطقة كفرفالوس (شرق صيدا). كانت تكلفة المشروع نحو ٣٠٠ مليون دولار. بدأت بالعمل. والمشروع عبارة عن مستشفى وجامعة ومدرسة تمريض ومجمع مدارس مهنية نموذجية هو الأول من نوعه ومساكن للأساتذة والبنية التحتية والتجهيزات. شيّدنا المستشفى وانتهينا منه وبدأنا العمل في الجامعة والمدرسة وكذلك مدرسة التمريض. وكان قيد البناء القسم المخصص لإقامة الأساتذة والأطباء وتكملة المدرسة المهنية وبعض المباني الأخرى. صرفنا على المشروع ١٥٠ مليون دولار أو ما يزيد قليلاً.

المستشفى بدأ العمل فعلياً وضم نحو ألف موظف من أبناء المنطقة. حدث الاجتياح الإسرائيلي وكان من أهدافه المدينة الجامعية بكل أنشطتها. سرقت قوات الاحتلال المعدات وخربت المنشآت وقطعت أشجار النخيل المزروعة في المنطقة. في أي حال كانت الأمراض الطائفية والمذهبية متفاقمة في تلك المرحلة وبرزت على السطح وكان هناك من يتابع عملية التهييج والإثارة. بقي المشروع لكن ظروف الاحتلال معروفة.

حينذاك رحت أفكر كيف يمكنني المساعدة. ورأيت أن الواجب يقتضي مساعدة أولئك الطلاب الذين يتعذر عليهم متابعة دروسهم لأسباب مالية أو أمنية، فقررنا توسيع مؤسسة الحريري وبدأنا بإرسال آلاف الطلاب إلى الخارج. في العام ١٩٨٣ تشكلت لدي قناعة أن

مشاريع الإعمار ومعها إيفاد الطلاب لن تكون كافية ما لم يتم التوصل إلى حل للمشكلة العامة في البلاد، ففي غياب حل من هذا النوع سيبدو أي جهد، مهما كان كبيراً، كأنه نوع من النسيج في الهواء.

في ١٩٨٣ بدأ القتال وكان اتفاق ١٧ أيار (مايو) اللبناني ـ الإسرائيلي هو الموضوع المطروح. ونتيجة لوجودي في المملكة العربية السعودية وقربي من الملك فهد بن عبدالعزيز بدأت أتدخل في محاولة للبحث عن حل وليس بغرض تعاطي السياسة. أنا فرقت دائماً بين العمل السياسي والعمل الوطني. في العمل السياسي يجب أن تكون جزءاً من اللاعبين في الساحة. سعيت دائماً لئلا أكون طرفاً في هذا المعنى، وحافظت على علاقاتي مع كل الأطراف. ورأيت أن موقفي هذا يمكن أن يخدم الحل ويساهم في إنجاحه. كانت لي علاقات بكل أطراف الصراع والقتال. كنت ألتقي وليد جنبلاط وأمين الجميل وإيلي حبيقة ونبيه بري طبعاً، إضافة إلى صائب سلام وسائر الشخصيات المعنية. لم أقطع اتصالاتي بأحد. في أحلك الظروف أبقيت قنوات الحوار مفتوحة.

شعرت في تلك المرحلة بأن اتفاق ١٧ أيار لا يمكن أن يمر. والواقع أنه لو أبرم لأدى إلى تحطيم البلد تماماً، فمجرد التوقيع أدى إلى تخريب الوضع فماذا يمكن أن تكون عليه الحال لو أبرم؟ في هذا المعنى كنت من الناس الذين أدوا دوراً أساسياً في تجنيب البلد الكارثة الكاملة. وقد حملت ورقة إلغاء الاتفاق من الرئيس أمين الجميل ونقلتها إلى دمشق. وتوصلنا إلى وقف لإطلاق النار وحضرنا لاجتماعي جنيف ولوزان.

أذكر في تلك المرحلة أن السفير الأميركي في دمشق كان بيغانيللي. زارني وكان الأسطول الأميركي لا يزال موجوداً وسألني عن رأيي، فقلت له إنني لا أعتقد بأن لبنان سيبرم صلحاً مع إسرائيل ما لم يكن في إطار تسوية شاملة أساسها سورية. الكلام الذي قاله أحد زعماء إسرائيل موشي شاريت عن أن لبنان هو البلد الثاني الذي سيقيم سلاماً مع إسرائيل وأن البحث يدور على البلد الأول، هذا الكلام غير صحيح، ولبنان لا يمكنه أن يتحرك في أي شكل من أشكال التسوية بمعزل عن سورية.

استغرب السفير كلامي وقال: أنت ترى إذاً أن سياستنا خطأ، فقلت له: نعم، وأكدت أن لبنان لن يعقد صلحاً مع إسرائيل بمفرده. ربما كان من الأفضل أن يكون لبنان آخر دولة عربية تعقد صلحاً مع إسرائيل. لكن إذا حصل صلح سوري ـ إسرائيلي فإن لبنان يمكن أن يكون في المرحلة التالية.

في تلك المرحلة كان من الصعب على الأميركيين تصديق مثل هذا الكلام، فقد ألقوا بثقلهم في العملية والمفاوضات جارية. رأيت أن الصلح اللبناني ـ الإسرائيلي بمعزل عن سورية هو نوع من الانتحار. فهذا الصلح يمس مباشرة المصالح القومية لسورية، ولن يقبل به أي حكم أو أي نظام في سورية، كما لن ينجح في تحقيقه أي حكم في لبنان.

التقيت الرئيس الجميل وتناقشنا في الموضوع استكمالاً لنقاشات عدة سابقة. واتخذ الرئيس الجميل قراراً بإلغاء اتفاق ١٧ أيار ووضعنا صيغة الإلغاء. كان الأمير بندر بن سلطان في دمشق وكان أبو جمال (السيد عبدالحليم خدام نائب الرئيس السوري) ينتظر.

ورافقت قصة إلغاء اتفاق ١٧ أيار حادثة طريفة: حين حصلت على ورقة الإلغاء من الرئيس الجميل وكان من المهم نقلها سريعاً إلى دمشق، كان عليّ الانتقال إلى قبرص لأستقل الطائرة من هناك إلى دمشق. لم تكن لدى الجيش اللبناني طائرة هليكوبتر قادرة على التحليق ليلاً. سألت الرئيس الجميل الاتصال بالسفير الأميركي ريجينالد بارثولوميو والبحث معه في إمكان توفير هليكوبتر أميركية. بعدها زارني بارثولوميو وقال ضاحكاً: «تحمل معك ورقة إلغاء ١٧ أيار وتريد الذهاب في طائرة أميركية. رحلة من هذا النوع قد تكلفني منصبي»! وقال السفير إن الطائرات مشغولة. فركبت في سيارة وذهب معي جان عبيد، وطلبت من قائد طائرتي الذهاب إلى دمشق. تأخرت في الطريق ووصلت الطائرة قبلنا فقلق الإخوان في دمشق. بعد ذلك عقد اجتماع بين الرئيس الجميل والمسؤولين السوريين.

أريد أن أقول إنه تكوّنت لديّ قناعة بوجوب العمل من أجل إيجاد حل للأزمة في لبنان بعيداً عن القتال. كنت دائماً مقتنعاً بأن القتال سيؤدي في المحصلة النهائية إلى الجلوس حول الطاولة للتفاوض، وواضح أن من الأفضل أن يبحث الناس عن حلول لمشكلاتهم اعتماداً على عقولهم بدل المراهنة في البداية على العضلات، ثم الانتقال إلى مرحلة العقل والحوار، لكن بعد ويلات الحرب وخسائرها. المؤسف أنه كان لدى الجميع ميل إلى اختبار العضلات قبل اختبار العقل. وهكذا استخدموا عضلاتهم إلى أقصى حد ثم اضطروا إلى استخدام العقل.

■ **هل نقدر أن نقول إن ثمة برنامجاً كان لديك؟**

ـ الواقع أن العملية مبنية على بديهيات. تعوّد اللبنانيون، ويا للأسف، عدم رؤية البديهيات. اعتقد بأن البديهيات مسألة أساسية في حياة الأوطان كما في حياة الأفراد. سأعطيك مثلاً: كثيرون يعطون تفسيرات لأسباب نجاحي الشخصي. أنا أعتقد بأنني نجحت لأسباب بسيطة تعلمناها كلنا في المدرسة لكنني طبقتها. حاولت أن أكون صادقاً مع الناس وأن أفي بالالتزامات في مواعيدها، وإذا استدنت من شخص أعيد إليه أمواله. وإذا قلت أو وعدت أفي بما وعدت به. إنها مجرد بديهيات بسيطة لكنها قيم إذا اتبعها المرء وعمل بها لا يمكن إلا أن تقوده إلى النجاح. مع الوقت يبني المرء صدقية توفر له النجاح. ليس هناك دين إلا ويعلم الصدق ويوصي به، والأمر نفسه بالنسبة إلى الوفاء بالالتزامات والابتعاد عن السرقة والكذب. أنا أعتقد بأن هذه البديهيات كانت أحد أهم أسباب نجاحي.

■ **لكن هناك من يلتزم هذه البديهيات ولا ينجح أو لا ينجح إلى هذا الحد؟**

ـ تقصد الإشارة إلى الفرص وهذا صحيح. لكن، هناك أناس تأتيهم الفرص وتضيع لابتعادهم عن تلك البديهيات.

■ **ما دور الحظ في نجاحك؟**

ـ هناك جزء بلا شك اسمه الحظ، غير أن الحظ يأتيك مرة أو اثنتين أو ثلاثاً وعليك أن تتخذ قرارات عند مفترقات رئيسة. مثلاً أنا جاءتني فرصة أن أتعرف إلى بعض الناس لأبني مشروعاً معيناً. كان أمامي ـ والمشروع بين ٤٠٠ و٥٠٠ مليون ريال ـ خيار من اثنين: إما إنجاز المشروع كيفما اتفق وأربح نحو مئتي مليون وإما أن أنجزه

بإتقان وأربح نحو خمسين مليوناً. هذا قرار أساسي بالنسبة إلى شخص لا يملك ثروة. ليس بسيطاً أن تترك ١٥٠ مليوناً من أجل تحسين نوعية العمل الذي تقوم به. أنا فضلت القرار الثاني أي الحصول على الخمسين مع سمعة جيدة تسمح لي بالحصول على مشروع ثان. وهكذا كان. هل الأمر حظ أم أخلاق أم ذكاء؟ أنا أعتقد بأنها أسباب عدة مجتمعة.

■ أريد العودة إلى ما قبل النجاح، أي إلى قبل سفرك إلى السعودية وفي تلك الأجواء العروبية التي كانت قائمة في صيدا. بماذا كنت تحلم وماذا كنت تريد أن تكون؟

ـ لم أحلم في حياتي بأن أكون رئيساً للوزراء، ولم أحلم بأن أصبح صاحب ثروة. أنا دائماً بين المزح والجد أقول أنا لست غنياً بالمعنى الشائع وإن كنت أملك أموالاً.

■ ألم تحلم بأن تصبح صاحب ثروة؟

ـ أبداً. لم يخطر ببالي ذلك ولو مرة واحدة. أنا الآن بعد عشرين سنة من الغنى، لا أصدق أحياناً أنني صرت صاحب ثروة.

■ يقال إنك كنت من الشبان المهتمين بأحداث من نوع الانفصال في الوحدة المصرية ــ السورية؟

ـ مثل الشباب الذين كانوا يحبون الوحدة ولا يعرفون ما الذي جرى، لا كيف تم الاتحاد ولا كيف وقع الانفصال ولا الانعكاسات. حين حدثت الوحدة في ١٩٥٨ كان عمري ١٤ سنة. وحين فرطت الوحدة كان عمري ١٧ سنة. هل تتوقع من شاب في هذا العمر أن يكون لديه فكر سياسي واضح؟ لكنني مثل

أي شاب عربي يحب رؤية الأمة العربية موحدة ويتأثر لرؤيتها مفككة، حين يعرف لاحقاً التفاصيل والأخطاء التي حصلت يبدأ بقراءة الأمور من منظور آخر.

■ **هناك كلام شائع وهو أن الذي يمتلك السلطة يريد المال والذي يمتلك المال يريد السلطة. هل قصدت فعلاً أنك لم تحلم بهذا ولم تطالب بتلك؟**

ـ أنا لم أسع كي أصبح غنياً، ولأنني كذلك أنا فخور بكل قرش حصلته. هناك الكثير من الخطورة في سعي بعض الأشخاص إلى الغنى من أجل الغنى في حد ذاته، لأن هؤلاء يسقطون أحياناً في لعبة الغنى بكل الطرق والوسائل. أنا تركت بلايين الدولارات ورفضت الاقتراب منها لشعوري بأن الحصول عليها يستلزم طرقاً غير سليمة. أنا الحمد لله أرى أن ربنا سبحانه وتعالى أكرمني لا بالمال بل بالطريقة التي حصلت فيها على المال اكثر من المال نفسه. وأكرمني أكثر حين جعلني بعيداً عن الجشع الذي يسقط المرء في لعبة الحصول على المال بكل الطرق، بغض النظر عن استقامتها.

بعدما حصلت على مليون وعشرة ثم مئة ثم مئتين وصلت إلى الوضع الذي تنفتح فيه أمام المرء أبواب عدة لجمع المال. أنا لا أشير هنا لا سمح الله إلى الممنوعات، إنما أتحدث عن وسائل أخرى، وهناك في عالم المال والأعمال وسائل كثيرة. قراري كان أن أكسب أموالاً بعرق جبيني. أن أتعب وأعمّر. أحب مسألة البناء. ولنقل إنها أكثر من حب، إنها نوع من الغرام. فكرة البناء تستهويني.

طبعاً كنت أريد أن أبني وأن أربح. إنه الربح الحلال في مفهوم كل

الناس وفي مفهوم كل الأديان أيضاً. الربح يجب أن يكون مشروعاً وأن يكون ثمرة العمل والإتقان. أنا كما يقولون أحب الخرائط أكثر من أي شيء آخر. الخرائط وعد بالبناء. والبناء ليس مسألة اقتصادية فحسب، إنه مسألة اقتصادية واجتماعية وإنسانية أيضاً. فكرة البناء هي نقيض الخراب والفوضى. إنها فكرة السباق مع الوقت أيضاً.

■ ألا يسقط صاحب الثروة في إغراء العيش البعيد والسهل كأن تعيش في باريس مثلاً بعيداً عن الهموم هنا؟

ـ لهذا السبب قلت لك إنني أرى أن لدي أموالاً لكنني لست غنياً. قصدت الصورة الشائعة عن الأغنياء والمواصفات المعروفة. لقد أكرمني الله وأعطاني المال لكنني لم ارَ المال يوماً هدفاً في حد ذاته، بمعنى أن أركض أكثر لتحصيل المزيد من المال. أرجو ألا يمثّل كلامي إزعاجاً لأحد لكنني أعتقد بأن كثيرين من أصحاب الأموال يحصلون الثروة للانتماء إلى نواد معينة. مثلاً شخص يملك أموالاً ويحب أن يكون الأغنى في بلدته ثم في مدينته. ويسعى إلى الانتقال من ناد إلى ناد أكبر، أي أن يصبح الأغنى في بلاده ثم في المنطقة. الشخص نفسه يصبح واحداً من الألف في لبنان ثم يطمح إلى أن يكون واحداً من ٥٠٠، أي نادي الخمسمئة تدرّجاً إلى نادي المئة. هذه اللعبة تدخل المرء في سباق لا ينتهي.

إذا أصبحت الأغنى في لبنان تبدأ بالالتفات إلى المنطقة. أي أنك تخرج من سباق لتدخل في آخر قد يكون أشد صعوبة. أي أن المرء يدخل في دائرة أكبر ويلهث من جديد. أنا لم أفكر مرة بهذه الطريقة. ربما وصلت من دون أن تكون المسألة حلماً أو هاجساً. أقرأ أحياناً في الصحف أنني واحد من المئة الأكثر ثراء في العالم. لا

مشكلة عندي ـ وأقولها بصدق ـ لو كنت واحداً من المئتين أو الخمسمئة. ولا مشكلة لدي حتى وإن لم أكن موجوداً في هذه الدوائر. الانتماء إلى هذه النوادي لا يشغلني ولا يقلقني فأنا لا أبحث عن موقع في هذه النوادي أو التصنيفات. لدي ما يكفيني ويكفي عائلتي وأنا أعيش بكرامتي ولست مضطراً إلى القيام بأعمال لا يرضى عنها ضميري في مجال كسب الأموال.

لا يجوز للناجح أن يتحول أسيراً لنجاحه ولا يجوز لمن حصل على المال أن يصبح محكوماً بمنطق المال. يجب أن تبقى للناجح حصانة تتشكل من قيم إنسانية ووطنية وخلقية. يجب ألا يكون المال ممراً للاستقالة من الجذور بمعنى أن تحصّل المال وتبتعد لتنفقه. أعتقد بأن العكس يجب أن يحصل، أي أن يذكّر المال صاحبه بجذوره وواجباته تجاه أهله وبلده.

■ عندما قررت إيفاد آلاف الطلاب لتحصيل العلم هل كان قرارك جزءاً من مشروع لإحداث توازنات جديدة أم مقدمة لمشروع سياسي؟

ـ اعتقدت دائماً بأن وصول البلاد إلى مستوى تعليمي وثقافي معين يسهّل التفاهم بين اللبنانيين لأنه يسهل الحوار والانفتاح. هذا لا يكفي طبعاً، إذ لا بد في موازاة ذلك، من تربية وطنية. لا يكفي أن تخرج مجموعة مهندسين من مختلف الطوائف لتجعل منهم شعباً واحداً. الأمر يساهم بلا شك في ذلك، لكن دور التربية الوطنية جوهري. إضافة إلى أن رفع المستوى العلمي يضاعف ثروة لبنان الإنسانية وقدرات اللبنانيين الاقتصادية أيضاً.

فكرة إيفاد الطلاب فكرة عزيزة على قلبي والأكثر مدعاة للفخر في

حياتي كلها. أنا لم أتعلم بسهولة في أي مرحلة من مراحل حياتي الدراسية. وشعرت دائماً بضرورة توفير الفرص. أولاً أريد أن أوضح أن الطلاب الذين أوفدوا هم من انتماءات مختلفة ومناطق مختلفة وأنا لا أعرف الغالبية الساحقة منهم. يحدث في بعض الأحيان أن يقترب مني شخص ويقول لي إن ولديه أفادا من المنح وأصبح الأول طبيباً والثاني مهندساً. وأنا لا أعرف لا الأب ولا الأبناء. كما يحدث أن يقترب مني شاب ويبلغني أنه تخرج من جامعة محترمة مستفيداً من منحة. هذا يحدث أسبوعياً أو مرتين في الشهر. إنه يحدث داخل لبنان وخارجه.

■ ما هو أهم ما حدث في جنيف ولوزان؟ وهل كان الدور الذي قمت به بالتشاور مع الأميركيين والسوريين أم مع السوريين وحدهم؟

ـ أكثر شيء مع السوريين في الحقيقة.

■ كيف كانت بداية العلاقة مع السوريين؟

ـ بداية العلاقة مع السوريين في أوائل ١٩٨٣. وكان هدف الاتصالات العمل على وقف إطلاق النار في لبنان. أنا لم أتصور يوماً أن المشاكل القائمة بين اللبنانيين لا يمكن حلها إلا من طريق القوة. اليوم لم نعد نحتاج إلى دليل على حجم الضرر الذي يلحقه بالبلاد اقتتال أبنائها واحتكامهم إلى السلاح. مسألةِ من بدأ ومن يتحمل المسؤولية مسألة أخرى. ربما باتت هناك اليوم قناعة عامة بعدم جدوى استخدام السلاح وأسلوب القوة. لكن هذه القناعة لم تكن موجودة في بداية الثمانينيات، أو على الأقل لم تكن لها الغلبة.

الحقيقة أنه منذ تلك الأيام كانت لدي قناعة ثابتة بأن اللبنانيين يجب أن يجلسوا حول طاولة وأن يتناقشوا سعياً إلى حلول أياً كان حجم التعقيدات. فكرة إلغاء الآخر أو شطبه غير ممكنة في لبنان وغير جائزة. الأفضل فتح الدفاتر حول الطاولة بدل تبادل الرسائل عبر الصواريخ والضحايا. ولو عدنا إلى الذاكرة لوجدنا أن القذائف كانت تقتل في غالب الأحيان المدنيين، أي غير المحاربين، وتدمر بيوت الناس وأرزاقهم. حين عقد لقاء جنيف في فندق الانتركونتيننتال انتابتني قشعريرة وأنا أرى القادة اللبنانيين المشاركين يتوافدون، خصوصاً حين تصافح الرئيس اللبناني الراحل سليمان فرنجية مع الرئيس أمين الجميل. كنت واقفاً مع أبو جمال. كادت عيني أن تدمع. ماذا كان يمكن أن يجمعهم؟

قبل حرب الجبل عقد في منزلي في باريس اجتماع حضره فرنسوا دوغروسوفر والوزير وليد جنبلاط والوزير مروان حمادة والوزير الراحل خالد جنبلاط وروبرت مكفارلين ووديع حداد (مستشار الرئيس أمين الجميل). لم ينجح هذا الاجتماع الذي عقد قبل أيام من اندلاع الحرب في الجبل. كانت محاولة أرادها الجميع، الأميركيون والسعوديون والسوريون.

لم نخرج يومذاك باقتناع بأن الرئيس الجميل كان يبحث فعلاً عن حل. كان الحوار يدور بين عقليتين. كان وليد جنبلاط متضايقاً من صعود الكتائب أو القوات إلى الجبل في عهد بشير (الجميل). وكان يعبر بذلك عن مشاعر الدروز بكل فئاتهم. وكان الرئيس الجميل في المقابل يرى أن من حق الجيش الصعود إلى الجبل. الصراع كان بين فكرين: الأول يريد تركيز الحكم في يد رئيس الجمهورية بالقوة، والثاني يريد المشاركة في السلطة على الطريقة الحالية. كان الرئيس

الجميل يقول دائماً أنا أمين الجميل ابن بيار الجميل رئيس حزب الكتائب لا يمكن أن أتخلى عن السلطات المعطاة لرئيس الجمهورية. وأعتقد بأنه نفذ ذلك حتى آخر يوم من عهده. لكن النتيجة كانت تدمير البلاد، وحتى في نهاية عهده لم يكن يحكم خارج قصر بعبدا.

في الجانب الثاني كان وليد بك والقوى الوطنية ـ وكانت سورية تدعم هذا التوجه ـ يركزون على مسألتين: مسألة الصلح مع إسرائيل الذي كان مغلفاً باتفاق أمني هو اتفاق ١٧ أيار، وهو في حقيقته اتفاق إذعان، ويشكل خطراً على المصالح القومية لسورية ولبنان. وشعرت آنذاك بأن سورية لا يمكن أن تقبل باتفاق ١٧ أيار وكل عاقل في العالم العربي كان يعرف أنها لن تقبل. وكانت هناك أطراف لبنانية ترفض هذا الاتفاق لأنها رأته مضراً بمصالح لبنان وسورية معاً. يضاف إلى ذلك أن طريقة الحكم التي أوصلت بشير الجميل وبعده شقيقه أمين كانت تدفع البلد في اتجاه سيطرة الفرد أي سيطرة رئيس الجمهورية وحده. وهو ما لا يستطيع بلد ديموقراطي احتماله. كل هذه العوامل أدت إلى هذه الكمية من الحروب.

لو عدت بالذاكرة أستطيع القول إن الرئيس الجميل كان، لأنه ابن بيار الجميل والرئيس الفعلي لحزب الكتائب، الأقدر على الجلوس إلى الطاولة لإعادة ص دستور للبلاد يؤدي إلى ما نحن عليه، ومن دون المرور بتجربة تحطيم البلد. ومن جهة ثانية فإن الاتفاق بين لبنان وإسرائيل آنذاك، أي قبل ١٢ سنة، كان محكوماً بالسقوط. كانت الظروف مختلفة عما هي عليه الآن. أي أن إسرائيل كانت تحارب من أجل الدخول إلى العالم العربي، فيما كان من شأن

الاتفاق عزل لبنان عن العالم العربي عزلة ليست في مصلحة اللبنانيين وليست بالتأكيد في مصلحة المسيحيين. كان هناك خطأ في قراءة الوضع السياسي العام في المنطقة وفي فهمه.

■ متى التقيت الرئيس الجميل للمرة الأولى؟

ـ المرة الأولى التي رأيت فيها الرئيس أمين الجميل كانت بالمصادفة في موقف للسيارات في باريس وكان معه شخص، وكان ذلك قبل انتخابه رئيساً بفترة قصيرة. ثم حدثت اتصالات قبل انتخاب شقيقه بشير. أنا كنت ضد انتخاب بشير رئيساً للجمهورية لاقتناعي بأن البلد لا يتحمل.

■ البلد لا يتحمل بشير الجميل أم لا يتحمل الأقوياء؟

ـ لا. ليس هناك بلد يحكمه الضعفاء. الحكم يحتاج إلى أقوياء. التوهم بأن الضعفاء أفضل تضليل. هذا الكلام على أن البلد لا يتحمل أقوياء غير مقبول. الحكم يحتاج إلى أقوياء. البلد يجب أن يحكم بطريقة يشعر معها اللبنانيون بأنهم ممثلون عبر الرؤساء. رئيس الجمهورية بحسب التركيبة المعمول بها حتى الآن يجب أن يكون مسيحياً مارونياً، إلى أن يقسم اليمين الدستورية، ومنذ تلك اللحظة عليه أن يخلع ثوب مارونيته وأن يرتدي ثوب الوطنية والوطن. وبحسب التركيبة فإن رئيس مجلس الوزراء مسلم سني وعليه بمجرد توليه منصبه أن يخلع ثوب الطائفة لارتداء ثوب الوطن. والأمر نفسه بالنسبة إلى رئيس مجلس النواب، وهو بحسب التركيبة مسلم شيعي، إذ عليه أن يخلع ثوب الطائفة فور انتخابه ليرتدي ثوب الوطن.

المصيبة هي أن يبقى أحد الثلاثة مرتدياً ثوب الطائفة في الوقت

الذي يتولى مسؤوليات عن كل الوطن. هذا من أصعب الأمور ولا تتصوره سهلاً. خروج المسؤول من ثوب الطائفة إلى ثوب الوطن يجعل مختلف اللبنانيين يشعرون بأنه ممثلهم. وهذه المسألة في لبنان صعبة ودقيقة وتحتاج إلى صيانة مستمرة من كل المسؤولين. على المسؤول أن يظهر باستمرار أنه ميزان وليس طرفاً.

■ أنت تقصد التعاطي داخل التركيبة اللبنانية.. كيف يمكن المسؤول تخطي حدود طائفته؟

ـ هذه المسألة معقدة وتحتاج إلى قدر كبير من الحكمة وإلى الكثير من التعقل وسعة الصدر وإلى صون مستمر. ربما كان من السهل التلاعب بمشاعر الناس وإثارة عصبياتهم خصوصاً في أوقات التوتر. وربما أدى مثل هذا العزف على أوتار العصبيات إلى كسب شعبية في أوقات معينة، لكن الأكيد هو أن هذا الكسب الشخصي يشكل خسارة للوطن. التركيبة اللبنانية تحتاج إلى المعتدلين والمتعقلين، وهؤلاء ليسوا في الضرورة ضعفاء. في فترات الانهيار يبدو كأن القوي هو القوي على الدولة أو على منطقها ومنطق المؤسسات. القوة الحقيقية يجب أن تنبع من ثقة الناس والانسجام مع تطلعهم إلى دولة عادلة وقادرة. والاقتراب من فكرة الدولة هذه يوسع التفويض المعطى للمسؤول ويمكّنه من مخاطبة عقول كل المواطنين وضمائرهم.

■ بدت العلاقة بينك وبين أمين الجميل معقدة كأنها بين مد وجزر؟

ـ كل هذه الفترة كنت أتعاطى مع أمين الجميل كرئيس

للجمهورية. كان موجوداً ولا يمكن تجاهله. ثم إنني كنت أتعاطى مع أطراف النزاع، أي مع الذين كانوا يتقاتلون، فهل يعقل ألا تتعاطى مع رئيس الجمهورية؟ لم أرضَ أن أضع نفسي في وضع القطيعة مع هذا الشخص أو ذاك، لأن القطيعة لا تخدم الجهود المبذولة من أجل تعزيز الحوار. هذا كان أسلوبي في الماضي وهو أسلوبي أيضاً بعد تولّيَّ رئاسة الحكومة. لم أغير أسلوب التعاطي مع الجميع.

■ تردد أنك كنت مهتماً بالحصول على استقالة أمين الجميل في الفترة الأخيرة ونقلت روايات عن هذا الموضوع؟

ـ لا داعي للرد على روايات لا تستحق الرد عليها. لكن الحقيقة هي أن أمين الجميل قال لي مرات عدة إنه راغب في الاستقالة. وكتب في لقاء لوزان استقالته وقرأها أمام المجتمعين.

■ ولم يقبلوها؟

ـ (يضحك) ماشي الحال.

■ ما هي قصة لقاء جنيف؟

ـ كنت أسعى في الواقع إلى ترتيب وقف لإطلاق النار. وكان لا بد من أساس ما لوقف المواجهة. واتفقت بيروت ودمشق على أن يبدأ حوار بين اللبنانيين. الاتفاق على الأشخاص الذين سيشاركون في الحوار استدعى وقتاً. طرحت أسماء كثيرة، واتفق في النهاية على الأسماء التي شاركت وكان الوحيد الذي دعي وغاب هو العميد ريمون إده.

بعد عقدة الأسماء برزت عقدة المكان. أين سيُجرى الحوار؟ طرحت اقتراحات عدة وغريبة. ثمة من قال بوجوب التحاور على ظهر باخرة في عرض البحر. واقترح آخرون عقد الجلسات في المطار واقترحت أماكن أخرى ورفضت. خطر في بالي أن جنيف قد تكون مكاناً مناسباً. قبل بعضهم الفكرة واستغرب آخرون وتحفظ فريق ثالث وانتقد. وهناك من تخوف من أن يكون اختيار جنيف إشارة إلى نقل فكرة الكانتونات إلى لبنان ولم يكن لهذا التخوف من أساس بتاتاً. الحقيقة أن الفكرة كانت إبعاد المتحاورين عن مسرح المواجهة التي كانت دائرة بينهم، لأن الجلوس في لبنان في الظروف التي كانت سائدة قد يضاعف التوتر أو الضغوط أو يغري باتخاذ مواقف إعلامية، فيما المطلوب الشروع في حوار جدي.

طبعاً لم يكن متوقعاً أن يكون للقاء جنيف أثر سحري في مسار الأزمة. كانت المواجهة شديدة والحساسيات في أقصاها والشكوك كبيرة. وفي ضوء الواقع آنذاك، كان مجرد اللقاء إنجازاً. بمعنى أن مجرد اجتماع المتقاتلين والمتخاصمين يؤدي إلى ترجيح كفة البحث عن حل عبر الحوار. لم ينجح مؤتمر جنيف، وربما لم تكن الظروف ناضجة لتسجيل مثل هذا النجاح. اليوم الأول في جنيف كان حافلاً بالتشنج والحذر، لكن مع الجهود التي رافقت المؤتمر تصافح المشاركون وتناقشوا ووصلوا إلى حد تبادل النكات.

وعلى رغم عدم ظهور نتائج، فإنني أرى أن ذلك اللقاء كان بداية البحث عن حل. بدل التقاتل من وراء المتاريس التقت الأطراف حول طاولة. وبدل محاولات الحسم بدأت محاولة للتوصل إلى تسوية. وبدل لغة الانتصار ظهرت لغة البحث عن حل. وشارك في

اللقاء إضافة إلى المتحاورين اللبنانيين، الوزير عبدالحليم خدام من سورية والوزير محمد ابراهيم مسعود من المملكة العربية السعودية. وتركز البحث في جنيف على نقطة وحيدة هي إلغاء اتفاق ١٧ أيار.

■ **وماذا جرى في لوزان؟**

ـ قبل لوزان ألغي اتفاق ١٧ أيار وانتقل البحث إلى موضوع الإصلاحات السياسية. وخلال لقاء لوزان الذي ضم كل الذين شاركوا في جنيف اتفق على أن يترأس المرحوم رشيد كرامي الحكومة. طرحت في لوزان مسائل عدة ولم يتم التوصل إلى اتفاق عليها، وكانت أقل من «الاتفاق الثلاثي» وأقل من اتفاق الطائف. تعقدت الأمور وفي الساعتين الأخيرتين كان لا بد من كتابة بعض العبارات لئلا يقال إن اللقاء فشل. موافقة الجميل على إلغاء اتفاق ١٧ أيار فتحت الباب بينه وبين دمشق التي دعمت وصول رشيد كرامي على أمل أن يترافق ذلك مع استكمال الحل.

صحيح أن ما نتج من جنيف ولوزان كان محدوداً، لكن الصحيح أيضاً هو أن خيار الحوار بات أكثر رسوخاً حتى وإن اختلف المتحاورون على الأولويات وطرق المعالجة. وفي الحوار نفسه وعلى هامشه لا بد من جهود لإنضاج المواقف لئلا يتحول الحوار نفسه إلى مجرد امتداد للحرب. كان لا بد من طمأنة المتحاورين مع السعي إلى إبعادهم عن منطق الحد الأقصى والبدء بإقناع الجميع بأن الدولة يمكن أن تكون الضمان لكل الفرقاء لأن السعي إلى انتزاع ضمانات لكل فريق من خارج منطق الدولة يؤسس لحروب مقبلة. لا أحد يستطيع القول إن اللبنانيين لا يريدون العيش بعضهم مع

بعض. والدليل على ما أقول هو ما كان يجرى خلال الهدنات من عودة سريعة إلى العناق والتواصل بين المناطق على مختلف المستويات. ومع عودة اللقاء كانت تعود المصالح المشتركة والعيش المشترك وكذلك العلاقات الإنسانية بكل أشكالها. أنا أعتقد بأن اللبنانيين قسموا لفترة بالقوة أي رغماً عنهم لا بإرادتهم. ماذا كان دور القناصة في الحرب؟ أوليس إغلاق المعابر ومنع اللبناني من الانتقال من منطقته للقاء اللبناني الآخر؟

■ ماذا كان دورك في الاتفاق الثلاثي؟

ـ العمل لوقف إطلاق النار يستدعي اتصالات مع الأطراف المشتبكين، والعمل لإحلال السلام يستلزم الاتصال بكل الأطراف المتحاربين. لهذا كان من الضروري أن تكون القنوات مفتوحة مع الجميع، ذلك أن التسوية تعقد بين الذين تحاربوا. كان هناك من جهة الرئيس نبيه بري زعيم حركة «أمل» والوزير وليد جنبلاط زعيم الحزب التقدمي الاشتراكي، ومن جهة أخرى الوزير إيلي حبيقة زعيم «القوات اللبنانية».

قبل ذلك عقدت اجتماعات بكفيا في إطار حكومة الرئيس المرحوم رشيد كرامي. تعثرت هذه الاجتماعات. ويرجع هذا التعثر في جانب منه، إلى طبيعة العلاقة التي كانت قائمة بين «القوات» والرئيس الجميل، وربما بين فريق من «القوات» والجميل. هذا الواقع لفت النظر إلى ضرورة إشراك كل القوى الكبرى الموجودة على الأرض في عملية التسوية. كانت «القوات» عملياً في حالة حرب مع «أمل» والاشتراكي كما كانت في حال مواجهة مع سورية. ولم يكن سهلاً تغيير المواقف خصوصاً مواقف «القوات» بعد الذي مرت

به منذ اندلاع الحرب في منتصف السبعينيات والنصف الأول من الثمانينيات.

بدأت الاتصال مع حبيقة في بيروت ثم اقترحت عليه الخروج من لبنان ليتسنى لنا البحث في المسائل بهدوء، فزار فرنسا سراً وأقام في منزلي قرب باريس نحو أربعة أيام أمضيناها في التشاور في سبل إنهاء الحرب. الواقع أن البحث تركز على أسئلة أساسية من نوع ماذا تريد «القوات» وهل للفريق الذي تنتمي إليه مصلحة في استمرار الحرب مع الأطراف اللبنانيين الآخرين، وهل لها مصلحة في استمرار المواجهة مع سورية؟ وهل «القوات» مستعدة لإزالة أسباب هذه المواجهة بكل تشعباتها الداخلية والإقليمية؟

بعد نقاشات طويلة بيني وبينه تبلورت لديه مجموعة أفكار، فاقترحت عليه أن يوجه كتاباً إلى القيادة السورية بغية التمهيد لحوار. وهذا ما حصل، ولقي الكتاب صدى إيجابياً في دمشق وفتح الباب للاتصال المباشر. كان همي الأول وقف القتال ونقل الأفرقاء من الرهان على المدفع إلى الرهان على الحوار. وتوقف القصف فعلاً وبدأت الاتصالات. وهنا توقفت عن متابعة الموضوع وشارك في الاتصالات الوزيران ميشال المر وميشال سماحة. أنا لم أشارك في ما تبع رسالة حبيقة لأنني لم أكن طرفاً، ورأيت أن البحث هو من حق الأطراف أنفسهم ولذلك لم أدخل في التفاصيل.

■ **هل كان اللقاء الأول لحبيقة مع جنبلاط وبري أثناء التوقيع أم قبله؟**

ـ أعتقد أثناء التوقيع.

■ **ودورك مع جنبلاط وبري؟**

ـ كانت تربطني بهما علاقة وكنت أراهما باستمرار، وكنا نركز في الاتصالات بيننا على أن القتال لن يوصل إلى نتيجة، وأن المطلوب هو الجلوس حول طاولة لإنقاذ ما يمكن إنقاذه. بعد ظهور تباشير علاقة بين حبيقة والسوريين كان المطلوب أن يتفهم بري وجنبلاط ضرورة التحاور مع حبيقة لإنهاء الحرب.

■ **لم تحضر حفلة توقيع «الاتفاق الثلاثي»؟**

ـ لا، ولم أرافق المراحل الأخيرة من بلورة الاتفاق. أنا شاركت في إقناع حبيقة بأن أسلوب المواجهة العسكرية لن يوصله إلى أي مكان بل سيضاعف المشكلات والخسائر. وهكذا كانت أول رسالة وجهها حبيقة إلى القيادة السورية من منزلي قرب باريس. بعدها عقدت لقاءات غير معلنة مع حبيقة في الجزر اليونانية.

■ **وسقوط «الاتفاق الثلاثي»؟**

ـ أُسقط عسكرياً.

■ **يقولون إنك موّلت محاولة حبيقة لاختراق الأشرفية عسكرياً؟**

ـ كانت العملية صغيرة شارك فيها نحو ٢٠٠ شخص بأسلحة خفيفة ولم تكن تحتاج إلى تمويل. أنا لم أشارك يوماً في تمويل الحرب أو مشاريع القتال، لكنني لم أتردد في التضحية لإنهاء الحرب وأنا افخر بذلك.

وأقول بكل تواضع إن كل اتفاق سياسي أو اتفاق لوقف إطلاق

النار كان لي فيه دور ما. أنا لم أكن جزءاً من أي مشروع قتال لكنني كنت دائماً جزءاً من كل محاولة لإطفاء النار وإيجاد الحلول. في كل هذه المحاولات ساهمت بطريقة أو أخرى.

■ **تردد أنك وظفت قدرتك لتسهيل اللقاء بين نبيه بري ووليد جنبلاط من جهة وإيلي حبيقة من جهة أخرى وتحديداً لتشجيع إيلي حبيقة؟**

ـ إيلي حبيقة نفسه يقول ما حرفيته: إن أول مسلم رأيته ولم أطلق النار عليه هو رفيق الحريري. أعود لأقول إن همي في تلك المرحلة كان التخفيف من حدة القتال لتوفير فرص الحوار وتشجيع حل سياسي يؤدي إلى إنهاء الحرب. ولهذا الهدف كنت أتصل بكل الناس وإيلي حبيقة من بينهم. وكان هذا الدور مفهوماً لدى الجميع، وأعتقد بأنه كان موضع تقدير. مرات عدة نزلت بطائرتي في مطار بيروت وكان مقفلاً. كثيرون كانوا يعتقدون بأنني كنت أجري اتصالات مسبقة من أجل وقف النار في محيط المطار، والحقيقة أن القتال كان يتوقف في المطار والطرق المؤدية إليه بعد أن تبث الإذاعات أنني آتٍ. كنت ألتقي حبيقة لأنه كان مسؤولاً عن «القوات»، وقبله التقيت فادي أفرام. تحدثت مع إيلي عن خطورة استمرار الوضع وأعتقد بأن جهودي وجهود آخرين ساهمت في تشجيع إيلي على السعي إلى بلورة قاعدة مشتركة مع الذين يقاتلهم ويقاتلونه. وبعد ذلك ذهب إلى سورية.

■ **هذا الدور في الاتفاق الثلاثي هل كان أيضاً بالتنسيق مع الأميركيين والسوريين؟**

ـ على المرء ألا يسمح لنفسه بادعاء أدوار لم يقم بها. أنا أديت

دوراً في فكرة اللقاء نفسه وعملت الكثير من أجلها. في المقابل لم أتدخل في نصوص الاتفاق ومواده. كل هذه تركت للأطراف أنفسهم وللإخوة السوريين. طبعاً أنا كنت من دعاة الجلوس إلى الطاولة و«القوات» كانت تمثل فريقاً في الحرب، والتسوية التي تنهي الحرب تصنع عادة بين المتحاربين.

■ **هل كان لك دور ما بين أمين الجميل ورشيد كرامي؟**

ـ لا، أعتقد بأنه كان بينهما قدر من التفاهم وأن الاتصال ظل قائماً بينهما حتى في أصعب الظروف.

■ **هل فعلت شيئاً ما في الليلة الأخيرة من عهد أمين الجميل لتحاشي خلو مركز الرئاسة أو قيام «حكومتين»؟**

ـ قبل أيام من موعد انتهاء الولاية مر شخص صديق للرئيس الجميل وسألني عن رأيي ونصيحتي فأجبته: أتمنى ألا يغير الحكومة لأن تغييرها سيثير المتاعب. فرد الرجل بأن الرئيس الجميل لا يستطيع القبول باستمرار الحكومة لأن بقاء الرئيس الحص يعني انتصار فريق على فريق. حينذاك اقترحت حلاً ثانياً وهو أن يسمي الجميل الرئيس صائب سلام رئيساً للحكومة الانتقالية وعندها لا تكون مشكلة في أسماء الوزراء. سألني عن السبب فأجبت أن صائب سلام شخص مؤتمن وقادر على إجراء الانتخابات بسرعة ولن يكون هناك رد فعل من الرئيس الحص. ولم يؤخذ بهذا الرأي وحدث ما حدث من انقسامات وحروب. وأعتقد صادقاً بأنه لو تم العمل بذلك الاقتراح لوفرنا الكثير من الضحايا والخسائر.

أكثر من ذلك، زارني الرئيس الحص قبل فترة وتطرقنا إلى الموضوع وحكيت له عن الاقتراح فقال لو أخذ به لكان تغيّر مجرى الأحداث. وسألته عن رد فعله لو اختير صائب سلام آنذاك، خصوصاً أنه كان يجاهر برفضه أي تبديل، فقال: كنت جلست في منزلي لأنني لا أستطيع أن أقول لا لصائب سلام لأن الجميل يكون قد جاء بزعيم لبناني مسلم ورئيس وزراء سابق وصاحب تاريخ فماذا أقول؟ لكن الرئيس الحص قال إن صائب سلام ما كان ليوافق، فقلت له كان يستطيع الجميل أن يؤلف هذه الحكومة قبيل منتصف الليل فلا يبقى أمام سلام أي خيار آخر غير المجيء إلى بيروت؟ أعتقد بأن الجميل كان باستطاعته أن يفعل شيئاً كبيراً للبلد لو قبل بهذه الفكرة.

■ كيف وصلنا إلى الطائف؟

ـ الحقيقة أن المحاولات الرامية إلى بلورة وفاق بين اللبنانيين لم تتوقف وكانت فيها محطات كثيرة. هناك محادثات وزير الخارجية الأميركي السابق جورج شولتز، وهناك ما عرف بورقة أبريل غلاسبي. وبعد إسقاط الاتفاق الثلاثي عقدت سلسلة اجتماعات مع الشيخ أمين الجميل. وجاء الرئيس الجميل ذات يوم سراً إلى قبرص وذهبنا معاً إلى سردينيا في طائرتي وأمضينا الليل هناك حتى الصباح، ونحن نتناقش في سبل تحريك العملية الوفاقية. كان حاضراً في سردينيا إيلي سالم (وزير خارجية الجميل ومستشاره).

كانت الفكرة الأساسية في سردينيا هي البحث عن طريقة تمكننا من تحقيق اختراق في جهود الوفاق وإعادة تحريك عملية البحث عن حل. فالجمود كان يعني التدهور والمزيد من التدهور، خصوصاً بعد

الوصول إلى المأزق. ولم تسفر اجتماعات سردينيا عن نتائج. كنت أتردد على دمشق وأحاول تهدئة الأوضاع. ولم ننجح ويا للأسف، في تحاشي قيام حكومتين وحصلت المواجهات العسكرية التي يعرفها الجميع.

في كل هذه الأثناء كانت قد تراكمت لدي مجموعة من الأوراق المتضمنة أفكاراً للحوار واقتراحات وتصورات رحت اقرأها وأدوّن الملاحظات وأبحث عن فرص التلاقي بينها، وأجري بين وقت وآخر اتصالات. كان القتال يستأثر بجهد الأفرقاء في لبنان ووقتهم. وأتاح لي وجودي في الخارج فرصة العمل الهادئ والصامت وفرصة التفكير في خطورة استمرار التنازع والتشرذم. عقدت القمة العربية في الدار البيضاء وتقرر فيها تأليف اللجنة الثلاثية العربية العليا من قادة السعودية والمغرب والجزائر. وأولى الملك فهد بن عبدالعزيز اهتماماً كبيراً بهذه المسألة وحصل تنسيق مع سورية وعين السيد الأخضر الإبراهيمي مندوباً للجنة الثلاثية. وكان من الطبيعي أن نضع أنفسنا في تصرف اللجنة الثلاثية. لهذا عملنا معها ومع مندوبها وشعرنا بأن فرصة جدية لإنقاذ لبنان لاحت في الأفق.

عندما وجهت الدعوة إلى النواب اللبنانيين إلى المشاركة في مؤتمر الطائف أرفقت الدعوة بما عرف بالمشروع العربي الذي كان في الحقيقة الهيكل أو العمود الفقري لاتفاق الطائف، أو فلنقل على الأقل إنه كان ورقة عمل. وذكر في المقدمة أن المشروع موضوع في تصرف النواب اللبنانيين للبحث فيه وتعديله وفق ما يرتأون لأن المشروع هو اجتهاد من الدول الثلاث لمحاولة حل الأزمة اللبنانية.

■ **هل كان إقناع النواب بالتوجه إلى المؤتمر صعباً؟**

ـ لا، لكن كانت هناك مشكلة العماد ميشال عون مع نواب المناطق التي كانت تحت سيطرته، وهو سمح لهم في النهاية بالتوجه إلى الطائف. الحقيقة هي أن الطائف بدأ بإرادة عربية في إنقاذ لبنان مدعومة دولياً، وانتهى الطائف بلقاء الإرادة اللبنانية مع الإرادتين العربية والدولية. وكانت هناك مناقشات طويلة ومجادلات، لكن الشعور الغالب منذ البداية كان ضرورة التوصل إلى حل والإفادة من الرغبة العربية والدولية في مساعدة لبنان على الخروج من المحنة.

■ هل بدا واضحاً في الطائف أن رينيه معوض سيكون الرئيس؟

ـ لم تنطلق في الطائف عملية البحث عن الرئيس المقبل. كانت هناك رغبة في تحاشي اختلاط الحسابات الرئاسية بالهموم الوفاقية. ولو فتح الباب للبحث في الأسماء لتعرقلت أشياء كثيرة.

■ غادر النواب جدة وتوجهوا إلى باريس. السيدة نايلة معوض تقول إن زوجها استقل طائرة وضعها في تصرفه أحد أصدقائه وتوجه إلى دمشق في زيارة غير معلنة والتقى الرئيس الأسد. هل كانت الطائرة طائرتك ومتى حدثت الزيارة؟

ـ نعم كانت طائرتي، وحصلت الزيارة قبل ٤٨ ساعة من الانتخابات، التقى الرئيس معوض خلالها الرئيس الأسد وعاد إلى باريس. الواقع أنه بعد اختتام أعمال مؤتمر الطائف حصل نوع من التوافق على رينيه معوض. بعد تبلور هذا الأمر تحدثنا مع الأشقاء في سورية فرحبوا بالبحث معه، وهكذا حدثت الزيارة.

اقترب موعد الانتخابات وكان بعض النواب يقيم في باريس منذ عودته من السعودية بسبب الأوضاع التي كانت قائمة في المنطقة الشرقية. وبرزت إلى الواجهة عقدة المكان الذي ستُجرى فيه عملية الانتخاب بعدما بدا واضحاً أن التئام المجلس متعذر سواء في مقره الموقت في قصر منصور أو في مقره السابق في ساحة النجمة. وظهرت اقتراحات كثيرة: البنك المركزي ومجلس الخدمة المدنية واليونيسكو والمطار... وفي النهاية حصل توافق على مطار القليعات (في عكار) لبعده عن مرمى المدفعية التي يمكن أن تعوق الاجتماع في الأماكن القريبة.

توجه النواب المقيمون في باريس إلى القليعات ووافاهم إلى هناك النواب المقيمون في بيروت، وعقدت الجلسة وانتخب الرئيس معوض. وأذكر أنه كلمني فور انتخابه من سيارة سليمان فرنجية (الوزير الحالي) فهنأته. وحاولت قبل جلسة الانتخاب إقناع الرئيس الياس الهراوي بالانسحاب لمصلحة معوض فرفض.

■ **مع من كنت؟**

ـ حصل توافق على رينيه وأنا أيدت هذا التوافق. الحقيقة لم يجر البحث في اسم الرئيس في الطائف، لكن كانت هناك أسماء مطروحة بعضها من خارج المجلس، وبما أن النواب كانوا يقومون بدور رئيسي في إعادة اللحمة إلى البلد أكدتُ لهم أن البحث لاحقاً سيتركز على اختيار رئيس من داخل المجلس. هذه هي المرة الوحيدة التي فتح فيها موضوع الرئاسة وقلت إن الرئيس يجب أن يكون من داخل المجلس.

■ **يقولون إنك دفعت للنواب أموالاً في الطائف؟**

ـ أبداً، هذا الكلام غير صحيح. وهو كلام معيب. كان النواب يبحثون عن حل لأزمة وطنهم وكانوا يشعرون بأن آمال اللبنانيين معلقة عليهم. غُيّب دور النواب وفق محاولة مقصودة. مؤتمر الطائف مثّل فرصة لإحياء الشرعية وأعاد إلى المجلس النيابي دوره وإلى النواب مساهمتهم الكبيرة في إنقاذ بلادهم. كانت لدى النواب حماسة للوصول إلى حل انطلاقاً من مشاعرهم الوطنية ومن حس المسؤولية. هذا الكلام عن أن نواباً تلقوا أموالاً يهدف إلى النيل من النواب كلهم، وإلى التقليل من حجم الدور التاريخي الذي قاموا به.

■ أنت إذاً تستطيع الجزم بأنك لم تدفع؟

ـ لا أنا ولا غيري. وما أقوله عن الطائف أقوله عن انتخاب رينيه معوض، وأنت سألت عنه. كان هناك شعور بخطورة الحالة، فأي نائب يمكن أن يقدم في مثل هذا الظرف على المطالبة بثمن لصوته؟ كان انتخاب رئيس للجمهورية عملاً بالغ الأهمية، فضلاً عن أن الاسم المطروح هو أحد زملائهم. الاتهامات التي توجه إلى النواب لا تستهدف أشخاصهم بل تستهدف القول أن المجلس النيابي كان فاسداً، وبالتالي فما صدر عنه يفتقر إلى الصدقية. أي أن مطلقي الاتهامات يريدون التشكيك في ما توصل إليه النواب وينطلقون من هجماتهم على أشخاص النواب. إنصافاً للحقيقة أقول، تعرض النواب لضغوط كثيرة وتعرض بعضهم لتهديدات.

* * *

في حنينهم إلى البلد المزدهر الذي كان يتنفس ملء رئتيه ينسى اللبنانيون ما فعلوه ببلدهم الذي يدفع اليوم ثمن محاولة انتحار

ومحاولة اغتيال. وفي توقهم إلى استعادة وطنهم موقعاً كان له ودوراً نجح في أدائه وفي قطف ثماره، يتناسون أن بلدهم تغير وأن المنطقة تتغير.

حذهب لبنان متأخراً إلى النزاع العربي ـ الإسرائيلي فاندلعت الحرب في عاصمته وتسببت الحروب فيه وعليه في اقتلاع ركائز الخيمة اللبنانية. وحين صدر القرار الإقليمي الدولي بإطفاء النار المتأججة على «الساحة اللبنانية» لم يتنبه اللبنانيون إلى أن السلام مشروط. هكذا راح لبنان يبحث عن سلامه وسط موازين القوى الجديدة ويحاول الاستعداد لسلام المنطقة في ضوء هذه الموازين.

في ظل هذا الطابع الانتقالي، في الداخل وفي المنطقة، ولدت حكومة رفيق الحريري. عطش اللبنانيين إلى الدولة وحنينهم إلى الازدهار وخوفهم على اللقمة الهاربة أوقعتهم في المبالغة في الآمال، وهم أهل مبالغات أصلاً. لكنهم بعد ٣٠ شهراً من انطلاق «عاصفة الحريري» يبدون أكثر واقعية، ويبدو الحريري نفسه أكثر واقعية، ولهذا قال لـ «الوسط» إن الحكم «صعب في لبنان».

لا شك في أن الحريري كان يأمل تحقيق أضعاف ما تحقق، لكن حكومته نفسها لم تكن من النوع القادر على تسريع البناء ولم يكن مسموحاً لها بأن تكون من هذا النوع. ويكاد غياب الحسم يكون السمة المميزة لمؤسسات «الجمهورية الثانية» التي تحتاج دوماً إلى مهدئات ومنشطات وكوابح للمشاحنات.

وحكومة الحريري إحدى أغرب الحكومات. تعبير التضامن الوزاري غير ملحوظ في قاموسها، وإسقاطها هو البند الأول في

برنامج بعض وزرائها الذين لا يصل غضبهم إلى حد خروجهم، منها ويتعذر وصول الغضب عليهم إلى حد إخراجهم. هكذا تحول التراشق على المحاور الحكومية جزءاً من المشهد. ثم إنها حكومة مطالبة بترميم صورة الدولة مع احترام حصص الميليشيات المنتصرة التي حجزت لنفسها مقعداً في قطار السلام. وهي مدعوة إلى إدارة بلد هو في النهاية في عهدة ترويكا رئاسية يسلّم عملياً لكل واحد من أفرادها بما يشبه حق النقض في ما يتعلق بفريقه. وهي حكومة عليها أن تفاوض من دون أن تفاوض، وأن ترفع لافتة القرار ٤٢٥ مرتدية ثوب المقاومة في الجنوب وقبعة الانتظار في بيروت. وحين تتفاقم العواصف داخل الحكومة وتتداخل الحروب داخل الترويكا بالحروب الوزارية تسلك الأزمة طريق ضهر البيدر ثم تهب مجدداً رياح تعايش يمنع موت المريض ولا يكفي لشفائه. وعلى رغم كل هذه الحروب وعلى رغم مآخذهم ــ وبعضها محق ــ يقر اللبنانيون لهذه الحكومة بما حققته على صعيد الأمن ولجم التدهور الاقتصادي وإطلاق عملية الإعمار. لكن هذا الإقرار يواكبه تخوف مشروع ينطلق من سؤال واقعي هو: ماذا لو تأخر السلام؟ وهل يستطيع لبنان احتمال مثل هذا التأخير خصوصاً في غياب إدارة أميركية قادرة على تخفيف وطأة السلام الذي تحاول إسرائيل فرضه؟ وفي البحث عن الاستعداد لأعباء سلام مقترب أو عن القدرة على انتظار سلام قد يتأخر يرجع الحديث ليتمحور حول الحريري. لم يعد الرجل قادراً على الخروج من الرحلة التي بدأها ولا يبدو النظام قادراً على متابعة الرحلة من دونه. هنا نص الحلقة الثالثة والأخيرة، مع الحريري:

* * *

■ دولة الرئيس، ما هي فكرة لبنان بالنسبة إليك؟

ـ إنها تقوم على مجموعة ثوابت هي وليدة التربية والتجربة. أعتقد بأن العيش المشترك هو قدر اللبنانيين. وكل ما يمكن أن يهدد هذا العيش المشترك لا يمكن أن يصبّ في خدمة لبنان أو في خدمة أي لبناني. وهذا القدر ـ الخيار يلزم المواطن والسياسي الالتفات دائماً إلى الآخر. قام لبنان على تلاقي إرادات، أي على شراكة في المشاعر والمصالح. ولأن تركيبة لبنان غنية ومتنوعة فليس من حق أي فريق أن يسعى إلى فرض لونه أو إرادته كأنه اللاعب الوحيد.

وعلى أرضية اللقاء المشترك تترسخ مشاعر الوحدة التي أراها الضمان الأول لبقاء لبنان. لقد وقع كثير من اللبنانيين، ويا للأسف، في خطأ اختبار رهانات أخرى، وكانت الحصيلة مؤلمة. أعتقد اليوم بأن هذا الخيار حسم إلى غير رجعة. فلبنان يجب أن يشبه كل اللبنانيين، وكل مشروع لا يخاطب كل الأرض وكل الشعب لن يكتب له النجاح على المدى الطويل.

الواقعية تقضي الاعتراف بوجود تباينات أو اختلافات في الرؤى داخل الشعب الواحد. لكن خيار الوحدة والتمسك بالثوابت الوطنية يجعل من التنوع الطائفي للتركيبة مصدر غنى وفرصة لتجربة فريدة بدل أن يكون الاختلاف مصدراً لعوامل تفجير دائمة. لا يحكم لبنان بالقوة العسكرية لفريق. ولا يدوم استقرار إذا قام على استئثار. وليست في لبنان أكثرية بالمعنى التقليدي. الأكثرية يجب أن تتشكل من تلاقي التصورات أو البرامج من دون أن تنقض في أي وقت الثوابت.

وقدر اللبنانيين أن يعيشوا في ظل الديموقراطية، وأعتقد بأن هذا هو خيارهم أيضاً. الديموقراطية بما تعنيه من تداول سلمي للسلطة ومن

حريات سياسية وحزبية وإعلامية. لكن دعنا نقول صراحة إن ممارسة الحرية من دون الالتفات إلى المسؤولية هي ممارسة خطرة. هذا الكلام لا يهدف إلى تبرير أي تقييد للحرية، فلا الوضع في لبنان يطيق مثل هذا التقييد ولا التطورات في العالم تبرره أو تحتمله. لكن ضمان أمن الوطن والمواطنين وضمان القيم الوطنية والديموقراطية يفترضان احترام القانون الذي يجب أن يكون حامي الحرية وضامن المسؤولية.

لنأخذ مثالاً على ذلك: المعارضة جزء من العملية الديموقراطية وممارستها دورها تساعد الحكم على تصحيح الأخطاء والهفوات. وإذا تعذر التصحيح فمن حق الشعب أن يحسم المسألة عبر انتخابات. وشرط نجاح هذه المسألة أن ترى المعارضة نفسها أيضاً مسؤولة عن البلد أو تجاهه. تهديم الحكم من دون اقتراح بديل مقنع، يهدد الديموقراطية. وفي هذا السياق أعتقد بأن الممارسة السياسية في لبنان تحتاج إلى مزيد من النضج. الأمر نفسه في الإعلام. أنت تعيش في بريطانيا، هل يستطيع صحافي هناك أن يطلق حملة تشهير أو أن يوجه اتهامات من دون أدلة وإثباتات؟ يسارع القانون إلى التدخل ويحمي حق من وجهت إليه التهم. إنني أتساءل: هل تخدم المصلحة اللبنانية كتابة مقال يدفع المستثمرين إلى عدم توظيف أموالهم في لبنان أو يهدد علاقات لبنان ومصالحه؟

ومن الثوابت أيضاً قيام علاقات وثيقة بين لبنان ومحيطه العربي. فهذه العلاقات مصدر قوة للبنان، وقد قام دوره الريادي دائماً على انفتاحه. وإذا كان لبنان بلداً عربياً معنياً بعلاقات وثيقة مع العالم العربي فهو معني أولاً بعلاقات وطيدة ومميزة مع سورية تكون مصدر قوة للبلدين وضماناً لمصالحهما. أظهرت التجربة الطويلة أن

مشاريع العداء لسورية في لبنان هي مشاريع انتحارية، فيما التعاون معها وفّر فرصة لإنهاء الحرب وإعادة الاستقرار.

■ برز اسمك خلال الحرب وتوليت الحكم بعد إقرار السلام، أين كنت في الحرب؟ في أي موقع؟ وماذا فعلت؟

ـ لو لم تحدث الحرب لربما كان مصيري مختلفاً، وربما لم أتعاط السياسة مباشرة. العمل السياسي حق مشروع، لا بل هو واجب، لكن دعني أقل بصدق إنني لم أخطط للوصول إلى منصب ولا حتى لدخول المعترك السياسي على رغم شرعية مثل هذا الطموح. عندما بدأت الحرب كنت أعمل في السعودية وخارج لبنان. وعندما امتدت وطالت خالجني دائماً شعور بأن التقاتل ليس قدراً وأنه ليس خيار غالبية اللبنانيين.

طبعاً، من السهل في الحرب إثارة الغرائز واستدراج الناس، لكنني من الذين اعتقدوا دائماً بأن الغالبية الساحقة متمسكة بالثوابت الوطنية. كنت في أحلك ساعات الحرب شديد الثقة بأن في موازاة لبنان الممزق والمتقاتل هناك لبنان آخر لن يتأخر في التعبير عن إرادته. ومنذ اندلاع الحرب اعتقدت بأن الموقف الوحيد المطلوب هو إعلان الحرب على الحرب. ولهذا لم أكن يوماً جزءاً من مشروع قتال بل كنت جزءاً من أي محاولة سلام أو محاولة لوقف الحرب.

زادت الحرب قناعتي بضرورة دعم لبنان الآخر، لبنان العلم والتقدم والثقافة الذي سيكون قادراً على إعادة بناء ما خربته الحرب. ومن هنا اتسعت فكرة تعليم الطلاب وتوفير المنح لهم لأسباب إنسانية ووطنية في آن. كان القتال يسعى إلى تدمير ما بقي من مبررات

الوجود، وكنا نحاول توفير خميرة صالحة لليوم الذي تسكت فيه المدافع.

في الحرب شعرت بأن واجبي يلزمني السعي إلى تخفيف وطأتها بحدود استطاعتي. وفي مرحلة لاحقة شعرت بأن الواجب يتخطى المساعدة الإنسانية ليفرض السعي الحثيث إلى إنهاء الحرب نفسها. والسعي إلى إنهاء الحرب يلزمك التعامل مع المتحاربين والمعنيين. من هنا كان موقف التحدث مع الجميع بلا استثناء على رغم اختلاف القناعات مع هذا الفريق أو ذاك. أنا أصلاً لا أؤمن بالقطيعة التي تضاعف المخاوف والميل إلى تجاهل الآخر. من هنا كان السعي إلى توفير شروط لوقف إطلاق النار ثم إلى تحصين وقف إطلاق النار هذا ببلورة تفاهم يضمن عدم تجدد القتال. كانت المرحلة صعبة واستلزمت جهوداً كثيرة بذلتها أطراف عدة. ورأيت أن ما أقوم به عمل وطني. والحقيقة أن العمل السياسي، من دون الهاجس الوطني يتحول إلى عراك على موقع أو منصب.

■ **هناك حديث عن مساعدات قدمتها إلى أطراف في الحرب كانوا في مواقع متناقضة؟**

ـ حين تقول إنك ضد الحرب عليك أن تترجم قولك إلى فعل، أي أن تسعى إلى إنهائها. وحين تقول إنك ضد خطوط التماس عليك أن تسعى إلى إلغائها. وأن تكون المساعدات والمنح شملت أكثر من منطقة وفئة، فهذا جزء من الواجب الإنساني والوطني. لم نعلن هذه المساعدات ولا أريد الخوض فيها ولم نحاول توظيفها إعلامياً أو في خدمة من قدمها. يمكن أن أختصر المسألة على هذا النحو: لم أشارك إطلاقاً في تمويل مشروع حرب أو مشروع قتال، ولم أتردد

بتاتاً في أي تضحية يستلزمها الجهد لإنهاء القتال.

والمسألة بسيطة، كان يمكن توظيف المال لاستقطاب الشبان وإرسالهم إلى المتاريس. وكان يمكن توظيف المال لإرسال الطلاب إلى أرقى الجامعات ليكونوا لاحقاً في تصرف مشروع لبنان الخالي من المتاريس وخطوط التماس. نحن منذ اللحظة الأولى أو الرصاصة الأولى كان الخيار الثاني هو الخيار الوحيد بالنسبة إلينا. ربما كان لمن حاربوا وتحاربوا، منطقهم وتبريراتهم وظروفهم ومخاوفهم، لكن كان من حقنا أيضاً أن نفكر في دولة السلام وما ستحتاج إليه من كادرات ومواطنين أصحاب اقتدار علمي وفكري وثقافي يصلحون لمرحلة السلام.

■ **تشدد دائماً على فكرة الدولة، ماذا تقصد بالتحديد؟**

ـ لعل أول درس يمكن استخلاصه من تلك الحرب الطويلة هو فداحة الخطر الذي يمكن أن يمثله غياب الدولة أو تغييبها. لقد جربت الطوائف والمناطق أسلوب العيش في غياب الدولة وكان باهظ النفقات. قامت دويلات وميليشيات وجيوش خاصة قاتلت على خطوط التماس ثم تقاتلت داخل كل منطقة أو طائفة. غياب الدولة يبطل أي ضمان والبدائل التي جربت أظهرت ذلك. غياب الدولة يهدد الأرض ويهدد الناس ويهدد الوجود برمته. وغياب حكم القانون يحوّل المجتمع إلى غابة. الدولة تخطئ وتقصر، وربما ظلمت، لكن ظلمها يبقى بالتأكيد أقل بكثير من الظلم الذي ينجم عن غيابها.

نعم مشروعنا يرتكز على وجود الدولة، دولة الوفاق ودولة المؤسسات. وأقصد المؤسسات الأمنية والسياسية والإدارية والإنمائية

والإعمارية. لا إعمار بلا وفاق. ولا تنمية بلا استقرار. ولا استقرار من دون أمن. الدولة هي الضمان للموالين والمعارضين، في الدرجة نفسها، خصوصاً أن الدولة التي نتحدث عنها تنبثق من خيار شعبي أي من مجلس نيابي منتخب وحكومة تنبثق من إرادة المجلس ورئيس للجمهورية ينتخبه مَن فوّض الشعب إليهم حق القيام بهذه الممارسة.

عندما تشرذمت الدولة فتح الباب لكل الأخطار، ولم يعد لبنان قادراً على حضور مؤتمر دولي أو إسماع صوته. وعندما عادت الدولة بدأ لبنان باستعادة موقعه وحقه في الدفاع عن مصالحه. طبعاً لا يمكن استباحة الدولة على مدى ١٧ سنة ثم المطالبة بدولة نموذجية خلال شهور. لا بد من الوقت ليعتاد الناس مجدداً على منطق الدولة. المسألة تستدعي تغيير عقليات وذهنيات وممارسات، لكنني أعتقد بأن منطق الدولة اليوم هو أقوى بكثير مما كان غداة وقف الحرب وإن كنت شخصياً أتمنى لو كان أقوى بكثير مما هو اليوم.

لا تنتهي الحرب بمجرد وقف إطلاق النار. ولا يمكن التغلب على آثار الحرب بمجرد وضع سطور على الورق. بعد الحرب التي عشناها لا بد من إعادة بناء شاملة. أوليست المصالحة الوطنية إعادة إعمار للنفوس والمشاعر؟ أوليس الوفاق إعادة إعمار للمعادلة اللبنانية نفسها؟ صحيح أن الذين جاؤوا إلى الدولة راحوا يطالبونها بالكثير، لكن الصحيح أيضاً هو أنها تطالبهم بأكثر. وهذا التجاذب يومي وإن برز عند المحطات. وكلما نجحت الدولة في بناء نموذج أفضل ازدادت قدرتها على مطالبة الآخرين بالتسليم الكامل لمنطق الدولة.

■ **صعودك السياسي مختلف عن تجارب كل السياسيين في لبنان على اختلافهم. كيف تفسر ذلك؟**

ـ صحيح، أنا لم أرث موقعاً سياسياً ولم أؤلف حزباً ولم أشارك في عمل انقلابي للاستيلاء على السلطة. منذ استقلال لبنان كان هناك ما يشبه القاعدة وهي أن تصعد في طائفتك وفي صورة رجل متشدد، وحين تستجمع شعبية وتطمئن إلى موقعك تحاول تقديم نفسك في صورة المعتدل وتروح تمارس دوراً مزدوجاً يقوم على الاعتدال والتشدد. إنها مدرسة الصقور الذين تكون قدرتهم على الإمساك بمؤيديهم تغطية لمشاركتهم في الدولة أو لمعارضتهم إياها. أنا لا أنتمي إلى هذه المدرسة التي تبدو طبيعية في ظل المخاوف المتبادلة.

أعتقد بأنني جئت من مدرسة مختلفة وممارسة مختلفة. لا أصدر أحكاماً على الآخرين لكنني أصور واقعاً. وقد لا أكون وحيداً في هذا النهج، وأعتقد بأن على أي مسؤول في الدولة التي نريدها دولة مؤسسات أن يدافع عن مصالح كل اللبنانيين لا عن مصالح طائفته أو منطقته. أما إذا كنت تشير إلى ما يسمونه القدرة المالية فإنني أقول لك إنني لست الوحيد الذي يملك مثل هذه القدرة في لبنان، وهي بالتأكيد لا يمكن أن تكون العامل الوحيد أو الحاسم في اكتساب ثقة الناس.

■ **هل كنت تتوقع لنفسك دوراً ما في عهد الرئيس معوض؟**

ـ لا، ولا في عهد الرئيس الهراوي.

■ السيدة معوض تحدثت عن مهمة إعمارية؟

ـ تقصد أن أكون رئيساً لمجلس الإنماء والإعمار (مستغرباً)!

■ لا بل هيئة إعمار وطنية. ألم يفاتحك بشيء من هذا النوع؟

ـ لا، لم يكن الأمر وارداً. كنت على اتصال يومي معه وساهمت في تسهيل انتخابه. أريد أن أقول لك أمراً واضحاً: لم أفعل أي شيء في البلد بغية الحصول على مركز. هناك من لا يصدق هذا الكلام. وهناك من يعتقد بأنني أمضيت عشر سنوات وأنا أستعد لتولّي رئاسة الحكومة. ربما بدا هذا الأمر غريباً في حياتنا السياسية، لكن الحقيقة هي أنني لم افعل ما فعلت من أجل رئاسة الحكومة. لا أنكر أن لدي أحلاماً بالنسبة إلى ما يجب أن يكون عليه بلدي من وجهة نظري. إنه حق المرء في أن يحلم بمستقبل أفضل لبلاده. ولا أقول إن الأمر مجرد حلم فلدي تصور أيضاً. يجب ألا ننسى أن أفضل ما يمكن أن يورثه المرء لأبنائه هو الانتماء إلى بلد متقدم يوفر للناس الفرص والحرية والكرامة. بهذا المعنى يصبح الحلم جزءاً من حلم يفترض أن يكون عاماً. لا بديل من الوطن ولا شيء يغنيك عنه.

لم يبدأ دوري مع رئاسة الحكومة. قبل هذه الفترة، كنت على علاقة جيدة بالرؤساء وكنت أحاول أن أساهم، من خلال علاقاتي، في إنجاز مشاريع تؤدي في النتيجة إلى رسم الصورة نفسها التي أحاول أن أرسمها للبلد اليوم وأنا في موقع المسؤولية.

■ هل رواية السفير جوني عبده لـ «الوسط» عن بدء

علاقتك مع الرئيس الهراوي دقيقة؟

ـ نعم. قرأت ما رواه عن طريقة لقائنا والجلوس على الأرض والساندويتش، لكنه نسي أنني نمت على السرير وانكسر. كان الرئيس الهراوي نائباً آنذاك. وهذا الكلام في مطلع الثمانينيات.

■ **ما هو انطباعك عن الرئيس الراحل الياس سركيس؟**

ـ لم أعرفه كثيراً ولا لفترة طويلة. الانطباع الأكيد هو أنه رجل (آدمي) وقلبه على البلد. التقيته مرات عدة وفي كل مرة كانت تترسخ لدي صورة الرجل الخلوق.

■ **هل لفكرتك عن الدولة علاقة بتشديد الشهابية على الدولة والمؤسسات؟**

ـ أفضل الإجابة بطريقة أخرى، أي أن أقول فكرتي أنا عن الدولة، ولك أن تقارن مع الشهابية. أنا مؤمن تماماً بالحكم المدني القوي لا بالحكم المدني الضعيف. قناعتي بالحرية والديموقراطية عميقة وراسخة. أفهم أن الديموقراطية تكافؤ الفرص والحرية كحرية مسؤولة بعيدة عن الفوضى والابتزاز. أي الحرية التي تحترم الغير وتتصرف بمسؤولية تجاه الوطن. هناك مقولة شائعة في لبنان تقول «الحكي ما عليه جمرك». هذه العبارة لا أحبها. الكلمة أساسية ولها مسؤوليتها ولا يجوز أن ترمى جزافاً. وأرى أن تكافؤ الفرص أمام اللبنانيين للمشاركة في الحياة السياسية والحياة العامة موضوع جوهري.

في الوقت نفسه أدرك خصوصية لبنان على الصعيد الطائفي. فمثلاً، إذا كان وجود رئاسة الجمهورية في يد الموارنة عامل طمأنينة لهم

فأنا لا أمانع في بقائها وهذا لا يضيرني. أعتقد أن جميع اللبنانيين يجب أن يشعروا بأنهم ممثلون في الدولة وأن يثير هذا التمثيل ارتياحاً لديهم. رئيس الجمهورية يجب أن يكون قوياً، والأمر نفسه بالنسبة إلى رئيس مجلس الوزراء ورئيس مجلس النواب. الحكم الحقيقي والمثمر ينهض به الأقوياء لا الضعفاء. والقوة ليست عضلات، إن مصدرها الأساسي شعور الناس بأن هذا الشخص يمثلهم، ولا أقصد بالناس الطائفة التي ينتمي إليها المسؤول بل القدرة على التعبير عن هموم المواطنين بما يتخطى هموم المنطقة والطائفة.

■ **يقول السفير جوني عبده إنك قمت بدور رئيس في توفير الإجماع على شخص الرئيس الراحل رينيه معوض ولاحقاً على شخص الرئيس الهراوي، فهل هذا الكلام دقيق؟**

ـ ليس بمفردي. لا أحب ما يفعله بعض الناس حين يحصرون الأدوار بأشخاصهم ويتجنون على الحقيقة لتكبير دورهم. ساهمت مع غيري.

■ **هذه الأدوار مستحيلة من دون علاقة عميقة مع سورية، فمع من هذه العلاقة؟**

ـ نعم هناك علاقة عميقة مع سورية. والعلاقة هي مع الجميع. طبعاً هناك العلاقة الأساسية مع الرئيس حافظ الأسد والثقة القائمة معه ومع كل معاونيه، خصوصاً الفريق المعني بالشأن اللبناني.

■ **يحكى عن علاقة وطيدة بينكم وبين نائب الرئيس**

السوري عبدالحليم خدام. هل هي مزيج من العلاقة السياسية والصداقة؟

ـ بدأت سياسية واستمرت سياسة وصداقة.

■ **والعلاقة مع الأميركيين؟**

ـ النظام في أميركا مختلف. في سورية هناك فريق على رأسه الرئيس حافظ الأسد هو مركز صناعة القرار. حين تقول إن لدي علاقة جيدة مع سورية فهذا يعني أن لدي علاقة مع أصحاب القرار. في أميركا الوضع مختلف. المقصود بالعلاقة هو العلاقة السياسية مع الدولة. ونتيجة للأدوار التي قمت بها والعلاقة الخاصة التي تربطني بالسوريين والسعوديين ربما نشأ نوع من العلاقة بيني وبين الأميركيين. التقيت السفراء الذين تعاقبوا في سورية وكذلك في السعودية. نشأت علاقة قائمة على الاحترام المتبادل. لم يحدث أن قال لي مسؤول أميركي أو سفير: «برأينا أن تفعل كذا». كانوا يسألونني رأيي في موضوع، فأجيب صراحة. الصدق في التعامل ضروري لبناء العلاقات وترسيخها على أساس الاحترام.

أعتقد بأننا في لبنان نخطئ عندما نسأل دولة عظمى عن رأيها في موضوع معين. وقد وقع لبنانيون كثر في هذا المطب مرات. رأي الأميركيين يتكوّن مما يسمعونه من اللبنانيين على اختلافهم. المفروض أولاً أن نعرف رأي اللبنانيين وإذا تم الخروج برأي موحد يمكن محاولة إقناع الأميركيين به أو تقريب موقفهم منه. عندما جئت إلى البلد، كنت أسمع أن مستقبل لبنان لم يتحدد وكذلك دوره في المنطقة، وأن علينا انتظار ما يحصل في مؤتمر السلام وما

يقرر للبنان. أرفض هذا الكلام رفضاً باتاً. دور لبنان يحدده أبناؤه.

■ **من ضمن المعادلة الدولية؟**

ـ يستخدم المعادلة الدولية لتحديد دوره. لبنان ليس دولة عظمى لا على الصعيد الإقليمي ولا على الصعيد الدولي. نحن دولة صغيرة في المنطقة ودورنا نحن نبنيه ونحدده طبعاً في ضوء المعطيات. يجب ألا ننتظر أن تقول لي دولة أخرى: يجب ألا يكون عندكم سياحة أو صناعة أو تجارة أو مركز مالي. إذا عملنا ووفرنا مستلزمات المركز المالي فإنه سيصبح جزءاً من دور لبنان.

■ **دولة الرئيس، ما هو الشيء الذي لا يمكن شراؤه بالمال؟**

ـ سؤالك يحاول الإيحاء بأنني من الأشخاص الذين يشترون كل شيء بالمال، وهذا غير صحيح. هناك أناس يروجون هذه المسألة لغايات سياسية. ليس من أهم كفاءاتي أن لدي أموالاً. حصّلت الأموال ولم أرثها. المال هو أحد الأشياء التي حققتها بنتيجة عملي. بعض الناس لا يحب اعتبار نجاح المرء نتيجة لكفاءته. كثيرون من الذين يملكون أموالاً لا يستطيعون بناء علاقات. المال ليس كل شيء. هناك احترام الآخر والقدرة على الفوز بثقته، وهذه قيم لا يستطيع المال أن ينوب عنها في حال غيابها.

■ **هل بحثت مع الرئيس معوض أو فاتحك في أي وقت في تولّي منصب معين؟**

ـ أجزم جزماً قاطعاً بأن هذا الموضوع لم يطرح لا من قريب ولا من بعيد.

■ من طرح اسم النائب الياس الهراوي؟

ـ كان اسمه مطروحاً منذ أيام ريتشارد مورفي في ١٩٨٨. كان اسمه بين الأسماء التي طرحت.

■ هناك كلام في البلد أنك ساهمت في إيصال الرئيس الهراوي فردّ لك الجميل باختيارك رئيساً للحكومة؟

ـ هذا الكلام مردود، فأنا توليت رئاسة الحكومة بعد مرور ثلاث سنوات على انتخاب الرئيس الهراوي. مرّ خلال هذه السنوات ثلاثة رؤساء وزارة هم الرؤساء سليم الحص وعمر كرامي ورشيد الصلح.

■ وماذا عن انتخاب الرئيس الياس الهراوي؟

ـ استشهد الرئيس رينيه معوض بعد ٧١ يوماً على انتخابه. كانت الصدمة كبيرة وكان الحدث خطيراً. فالرئيس الحص كان قد قدم استقالته، واغتيال الرئيس معوّض يعني إيقاع البلد في الفراغ مع كل ما يعنيه ذلك من اقتتال ومخاطر تقسيم، فضلاً عن نسف سنوات من جهود المصالحة توجت بتوقيع اتفاق الطائف. كنت في باريس وتلقيت نبأ حصول انفجار استهدف الرئيس معوض. اتصلت بزوجته السيدة نايلة، ومع أن أنباء تواترت عن نجاته فهمت من حديثها أنه استشهد. ذهبت إلى بيت الرئيس معوض حيث ابنته وابنه وأناس توافدوا بعد شيوع النبأ. ولدى خروجي سألني صحافيون بينهم مندوب إحدى الإذاعات الفرنسية عن شعوري، فقلت إنه الحزن. وسألوني عما يمكن أن يحصل فقلت: انتخابات. وتساءلوا هل يمكن إجراء انتخابات في هذه الظروف، فكان جوابي: يجب إجراء الانتخابات. في ظرف من هذا النوع وعلى رغم مشاعر الحزن لا بد من التحرك سريعاً لمنع انهيار كل شيء.

ذهبت إلى منزلي واتصلت بالرئيس حسين الحسيني والرئيس سليم الحص وبنائب الرئيس السوري عبدالحليم خدام وتداولنا في ضرورة إجراء الانتخابات. وبدأ العمل في بيروت وبدأت العمل في باريس. أجرينا مجموعة من الاتصالات ركزنا فيها على أن إنقاذ الوطن بات يختصر بضرورة إجراء انتخابات رئاسية سريعاً، وأن أي تأخير للانتخابات سيعدّ انتصاراً لمن اغتال الرئيس معوض. وبعد ٥٤ ساعة فقط من اغتيال الرئيس معوض كان المجلس النيابي ينتخب رئيساً جديداً للجمهورية هو الرئيس الياس الهراوي.

طبعاً إثر وقوع عملية الاغتيال ساد شعور بالإحباط لدى كثيرين. ولمست هذا الشعور لدى اتصالي بالرئيسين الحسيني والحص. أجريت اتصالات مع النواب الموجودين في باريس. بعضهم كان يشعر بالإحباط أيضاً وبعضهم كان يتعرض لضغوط أو يتلقى نصائح بعدم الذهاب للمشاركة في أي انتخابات جديدة.

قدر النواب في الواقع دقة الظرف وخطورته وتجمعوا وتوجهوا في طائرة تابعة لطيران الشرق الأوسط إلى دمشق ومنها إلى بارك أوتيل في شتورا وأجريت الانتخابات.

■ ما صحة أن النواب لم يعرفوا أنهم سيهبطون في دمشق؟

ـ الحقيقة أن الأولوية كانت لضمان وصول النواب إلى لبنان وإجراء الانتخابات. لم يبلّغ النواب بدقة خط سير الرحلة لتحاشي ما يمكن أن يعرقل أو يؤخر تحقيق الهدف، وهو تجنيب لبنان الوقوع في الفراغ.

■ بعد عامين في الحكم كيف تنظر إلى هذه التجربة؟ أين نجحت وأين تعثرت؟ وبأي عراقيل أو صعوبات اصطدمت؟

ـ أبرز ما يواجه من يتولى المسؤولية هو أن اللبنانيين في عجلة من أمرهم، ربما لأنهم لم يؤمنوا بالحرب أصلاً. وحين انتهت الحرب ظهر لديهم ميل إلى عدم تصديق انعكاساتها. هذا الموقف دفعهم إلى الاعتقاد بأن البلاد ستعود إلى ما كانت بمجرد انتهاء الحرب. هذا الأمر ليس طبيعياً لأنه يتعامل مع الحرب كأنها حادث عابر وينسى ما فعلته. خلال ١٧ عاماً حدث أمران أساسيان: الأول هو أن جزءاً كبيراً من البنية التحتية دمر، ومعه جزء كبير من الصناعة والفنادق، إضافة إلى أنه خلال الأعوام الـ ١٧ لم تحدث أي مواكبة للتطور الطبيعي في حياة أي بلد. التأخر عندنا ليس فقط ١٧ عاماً إذ عليك أن تضيف الدمار الذي حصل.

الثاني هو أننا حين جئنا إلى الحكم قلنا إن العمل سيبدأ في الربيع. تلقف السياسيون هذه الكلمة وصوروا الأمر كأن العمل سينتهي في الربيع، علماً أنني تحدثت في الوقت نفسه عن خطة لعشر سنوات. وكتب الكثير عن خطة السنوات العشر والعام ألفين. لا يعقل أن نتوقع نتائج في الربيع ونحن نشعر بحجم المشكلات وما يحتاج التغلب عليها من إمكانات وجهد ووقت. وربما هنا تظهر براعة السياسيين في تحوير الأشياء.

لا شك في أن ممارسة الحكم في لبنان عمل صعب. هناك مطالب متعارضة وهي كثيرة، وهناك صعوبات قديمة ضاعفتها الحرب. ويجب ألا ننسى أن الحرب انتهت من دون غالب أو مغلوب.

عندما تنتهي الحرب بغلبة فريق يوطد هذا الفريق سلطته ويفرض برنامجه. أما حين تنتهي الحرب من دون غلبة من هذا النوع فإن التسوية تفرض الأخذ برأي الجميع. طبعاً من حسن حظ لبنان أن الحرب انتهت بتسوية تحفظ حقوق الجميع وأدوارهم، وهذا من طبيعة تركيبة لبنان. لا شك في أن أجواء الانتخابات والمقاطعة لم تسهل الانطلاقة التي كان يؤمل حصولها، والأمل هو أن تؤدي الانتخابات المقبلة دورها في الدفع والتصحيح وترسيخ المناخات الطبيعية.

بعد عامين يمكن القول إن ما حققناه كان أقل مما كنا نأمل. لكنه لم يكن قليلاً إذا أخذنا في الحساب الظروف والتعقيدات. هناك ما يمكننا أن نفاخر به، وهناك أمور كنا نتمنى لو أنها حدثت في صورة أفضل أو في صورة أخرى. في عملية التقويم وفي عملية المحاسبة لا بد من الالتفات إلى الظروف، أي إلى الواقع السياسي والاقتصادي والاجتماعي. هناك مشاكل ملموسة.

على سبيل المثل، إن المقاولين اللبنانيين القادرين على التنفيذ لم يعودوا موجودين تقريباً، وإذا وجدوا فإن إمكاناتهم ضعيفة ولا بد لهم من الوقت لتجهيز أنفسهم بالكفاءات البشرية والمعدات. هذا الموضوع أحرص عليه تماماً لأن عملية البناء نفسها يجب أن تساهم في إيجاد كوادر مدربة وأن يرجع المقاول اللبناني ليأخذ دوره. هذه كانت إحدى ثرواتنا الأساسية. اللبنانيون عمروا بلدهم وعمروا في الخارج أيضاً. الأوضاع تتحسن الآن، وعلى رغم بعض التأخير فإن الأكيد أن وضع المقاولين اليوم أفضل مما كان لجهة الكوادر والتجهيز.

علينا أن نتذكر أيضاً أن الحرب لا تلحق الضرر بالحجر وحده. فعلى صعيد الأداء السياسي مثلاً أظهرت الشهور الماضية نوعاً من الانحطاط السياسي يتمنى المرء لو أنه لم يره. النقاش السياسي شيء وتوزيع الافتراءات والاتهامات بلا أساس شيء آخر. إن القانون في البلد يحمي، ويا للأسف، حرية التشاتم. إذا شتمك أحدهم تستطيع أن تشتمه لكن القانون ليس قادراً على حماية من يتعرض لافتراء أو تشهير. إن تحصيل الحقوق عبر القانون يستلزم طبعاً إجراءات طويلة جداً يصعب تنفيذها في العمل السياسي. فقبل أن يقول القانون كلمته يكون الضرر قد حصل والافتراء حقق غرضه. اجتمعت مع هيئة تحديث القوانين وقلت إن على رجال الفكر والقانون إيجاد طريقة لحفظ كرامة الناس وجعل القانون المرجع الفاعل. إن ما يثلج الصدر هو أن الألاعيب لا تنطلي على الناس، حتى ولو نجح مروّج الافتراءات في اجتذاب الناس ليوم أو اثنين. لا شك في أن قدرة الناس على تمييز النقد البناء من التجريح والتهديم هي اليوم أكبر.

الحقيقة أن همي الأول في العامين الماضيين كان إحياء فكرة الدولة والمؤسسات بعدما روجت الحرب فكرة غياب الدولة أو تقاسمها. لا يمكن بناء السلام الداخلي من دون قيام دولة لا تنفصل فيها الحقوق عن الواجبات والحرية عن المسؤولية. فالدولة هي المرجع وهي الضمان للحقوق والمصالح. وبناء الدولة ليس مهمة سهلة. علينا أن نعترف بأننا نجحنا في أمور ولم ننجح في أخرى. أبرز ما لم ننجح فيه هو الإصلاح الإداري، وقد انعكس سلباً على صورة الحكم. أصدرنا في الحكومة قرارات وأبعدنا نحو ٧٠٠ موظف. بسبب القانون الذي صدر والشكل الذي صدر فيه أعاد مجلس شورى الدولة معظم الذين صرفوا. هناك أمور يعرفها الناس لكنها غير موجودة في الملفات. وبالتالي عاد الفاسدون إلى الإدارة بشراسة

أشدّ. ولهذا نرى الكلام على الفساد كثيراً لكنه مبالغ فيه كثيراً، وهو يستخدم لأسباب سياسية هدفها النيل من صورة النظام السياسي العام.

لا بد من تقسيم الإدارة. فإذا كان الكلام على الالتزامات الكبيرة فالاتهامات ليست صحيحة. كل الالتزامات الكبيرة تتم بحسب الأصول، وهي في أيدي أناس لا غبار على تصرفاتهم. هناك كلام على مسألة العقود بالتراضي وفيه تضخيم. العقود بالتراضي أظهرت عبر التجربة أنها وفّرت أسعاراً أقل بكثير من المناقصات. وغالبية العقود بالتراضي هي مع الجيش الذي طلب الإذن بإجراء عقود بالتراضي. وبعد تجارب ظهر له أن هذا الأسلوب يوفر عليه ما بين ٣٠ و٧٠ في المئة. ما يهم في النهاية هو مصلحة الخزينة وسرعة التنفيذ. ولهذا الغرض وافقنا في مجلس الوزراء على إعطاء الجيش وإدارات أخرى هذا الإذن. تم تضخيم مشروع الاتفاقات بالتراضي، تضخيماً غير حقيقي. مثلاً حين نشتري من الأميركيين معدات بـ ٥ في المئة من ثمنها، الطريقة القانونية لهذا الشراء اسمها الاتفاق بالتراضي ولا طريقة أخرى. هذا ما يحصل حين تشتري ناقلة جنود بعشرة آلاف دولار ويكون ثمنها الأصلي نصف مليون دولار. اشترينا من الأميركيين مجموعة من المعدات كانت موجودة في ألمانيا بأسعار زهيدة. وكي تتمكن وزارة الدفاع اللبنانية من الاتفاق معهم لا بد لها من طلب الإذن وتسمية الاتفاق اتفاقاً بالتراضي.

هناك وزارات أخرى مثل وزارة الموارد أبرمت عقوداً بالتراضي. لدينا مشكلة مياه وأسلوب العقود بالتراضي يوفر وقتاً أيضاً. والتراضي لا يعني استدعاء شخص للاتفاق معه. تطلب المؤسسة أسعاراً من سبعة

أو ثمانية من المقاولين المعروفين بالظرف المختوم ويعطى العقد للسعر الأدنى. التسمية تفتح الباب للتفسيرات، ذلك أن الكلمة القانونية تعطي معنى غير المعنى الحقيقي. العقود بالتراضي لا تشمل مبالغ كبيرة. مثلاً وزارة الموارد وقعت عقوداً للكهرباء بحدود ٣٠٠ مليون دولار وستوقع عقوداً بحدود ٥٦٠ مليون دولار. هذه الأمور ليست بالتراضي بل بمناقصة دولية. والأمر نفسه بالنسبة إلى الهاتف والمطار والمدينة الرياضية والأوتوسترادات ونفق نهر الكلب. معظم الأشغال يتم في مناقصات عامة.

نعود إلى الإدارة، إنها مضبوطة في المستويات العليا. أما تحت ذلك، فهناك عدد من الموظفين حاولنا أن نستغني عنهم لكن القوانين لم تسمح، ولو سمحت لتحسنت الأوضاع. وهناك أيضاً تدخلات من السياسيين. وغالباً ما تكون هذه التدخلات من أولئك الذين ينتقدون وضع الإدارة.

■ **إذاً ما هو الحل بالنسبة إلى عودة الموظفين الذين سبق أن طهرتهم الحكومة؟**

ـ الحل هو في تفعيل المؤسسات الرقابية مثل مجلس الخدمة المدنية والتفتيش المركزي والمجلس التأديبي، إضافة إلى تفعيل ديوان المحاسبة ودعمه.

■ **دولة الرئيس، يصعب الاعتقاد بأن التعيينات الإدارية ساهمت في تحسين أداء الإدارة أو صورة الدولة؟**

ـ هذا صحيح. إنه خطأ، وكان يجب ألا يحدث، حصل نتيجة لوضع البلد. عملياً لا يمكن إبعاد التعيينات الإدارية عن الوضع

السياسي للبلد. هناك من يحاسب الحكومة كأن الحرب انتهت من ١٥ سنة وأن الأوضاع استقامت. بصراحة، الأوضاع لم تستقم بنسبة مئة في المئة لكنها تسير في طريق الاستقامة. أنا أتمنى أن ينظر أيضاً إلى التعيينات الجيدة لا فقط إلى تلك التي ترتسم حولها علامات استفهام.

■ هل كانت تعيينات أمر واقع؟

ـ إنها من نتائج الوضع السياسي الذي قام بعد الحرب. هذا الوضع لا يمكن عدم أخذه في الحساب. المسألة موجودة في المجلس النيابي ومجلس الوزراء وبالتالي لا بد من انعكاسه على الإدارة.

■ هناك من يتحدث عن تسوية بين اتفاق الطائف وحكم الميليشيات؟

ـ لا نستطيع الحديث عن حكم الميليشيات ولا أن نقول إن الوزارة وزارة ميليشيات، أو إن المجلس النيابي مجلس ميليشيات. لا شك في أن الميليشيات موجودة في معظم المؤسسات، لكن ليس صحيحاً أن الميليشيات تسيّر المؤسسات التي دخلتها. إنها جزء من التركيبة في البلد ويتم استيعابها وكل شيء يتطلب وقتاً.

■ هناك خوف من غلبة منطق الميليشيات على منطق الدولة داخل الدولة؟

ـ منطق الدولة هو الذي يغلب في معظم الأحيان، لكن الأخطاء التي تظهر تشبه البقع السوداء في الثوب الأبيض ولذا تتحدث الناس عن البقع أكثر من الثوب.

■ خصومك يقولون إنك تحاول بناء دولتك ضمن الدولة ويعطون مجلس الإنماء والإعمار مثلاً على ذلك؟

ـ هذا الكلام غير صحيح. نحن نحاول أن نبني الدولة، والعملية مستمرة سواء في الأمن أو الوزارات أو مجلس الإنماء والإعمار أو مجلس تنفيذ المشاريع الكبرى لمدينة بيروت أو مجلس المشاريع الإنشائية. لا أحد يستطيع الادعاء أن وضع الوزارات اليوم شبيه بما كان عليه قبل عامين. لم يكن لدى الوزير مكتب وسكرتيرية وهاتف. الوزارات تعمل اليوم. ثم إن مجلس الإنماء والإعمار موجود منذ أيام الرئيس سركيس، حتى مجلس إدارته لم أعينه أنا بل عيّن في أيام الرئيس عمر كرامي. رئيس المجلس كان يعمل في شركة تابعة لي، لكنه عيّن قبل أن أتولى رئاسة الوزراء ومجلس الإنماء والإعمار يقوم بدوره.

■ قيل إنك اتخذت موقفاً سلبياً من الرئيس سليم الحص لأنه رفض تعيين الفضل شلق رئيساً لمجلس الإنماء والإعمار؟

ـ لا. هذا الكلام غير صحيح. لم يحدث أن اتخذت موقفاً سلبياً من الدكتور سليم الحص. نحن نحاول بناء الدولة. وفقنا في أماكن وكان التوفيق أقل في أماكن أخرى. الجيش والأمن الداخلي جزء من الدولة. ومصرف لبنان يشهد الجميع على متانة وضعه وتصرفات إدارته، وكذلك مجلس الإنماء والإعمار.

■ إلى أي حد اهتزت صورة الدولة بفعل حروب الرئاسات؟

ـ هذا أمر غير سليم ولا يجوز أن يحصل.

■ أين المشكلة في العلاقة بين الرئاسات؟ هل هي سعي كل رئيس إلى تمثيل طائفته أم تشابك النصوص؟

ـ تشابك الصلاحيات غير وارد. في تقديري الشخصي أن الحل يكون بأن يقوم كل واحد بدوره.

■ تقصد أن يمارس كل واحد صلاحياته؟

ـ نعم أعتقد أن هذا هو المطلوب. طبعاً الاجتماعات الدورية مهمة جداً سواء أكانت ثلاثية أم ثنائية. التنسيق ضروري وكذلك توضيح الأفكار. نظام الطائف جديد.

■ هل يعني ذلك أنه قيد التجربة؟

ـ إنها عملية دوزنة. كلنا نذكر كم كان حجم المشاكل في السنوات الأولى من عهد الرئيس الهراوي بين السلطات. الآن هناك مشكلات لكنها أقل. ربما كان تأثيرها اليوم أكبر لأن المشاريع كبيرة. نحن في الحكومة لدينا مجموعة ضخمة من المشاريع. لدينا مشروع للبلد. وهذا المشروع يستلزم تعاوناً مع السلطة التشريعية. السلطة التنفيذية لا تستطيع العمل من دون تعاون مع السلطة التشريعية التي تحتاج بدورها إلى أن تتفهم كي تتمكن من أن تشرع.

■ هل هناك جانب شخصي في الحساسيات الرئاسية؟

ـ لا أعتقد. وفي أي حال ليس هذا الجانب هو المهم في المشكلة. قبل الانتخابات ومجيء الرئيس نبيه بري ومجيئي، كانت المشكلات موجودة بين الرؤساء. أعتقد أن المصارحة والوضوح يساعدان على تجنب الأزمة. في الحكومة لدينا مشروع سياسي

واقتصادي واجتماعي. وأنا كرئيس حكومة لدي مشروع للبلد. لم آتِ لضبط الليرة، لدي مشروع سياسي ومشروع اقتصادي.

■ ما هو المشروع السياسي؟

ـ تنفيذ اتفاق الطائف. لو لم تُقاطع الانتخابات، بغض النظر عن الأسباب، لكان جزء كبير من المشكلة السياسية في البلد قد حُلّ.

■ هل كان المجلس أكثر توازناً؟

ـ كان المجلس ضم الذين قاطعوا وكانوا شاركوا في المجلس والحكومة.

■ هل حاولت تحاشي مسألة الانتخابات والمقاطعة؟

ـ أنا شاركت في الانتخابات. كان يمكن أن يصدر قانون انتخابات أفضل، ومع ذلك فإن المقاطعة لم تكن محمودة. حديث الانتخابات والمقاطعة طويل.

■ دولة الرئيس، ما هي المهمة الأكثر إلحاحاً الآن؟

ـ متابعة بناء الدولة. المنطقة تتجه نحو السلام حتى ولو تأخر قليلاً. إسرائيل تريد السلام بشروطها. إذا تمكنا نحن وسورية من الصمود ـ وأنا أعتقد أننا سنصمد ـ فسنصل إلى السلام الذي نتطلع إليه. الإشكال السياسي في لبنان تحله الانتخابات. لكن خلال عملية البحث عن السلام كما بعد الوصول إليه لا بد للبنان من إعداد نفسه ليتحمل انعكاسات ما قبل السلام وما بعده. والإعداد إعماري وإنمائي، وهذا ما هدفت إليه الحكومة في خطتها الأخيرة.

لماذا الخطة ولماذا المشاريع؟ لأن البلد لا يستطيع الصمود من دون بنية تحتية تساعده إذا طالت عملية البحث عن السلام. ولا يستطيع مواجهة انعكاسات السلام من دون بنية تحتية قوية واقتصاد قوي. نحن اليوم كمن يأكل لحمه. لدينا عجز سنوي مرشح للزيادة من دون وجود أفق للتنمية. كل إنفاقنا على الرواتب وفوائد الدين العام وتسيير شؤون الدولة. كيف سنسدد الدين؟ لا سحر في هذا المجال، فإما زيادة الضرائب وإما خفض الإنفاق. وزيادة الإيرادات إما بالضرائب وإما بزيادة التنمية. حين يتحسن الوضع الاقتصادي تزداد إيرادات الدولة في صورة طبيعية، أي حين يزيد الدخل القومي. وزيادة الدخل القومي لا تتأتى إلا بزيادة الاستثمارات. ليس لدينا غاز أو بترول أو موارد طبيعية من هذا النوع.

■ ما هي العلاقة بينك وبين العميد ريمون إده؟

ـ بيني وبين العميد إده أمور أساسية نتفق عليها وأمور أساسية نختلف عليها وأمور فرعية نتفق عليها في غالبيتها. العميد رجل آدمي ووطني، يحكي قناعاته بغض النظر عن الموافقة عليها أو معارضتها. رجل لديه قناعاته وهو في الغالب لا يغيرها. مواقفه نابعة من قناعاته. لا أحد يمون على العميد. لديه تصور للوضع نتفق معه في نقاط ونختلف في نقاط، لكن الاحترام قائم في كل الحالات.

■ يبدو كأن بينك وبين الرئيس صائب سلام علاقة خاصة؟

ـ نعم صحيح. الرئيس صائب سلام الشيء نفسه. رجل أحبه وأحترمه كثيراً. أتفق معه في أمور عدة وربما اختلفنا في بعض

الأمور، لكن الاحترام موجود دائماً. صائب سلام زعيم كبير وهو ما يقرّ به حتى خصومه.

■ **انطباعك عن المرحوم رشيد كرامي؟**

ـ دفع الشهيد رشيد كرامي حياته ثمناً لمواقفه المعروفة ووطنيته. كان يؤمن إيماناً عميقاً بلبنان وبالعيش المشترك. وكان يعرف كيف يتعامل مع السلطة، وكانت له مع سورية علاقة واضحة وصريحة، وموقفه من إسرائيل كان واضحاً وصريحاً. وهو تعاون بنجاح مع عدد من رؤساء الجمهورية.

■ **وتقي الدين الصلح؟**

ـ عرفت تقي الدين الصلح خارج السلطة. كان رحمه الله، إضافة إلى طيب معشره، صافي الذهن وينظر إلى الصراع العربي ـ الإسرائيلي بصفته صراعاً حضارياً وقصة أجيال. كان معارضاً بقوة لاتفاق ١٧ أيار. وأنا سمعته يقول هذا الكلام في منزل عدنان قصار. قلت له يومذاك إن هناك مخاوف من أننا نمر في العصر الإسرائيلي؟ فأجاب: يا أبو بهاء ليس هناك شيء اسمه العصر الإسرائيلي. جاء العسكر لتأديبنا، لكن هذا الأمر لا يوصل إلى أي مكان.

أنا لم أعرف كل رؤساء الحكومة. عرفت سليم الحص وشفيق الوزان وصائب سلام ورشيد الصلح وعمر كرامي ورشيد كرامي إضافة إلى تقي الدين الصلح. في الفترة التي عرفتهم فيها كانت البلاد تمر في ظروف صعبة، وبالتالي لا يمكن أن نحكم على أدائهم لأن الظروف كانت استثنائية من نواح كثيرة. لو كانت ظروف

البلد مختلفة لربما قام كل واحد منهم بمهمته. كانت الظروف صعبة.

■ **هناك من يقول إن رئيس الحكومة كان يشاكس في الجمهورية الأولى ليثبت أنه موجود وله الحق في دور الشريك، وإن الأدوار انقلبت اليوم فبات رئيس الجمهورية يحتاج إلى المشاكسة ليكون شريكاً؟**

ـ أنت تتجاوز اتفاق الطائف. إنك تعقد مقارنة بين وضعين مختلفين وحالتين كل واحدة منهما حصلت في ظل دستور. هناك دستور جديد بعد اتفاق الطائف. وهذا الدستور منح رئيس الجمهورية صلاحيات كافية للمشاركة في الحكم، ومنح مجلس الوزراء صلاحيات تكفي لكي يكون السلطة التنفيذية.

■ **لو كان رئيس الجمهورية قوياً فهل تبقى لعبة التوازنات بين الرئاسات على حالها؟**

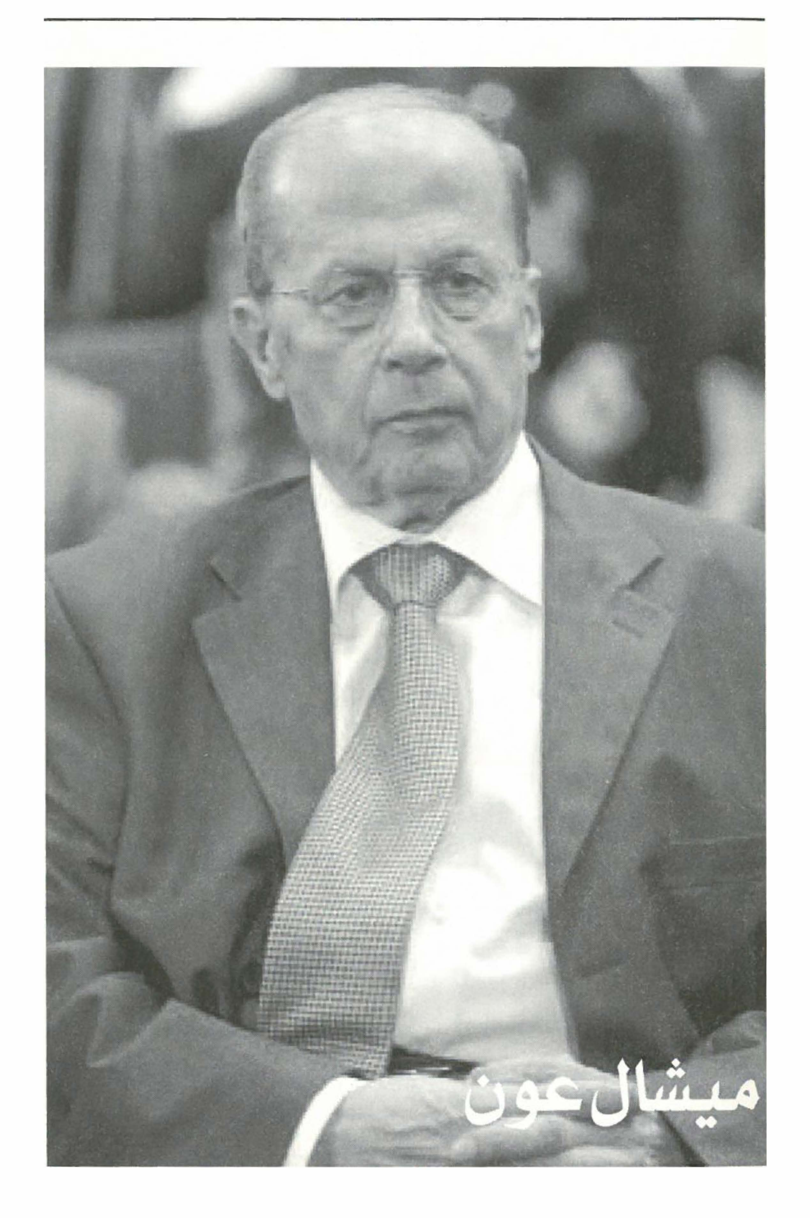
ـ الرئيس الهراوي قوي وليس رئيساً ضعيفاً. إذا كان المقصود بكلامك أنه رئيس ضعيف فهذا غير صحيح. الرئيس الهراوي قوي جداً. يعرف الدولة اللبنانية جيداً وكيف تعمل. والحقيقة أنه اتخذ قرارات صعبة. طبعاً هناك من لا يؤيد هذه القرارات أو من يعطيها تفسيرات مختلفة، لكنني أقول بكل تجرد، إن الرئيس الهراوي رئيس قوي.

ربما حكم الناس بعد فترة طويلة على الرئيس الهراوي أفضل مما يحكمون عليه حالياً لأنه بعد فترة تبقى الأعمال الكبيرة دون غيرها من التفاصيل.

الرئيس الهراوي تسلم رئاسة الجمهورية في أبلح وكان البلد مقسماً، حتى بعبدا التي كان يرابط فيها ميشال عون كانت آنذاك ترسانة مسلحة. لا تقل لي إن الحرب أفضل من السلم. هذا الكلام غير صحيح. الأعمال التي قام بها الرئيس الهراوي أو التي حصلت في عهده، وكان أساسياً فيها بحكم موقعه، أدت إلى وحدة البلد والجيش والمؤسسات الأمنية. ولدينا برلمان وحكومة ورئيس جمهورية وطرق مفتوحة بعضها على بعض. في السابق كان مطلب الناس وقف القصف، واليوم يطالبون بالماء والكهرباء أي بالشؤون الطبيعية للحياة. الآن عدنا إلى البحث في نسبة التضخم وفي الدخل القومي أي في تفاصيل الوضع الاقتصادي والحياة وعدد السياح وهل نبني قصر المؤتمرات أو لا نبنيه. عادت الحياة السياسية إلى البلد في شكل طبيعي. هموم الصحف هنا الأسعار والبطالة وغيرها هي نفسها هموم الصحف الفرنسية، إننا نعود إلى الحالة الطبيعية. وفي كل هذه الأشياء لم يكن الرئيس الهراوي ضعيفاً.

■ الرئيس الهراوي صديقك منذ مطلع الثمانينيات، هل تعتقد أن السياسة تضرب الصداقات؟

ـ هذا الأمر يصح إذا لم يكن السياسي ـ الصديق على صورة الرئيس الهراوي. لكن دعني أقل لك ماذا يحدث. لنأخذ مثلاً وضعي ووضع الرئيس الهراوي. صحيح تحدث بيننا خلافات، هنا لا بد من الالتفات إلى مجموعة عوامل أو فوارق تتعلق بالعمر أو بالثقافة أو البيئة أو الموقع. توقع تطابق المواقف ليس واقعياً ولا إنسانياً فلكل شخص أسلوبه وخبرته ونظرته. الواقع أن وجود صداقة بين رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء يسهّل حل الخلافات التي يمكن أن تظهر بينهما. أقصد أن الصداقة مفيدة.


ميشال عون

قصة لبنان مع الخريف طويلة. وربما هي الصدفة شاءت أن يولد الاستقلال اللبناني في الخريف ليبقى ربيع الاستقلال مهدداً بجاذبية الانتحار والاغتيال.

في الخريف ماتت الجمهورية الأولى وتحديداً حين غادر الرئيس أمين الجميل قصر بعبدا في ليلة ٢٢ ــ ٢٣ أيلول (سبتمبر) ١٩٨٨ تاركاً القصر في عهدة العماد ميشال عون، رئيس حكومة العسكريين الذي حاول استرجاع الربيع على طريقته.

وفي الخريف التقى النواب اللبنانيون في الطائف وولدت وثيقة الوفاق الوطني. وفي الفصل نفسه انتخب الرئيس رينيه معوض واستشهد مع الاستقلال وانتخب الرئيس الياس الهراوي.

في الخريف أزيح الجنرال عون من قصر بعبدا (١٣ تشرين الأول

ـ أكتوبر ١٩٩٠)، وفي الخريف انتخب نبيه بري رئيساً للمجلس النيابي واعداً بإنهاء خريف الحياة البرلمانية، وكلف رفيق الحريري بتأليف الحكومة واعداً بإنهاء خريف الليرة وفتح الباب لربيع الإعمار.

كأنما كتب على لبنان أن تكون استحقاقاته خريفية. ففي هذا الشهر تهب رياح الانتخابات الرئاسية في لبنان وسط مؤشرات إلى رجوح كفة التمديد للهراوي على قاعدة أن الاستمرار ضمان الاستقرار.

في الفترة الماضية كانت لنا محطات مع الوزير وليد جنبلاط والرئيس حسين الحسيني والرئيس رفيق الحريري والعميد ريمون إده. ووسط انشغال الخريف اللبناني الحالي بحديث التعديل والتمديد كان لا بد من زيارة لذاكرة الجنرال في منفاه في لاهوت ميزون (فرنسا). لم يهجم الخريف على إرادة الجنرال، ويقر خصومه بأن شعبيته لم تبلغ خريفها. سألناه فتذكر الطفولة وطريق المدرسة الحربية وقيادة الجيش والثمانينيات الصاخبة وقصر بعبدا ورؤساء وزعماء.



■ جنرال، هل اشتقت إلى قصر بعبدا؟

ـ لا، أنا أشتاق إلى الصنوبر والزيتون والتين. أنا لا اشتاق إلى قصر. انا لا أحب المدينة أصلاً. أنا أحب رائحة زهر الليمون. منذ لحظة تسلمي رئاسة الحكومة كلفت أبواق إعلامية تشويه صورتي وتقديمي عاشق سلطة أو متسلط أو متشدداً يصعب التفاهم معه. كل ذلك للنيل من موقفي. لو كنت عاشق سلطة لقبلت بها بأي ثمن. أنا عسكري اخترت الجيش وأحب الأرض ولا مطامح سلطوية أو مالية

لي. أمضيت عمري ضابطاً ميدانياً أنام على السرير الميداني حتى حين كنت قائداً للواء.

■ **كيف تنظر إلى قضية «الترويكا»؟**

ـ المطلوب حكم مشلول ليبقى القرار في يد المرجعية الخارجية.

■ **أنت تجزم بأن الرئاسة عرضت عليك؟**

ـ نعم.

■ **ومن سورية؟**

ـ نعم.

■ **في أي مرحلة؟**

ـ بعد الصدام الأول مع «القوات اللبنانية» (١٤ شباط/ فبراير ١٩٨٩)

■ **من نقل إليك العرض؟**

ـ لن اقول الآن. في أي حال رئيس الجمهورية حالياً أقل من رئيس الوزراء. أستغرب أن يطلوا من التلفزيون ويقولوا إنهم مرشحون لرئاسة الجمهورية. هل قرأوا الدستور وعرفوا الصلاحيات؟

■ **ماذا حدث في ٢٢ أيلول/سبتمبر ١٩٨٨، أي في اليوم الأخير من عهد الرئيس الجميل؟**

ـ صباحاً كان عليّ زيارة الطبيب لتغيير الضمادات ليدي المكسورة.

اتصل رئيس الجمهورية بمنزلي. مررت على المستشفى وصعدت إلى القصر الجمهوري فوجدت الرئيس شارل حلو عند الرئيس الجميل. قال لي الجميل: لم يعد أمامنا غير أن نؤلف اليوم حكومة انتقالية، الرئيس حلو اقترح أن تكلف أنت تأليف الحكومة، وأنا رأيي أن يكلف بيار حلو وأن تتولى أنت حقيبة الدفاع لتساعده في الظروف الحالية. أجبت: «لا مانع لدي فخامة الرئيس لكن على أساس احتفاظي بقيادة الجيش لأنني لا أطمح أصلاً إلى أن أكون وزيراً وآمل أن تكون الفترة قصيرة جداً وأبقى بعدها في قيادة الجيش». وتوجهت إلى اليرزة على أساس أن يتصل بي سيمون قسيس لحظة تأليف الحكومة. حان وقت الغداء فقلت لسيمون: هل أذهب وأتغدى في البيت؟ فقال: لا القصة ستنتهي الآن. تغدينا في اليرزة ثم جاء موعد العشاء.

■ **هل أجريت خلال النهار مشاورات مع جعجع؟**

ـ إطلاقاً. ولم اتحدث في موضوع الحكومة مع أحد باستثناء ما قلته في حضور حلو والجميل.

■ **ألم تكن تخطط لتولي رئاسة الحكومة؟**

ـ إطلاقاً، ولهذا طلبت أن أستمر في قيادة الجيش عندما طلب مني أن أكون وزيراً.

■ **لكنك كنت تلوّح أمام الضباط بأنك لن تترك البلد يندفع إلى فراغ؟**

ـ أنا كنت قائداً للجيش وهو أكبر مؤسسة شرعية تضم لبنانيين من كل الفئات والمناطق. أنا بصفتي قائد جيش لا أستطيع الهرب أو

التهرب وترك البلاد تضيع وأن تفتك الناس بعضها ببعض. قادة الجيوش في العالم ينظمون انقلابات ويستولون على السلطة. نحن لسنا كذلك لكن من حقنا أن ننبه إلى خطورة الفراغ وأنه مرفوض. الجيش مؤتمن أيضاً على وحدة الأرض والشعب وسلامة المواطنين. هل تريد مثلاً أن يحصل فراغ كامل وأجمع أوراقي وأذهب إلى منزلي وأكون فزت بسلامتي؟ أنا كنت ضد حصول الفراغ لكنني لم أطلب دوراً ولم أقترع مباشرة ولا بالواسطة ولم أضغط على أحد ولم أفاتح أحداً.

عند المساء سألت قسيس فقال: بعد قليل. في الليل، حوالي التاسعة اتصلوا بي فظننت أن حكومة ألّفت فصعدت إلى القصر الجمهوري لأكتشف أنهم لم يفعلوا شيئاً. اقترح أحد الحاضرين، ولا اذكر جيداً هل كان جوزف الهاشم أم لا، أن أؤلف أنا الحكومة وبدأ نقاش في الموضوع بعدما اعتذر بيار حلو عن تأليفها. طرحت عليّ صيغة تضم المجلس العسكري ومدنيين من المنطقة الشرقية بينهم ممثلون لـ «القوات اللبنانية». لم يكن وارداً أن أوافق على صيغة من هذا النوع، فكيف تؤلف حكومة تضم المجلس العسكري و«القوات اللبنانية»؟ إن مجرد تأليفها على هذا النحو يعطي عذراً لضربها. طرح أمين الجميل صيغاً عدة. قلت له: إذا كنت انا سأشكل الحكومة فإن الصيغة المنطقية الوحيدة هي أن تتشكل الحكومة من أعضاء المجلس العسكري. فهذا المجلس عينته حكومة الرئيس كرامي وهو بطبيعته متوازن طائفياً ويمثل الجميع. قال لي الجميل: هل ستتشاور مع أعضاء المجلس، فقلت له: نحن لا نجري مشاورات سياسية، نحن عسكر ونقبل هذه المهمة كأنها مهمة عسكرية.

بعد الإقرار بصيغة المجلس العسكري اتصلت بأعضائه جميعاً وقبلوا المهمة وأعربوا عن أملهم في أن تمر على سلامة، وسألوني هل يجب أن يحضروا فوراً فقلت لهم نجتمع صباحاً لأننا صرنا الآن عند منتصف الليل. ما أن أعلنت الحكومة حتى صدرت في الإذاعات بيانات تعلن استقالة ثلاثة من أعضاء المجلس من دون التشاور معهم واقفلت الطرق. لو كنت أخطط لتولي رئاسة الحكومة لما وافقت على تولي حقيبة الدفاع في حكومة برئاسة بيار حلو. طبعاً استقالة الضباط الثلاثة كانت بفعل ضغوط خارجية.

■ في ١٤ شباط (فبراير) ١٩٨٩ وقع أول صدام بين الجيش و«القوات اللبنانية»؟

ـ في أواخر كانون الثاني (يناير) ذهبنا إلى تونس بدعوة من اللجنة السداسية العربية. ذهبت أنا وذهب سليم الحص وحسين الحسيني، واجتمع كل منا على حدة مع اللجنة وعرض وجهة نظره. يومها غادرت بيروت إلى قبرص بالهليكوبتر ومنها إلى تونس في طائرة تابعة لشركة طيران الشرق الأوسط ودفعنا أجرتها (يضحك). وكان رأي اللجنة أن سليم الحص تكلم سنياً وحسين الحسيني تكلم شيعياً والعماد عون تكلم لبنانياً.

يومها في تونس قلت: «لا يحكم لبنان من دمشق ولا يمكن من بيروت ضد دمشق». رسمت في جملة ما يمكن أن يكون الإطار الطبيعي للعلاقات بين البلدين. لكن الطرف الآخر لم يكن على استعداد لأن يسمع (...).

في تونس طلب نائب رئيس الوزراء وزير الخارجية الكويتي الشيخ صباح السالم الصباح منا، أنا والحسيني والحص، أن نلتقي إلى مائدة

غداء. رددت بالإيجاب على اقتراحه فأنا صاحب قراري وبديهي أن يلتقي اللبنانيون ولو من مواقع مختلفة. اتصل الحسيني والحص بعبدالحليم خدام لاستئذانه فأسمعهما كلاماً قاسياً واعتذرا وألغي الغداء.

نقل إلي احد الأصدقاء رغبة السيد ياسر عرفات في الاجتماع بي. اجتمعنا. كان الحديث قصيراً ومثمراً. قلت له: أعداء القضية الفلسطينية ليسوا في لبنان ونحن نريد أن يسترجع صاحب الحق حقه والبندقية الفلسطينية يجب أن تكون حيث يجب أن تكون. تجاوب عرفات تماماً وقال إنه يضع بندقيته في تصرف لبنان. أعتقد بأن ما جرى لاحقاً أظهر أنه لم تكن هناك مشكلة بين الأفراد وبين القيادات ما دام أن منظمة التحرير سلمت أن أعداءها ليسوا في لبنان. طبعاً بقي الخلاف الفلسطيني ـ السوري والخلاف بين منظمة التحرير والأحزاب الموالية لسورية، وهذا الخلاف بين المنظمة ودمشق عنصر أساسي في فهم ما جرى على أرض لبنان.

■ **ألم يكن للجيش اللبناني دور في حرب «المخيمات»؟**

ـ لا. لكن اللواء السادس في الجيش شارك فيها.

■ **ألم تزوّده ذخائر؟**

ـ كانت لديه مخازنه.

■ **كنت قائداً للجيش حين اغتيل الرئيس رشيد كرامي في أول حزيران (يونيو) ١٩٧٨ في طوافة تابعة للجيش، لماذا رفضت اتخاذ إجراءات بحق العسكريين؟**

ـ في مثل هذه الأحداث هناك إجراءات لامتصاص النقمة وإجراءات قانونية. أنا رأيت مقتل الرئيس كرامي حدثاً مهماً وخطيراً في حياة لبنان السياسية وفي مسار الحرب. استهدف الحادث رئيس حكومة وشخصية لبنانية كبيرة. فور وقوع الحادث جاء من يقترح إجراءات ضد فلان وفلان من العسكريين. أنا قائد الجيش ولأن الرئيس كرامي اغتيل في هليكوبتر عسكرية، كنت مهتماً بأن يجرى تحقيق وأن تحدد المسؤوليات بما فيها مسؤولية الإهمال، وعندذاك تتخذ الإجراءات. وصل الأمر إلى درجة أن الرئيس الجميل اقترح في النهاية عزلي من منصبي لكن الحص عارض.

■ **كيف كانت علاقتك مع الرئيس كرامي؟**

ـ كانت علاقة جيدة. كان الرئيس كرامي رحمه الله رجلاً هادئاً ورصيناً ومتفهماً. كان اغتياله جريمة كبرى. رشيد كرامي يساير الواقع لكنه ليس من فئة التابعين، فهو رجل دولة ويحرص على الدولة على رغم الخلافات السياسية. كان كرامي واقعياً وربما مفرطاً في واقعيته، لكنني أعتقد بأنه لم يكن ليقبل بما قبل به الآخرون.

في عمليات الاغتيال علينا أن نلتفت إلى مسألة هي أن أجهزة الاستخبارات على اختلافها نجحت في اختراق القوى المتصارعة على أنواعها. وحين يريد جهاز ما اغتيال شخص ليس ضرورياً أن يوكل الأمر إلى أحد عناصره. وأحياناً كثيرة يجند الجهاز شخصاً عبر حلقات متباعدة إلى درجة أن المنفّذ قد لا يعرف الجهة الحقيقية التي يعمل لمصلحتها. وأحياناً يتخلص الجهاز من المنفذ ولا تبقى آثار أو بصمات. المهم في هذا النوع من المواضيع أن تتوقف عند الجهة

المستفيدة، وبالتأكيد فإن اغتيال الرئيس كرامي زاد من خطورة الوضع، فأنت حين تلغي الأقطاب تقطع الطريق على فرص التسوية.

■ لكن ما هي حدود مسؤولية المؤسسة العسكرية أو أفراد منها؟

ـ كانت الطائرة تغادر بيروت إلى طرابلس وتعود. من دون تحقيقات دقيقة لا تستطيع الجزم أين وضعت العبوة وهي حشوة يمكن أن توضع في أي مكان. أنا لا أتهم أحداً ولا أبرئ أحداً وأتمنى أن يكتشف المجرم الذي نفذ والجهة التي تقف وراءه. سأعطيك مثلاً: حين توليت رئاسة الحكومة كان الجنود يحاولون إبعاد الناس عني فكنت أطلب من الجنود أن يتركوا الناس. هذا خطأ أمني. في طرابلس كان الناس يتجمهرون حول الهليكوبتر أو يقتربون منها. أنا لا أرجح فرضية لكنني أقول إن الأمر يحتاج إلى تحقيق دقيق.

حصلت الحادثة فشكلنا لجنة تحقيق ضمت ضباطاً من أصدقاء الرئيس كرامي، ولم تتوصل اللجنة إلى أدلة على الفاعل. وأبلغت يومها المحقق وليد غمرة أن كل العسكريين في تصرفه ولا خيمة فوق رأس أحد من الجندي إلى قيادة الجيش. وأعود وأقول في وضع كالذي كان يمكن استئجار يد للتنفيذ. أنا مثلاً تعرضت لمحاولة اغتيال خططت للتنفيذ ضدي في قبرص، تبين أن وراءها الحزب القومي (الحزب السوري القومي الاجتماعي)، لكن الأهم من ذلك هو من أين انطلق القرار (...) في بعبدا أطلق شاب اسمه فرنسوا حلال النار عليّ. كاد العسكريون أن يقتلوه فسارعت إلى إنقاذه وقلت لهم إن حلال مثل المسدس الذي استخدمه والمهم هو من

أرسله. وتبين أن (الوزير السابق) عبدالله الأمين، الأمين العام السابق لمنظمة حزب البعث في لبنان، هو الذي أرسله وهذا يكفي.

■ **أعود إلى الصدام الأول مع «القوات اللبنانية»؟**

ـ لم يحصل صدام بل افتعل صدام. لا شك في أنك تذكر أن ريتشارد مورفي (المساعد السابق لوزير الخارجية الأميركي لشؤون الشرق الأوسط) وعدنا بالفوضى إذا لم نرضخ للتفاهم الأميركي ـ السوري (انتخاب مخايل الضاهر خلفاً للرئيس أمين الجميل). كانت هناك قوتان على الأرض، الجيش و«القوات»، ولخلق الفوضى لا بد من ضلوع احد الطرفين في محاولة إثارتها. في ١٤ شباط افتعلت عناصر من «القوات» أحداثاً وراء خطوط الجيش وأغلقت بعض المعابر. قمنا بعملية محدودة ضدها ونظفنا بعض المناطق، وحين حاولنا أن نكمل قامت الصرخة وحصلت تدخلات دولية.

■ **هل تدخلت إسرائيل مثلاً؟**

ـ قلت إن تدخلات دولية حصلت وجاءت من أكثر من جهة، أي من إسرائيل وغيرها. وأرسل البطريرك الماروني نصرالله بطرس صفير وفداً من ستة نواب طالبوا بوقف القتال علماً أن هؤلاء النواب كانوا يطالبون في السابق برأس «القوات». أوقفنا القتال.

■ **يومها تعرض سمير جعجع لمحاولة اغتيال وهو في طريقه للاجتماع بك؟**

ـ حددت نقطة للتلاقي لكي يواكبه العسكريون انطلاقاً منها وصولاً إلى قصر بعبدا. جاء من نقطة أخرى والتقى دورية وحصل

إطلاق نار وقتل أحد مرافقيه. لو كان المطلوب اغتيال جعجع فلماذا لم يقتلوه؟

■ **يقول جعجع إنه صعد إلى القصر رغم الحادث وكان في أقصى درجات المرونة وقال لك «أنا بأمرك»؟**

ـ صحيح، لكن ذلك كان موقفه النظري. موقفه العملي ظل هادئاً إلى أن دخل في عملية الطائف ثم في التفاهم الإقليمي ـ الأميركي وتعهد هنا إسقاط ميشال عون من الداخل. لم يعد سراً التحريض الأميركي لسمير جعجع (اتصال السفير الأميركي به من الشمال) وحصوله على ضوء اخضر إسرائيلي وعلى حماية سورية أثناء القتال. أبلغني السوريون أثناء القتال بواسطة مسؤول أمني لبناني حالي «أن انتصار العماد عون في القتال الدائر حالياً ممنوع والقوى جاهزة للتحرك». كان ممنوعاً علينا أن ننتصر، لكننا منعنا سقوطنا سريعاً لكي نفضح اللعبة التي ظهرت في ١٣ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٩٠.

■ **ما قصة «حرب التحرير» التي أعلنتها؟**

ـ إنها إعلان سوري للحرب علينا.

■ **لماذا سميتها إذاً «حرب التحرير»؟**

ـ وماذا تسميها حين تكون الأرض محتلة!

■ **هل كان لديك اعتقاد بأنك إذا صعّدت المواجهة مع سورية سيحصل تدخل دولي؟**

ـ حصل تدخل دولي وربحنا الدعوى ومزقت أميركا الورقة. هل

تذكر التقرير الأول للجنة الثلاثية العربية الذي ألغاه جيمس بيكر (وزير الخارجية الأميركي الأسبق). أنا لم أخسر الدعوى أمام العرب بل خسرتها أمام أميركا. وأثر الموقف الأميركي في الموقف العربي. المراجع العربية أعطتني الحق في موقفي لكن حسابات الولايات المتحدة في المنطقة هي التي تغلبت. لننتظر قليلاً، إن هضم لبنان ليس سهلاً وقد يكون خطيراً على سورية.

لهذا أقول للسوريين تعالوا لنتفق على علاقات متوازنة وطبيعية بين البلدين والدولتين لأن كل ما هو موجود حالياً قد لا يستمر إذا مرت سورية في مرحلة ضعف. إذا تغيرت معادلة القوى الحالية فلن تكون العلاقة الحالية مقبولة سواء كان الذي يحكم لبنان مسلماً أو مسيحياً. الأوضاع غير الطبيعية لا يمكن أن تدوم. يبقى ما هو منطقي ومقنع، أما ما فرض فلا يبقى. نحن دعاة علاقات طبيعية تقوم على التعاون والمصالح المتبادلة وحسن الجوار. هؤلاء الذين مشوا ضد سورية ثم مشوا معها سيمشون ضدها حين يتغير ميزان القوى. هؤلاء بمواقفهم الحالية يشجعون سورية على السير في النهج الخاطئ الذي قد يرتب آثاراً سلبية في العلاقات بين الشعبين مستقبلاً. أنا لم أغير حرفاً في كلامي عن سورية، كنت أقول من بعبدا إنني لست في خلاف مع سورية في سورية، أنا في خلاف مع سورية في لبنان. ما طالبت به وما أطالب به حالياً هو بديهيات، أي أن يكون القرار في لبنان لبنانياً فهل هذا كثير؟

■ **انتخب النائب رينيه معوض رئيساً، ألم يحدث اتصال بينكما؟**

ـ اتصال مباشر لا، لكن حصلت اتصالات بواسطة أطراف ثالثة.

دعني أقل صراحة إن المشكلة لم تكن بين رينيه معوض وميشال عون. كنت أعرف رينيه معوض. لي علاقة سابقة معه ومع عائلته وبيننا خبز وملح. لم تكن هناك عداوة بيننا وكنت أعرف أنه لا يتجاوز حدوداً معينة. كان الظرف السياسي يقضي بأن أسجل رفض الشعب اللبناني لما سيفرض عليه.

■ **ألست نادماً لأنك لم تسلم القصر إلى معوض؟**

ـ معوض لم يقتل لأنه لم يتسلم القصر. قتل لأنه رأى أن ثمة خطوطاً حمراً لا يجوز تجاوزها.

■ **هناك من يقول إن حالة ابتهاج سادت قصر بعبدا إثر اغتياله؟**

ـ هذا كلام رخيص جداً لا بل أقول إنه كلام حقير.

■ **ماذا شعرت لحظة اغتيال معوض؟**

ـ بمحاولة لإعادة الفراغ.

■ **هناك اتهام لك بأنك غير واقعي وأنك لا تلتفت إلى عقارب الساعة الإقليمية والدولية قبل اتخاذ قراراتك؟**

ـ هذه اللعبة الإعلامية ليست بريئة وضلعت بها أطراف إقليمية ودولية سعت إلى تصويري في هيئة عقبة أو في صورة عسكري متشدد. وقالوا أيضاً إن الجنرال عون لا يفهم في السياسة. أريد أن اذكرك بما قلته. قلت يومها إن ما أقره النواب لا ينشئ دولة مؤسسات فهل قامت؟ أحيلك فقط على تبادل الاتهامات بين المسؤولين أنفسهم؟ وقلت إن الغرض هو إيجاد تركيبة مشرذمة

تكون سورية هي مرجعيتها الدائمة، وهنا أحيلك على مسلسل الخلافات والمصالحات بين أطراف «الترويكا». قلت إن السيادة ستنتهك وإن القرار لن يكون حراً، وهنا أحيلك على تصريح للسيد عبدالحليم خدام يقول فيه إن الحكومة باقية حتى العام ٢٠٠٠، أين المجلس النيابي وأين إرادة الشعب اللبناني وأين الانتخابات الحرة؟ إذا كان المقصود بالمعرفة في السياسة أن أقبل إرادة الآخرين لأنهم أقوياء فإنني لست من هذه المدرسة.

■ يقال إن جهة غير لبنانية عرضت عليك مبلغ ٣٠ مليون دولار لمغادرة قصر بعبدا فهل هذا صحيح، وماذا كان جوابك؟

ـ قلت لصاحب العرض إن معدل عمري لم يعد يسمح لي بإنفاق هذا المبلغ، أما إذا كان هذا ثمن لبنان فإنكم استرخصتموه كثيراً.

■ هل صحيح أنك تلقيت محروقات وأغذية عن طريق إيلي حبيقة بعد اندلاع المواجهة مع «القوات»؟

ـ نعم اضطررنا إلى الحصول على تموين ومحروقات وقد سهل حبيقة مرور ذلك لكن الأسعار لم تكن متهاودة إطلاقاً.

■ استقبلت إيلي حبيقة في قصر بعبدا قبل مغادرتك إياه؟

ـ نعم استقبلته واستقبلت غيره، لكنهم كانوا جميعهم من اللبنانيين. ولم تغير اللقاءات شيئاً لأن الطرف الذي كانوا ينقلون وجهة نظره أعتقد بأنه يساومني على السلطة في لبنان، أي أن المطروح كان أن أبحث في حصتي في الدولة بدلاً من أن أطرح مصير وطن، بمعنى أن أشارك في الحكم في مقابل التخلي عن رفضي. أفهمتهم أن هذا

الطرح ليس مقبولاً.

■ هل عرضت عليك رئاسة الجمهورية؟

ـ نعم، قبل ١٤ آذار (مارس) (موعد بدء المعركة مع «القوات»). بعد حصول الانتخابات الرئاسية عرضوا علي المشاركة في الحكم وهو ما عرضه علي أيضاً الأخضر الإبراهيمي (مبعوث اللجنة الثلاثية). وفي اجتماع السفارة الفرنسية مع محسن دلول عرضت علي المشاركة في الحكم. سألت دلول نحو عشرين سؤالاً فقال ندخل في الحكم ثم نبحث فقلت له: ادخل أنت في هذه الحالة.

■ في ١٣ تشرين الأول (أكتوبر) ذهبت إلى السفارة الفرنسية فماذا حصل؟

ـ في ٢١ تشرين الأول مساء زارني الدكتور بيار دكاش وكانوا يتحدثون معنا عن تسوية لحل المشكلة فوضعنا تسعة بنود لتسوية في لبنان تقضي بالاعتراف برئاسة الياس الهراوي لا باتفاق الوفاق ورفع الحصار واستقالة ما سمي «الحكومتين»، وتأليف حكومة وطنية، وبالتشاور نوحد الجيش ونحل الميليشيات، والامتناع عن تعيين نواب وإجراء انتخابات برعاية الأمم المتحدة ويناقش الاتفاق في المجلس الجديد.

■ هل صحيح أن أحد الوزراء أبلغك سلفاً أنك ستتعرض لعملية عسكرية تهدف إلى إزاحتك؟

ـ كانت لدي الخطة بكاملها مع تحركات القوات السورية ومراكز تجمعها وساعة الهجوم واستخدام الطيران.

■ هل ترى أنك سقطت عملياً يوم زار جيمس بيكر دمشق؟

ـ لا، التطور حصل قبل ذلك (...).

■ هل دفعت ثمن الغزو العراقي للكويت؟

ـ لا، فلنسمها حرب الخليج الثانية التي أعد السيناريو لها قبل ذلك.

■ بقيت في السفارة حتى ٢٨ آب (أغسطس) ١٩٩١ أي ٣٢١ يوماً، هل أجريت معك اتصالات خلالها؟

ـ نعم بطريقة غير مباشرة وكانوا يريدون مني الخروج من السفارة للمشاركة في الحكم. المعادلة مرفوضة. لو قبلت بالمعادلة لأصبحت مكان الهراوي أصلاً.

■ هل استقبلت وزيراً مثلاً؟

ـ لا، قطعت العلاقات معهم.

■ هل كان لديك خوف من اقتحام السفارة؟

ـ طوقوا السفارة وقاموا ببعض الحركات. لو كان هاجسي سلامتي لما اتخذت المواقف التي اتخذتها، ولو كان همي حصتي لحصلت عليها.

■ وكيف كانت رحلة الخروج؟

ـ من السفارة الفرنسية إلى منطقة ضبية ومن هناك إلى سفينة فرنسية كانت تنتظرنا. نمنا في البحر ونزلنا في اليوم التالي في قبرص

وكانت بانتظارنا طائرة نقلتنا إلى قاعدة في فرنسا ومنها إلى مرسيليا حيث بقيت من ٣٠ آب/أغسطس إلى ١٥ شباط/فبراير ١٩٩٣ حين انتقلت إلى هوت ميزون.

■ ما هي حقيقة حادث تطويق السفارة الأميركية في عهدك؟

ـ مونتاج مخابراتي وكلها كذب بكذب. كان الأميركيون يريدون الرحيل. منذ ١٩٨٥ بدأت رغبتهم في المغادرة تظهر. كانت لديهم مشاكل مع السلطة وحتى مع حراسهم. حرضوا علينا بشكل سافر وراحوا يدخلون ويخرجون بطريقة غير مقبولة. وضعنا حداً لهذه الممارسات الشاذة. كانت لديهم سياسة يريدون إمرارها إرضاء لحساباتهم الإقليمية وأزعجهم أن يحاول بلد صغير الاعتراض على لعبة كبيرة وخطيرة.

■ هل زرت العراق؟

ـ لا.

■ هذا يعني أنك لم تجتمع بصدام حسين؟

ـ لم أجتمع به.

■ هل قمت بزيارة سرية لجهة ما أثناء توليك رئاسة الحكومة؟

ـ أنا أمارس السياسة في ضوء النهار.

■ هل استقبلت موفداً إسرائيلياً في قصر بعبدا؟

ـ لا، أبداً. لا في قصر بعبدا ولا في غيره.

■ **ألم تقم باتصالات مع الإسرائيليين؟**

ـ أنا تحت جحيم القصف لم ألجأ إلى هذه الوسيلة. لم أفاوض إسرائيل ولم أحاول التحالف معها، غيري نسق معها ضدي لتمرير الحل. التاريخ سيكشف.

■ **حصلتم على أسلحة من العراق؟**

ـ نعم.

■ **هل صحيح أن صواريخ عراقية دخلت الأراضي اللبنانية؟**

ـ لا، لكننا كنا سنجيء بصواريخ.

■ **صواريخ فروغ وسيلكوورم؟**

ـ فروغ، وأرسلنا عناصر تدربوا عليها لكنها لم تصل.

■ **لماذا السلاح من العراق؟**

ـ لأننا حوصرنا وطلبنا من العالم أن يساعد. قال العراق إنه مستعد لأن يقدم مساعدة غير مشروطة فهل نرفضها؟ العلاقة مع العراق بدأتها «القوات» وحين اشتد حصار العالم علينا قبلنا بالأسلحة.

■ **هل زودوكم بدبابات؟**

ـ نعم لكن ذخيرتها لم تصل.

■ **هل زودوكم طائرات هليكوبتر؟**

ـ لا.

■ **هل كانت لكم علاقات مع أطراف عربية أخرى؟**

ـ نعم، مع أطراف كثيرة.

■ **هل أدى الرئيس ياسر عرفات دوراً في فتح العلاقة مع العراق؟**

ـ لم أكلف أحداً مثل هذا الدور. لا أعرف إن جرت محادثات فلسطينية ـ عراقية من دون علمنا أم لا.

■ **هل كانت بينك وبين الرئيس الهراوي علاقة؟**

ـ نعم، أعرفه منذ ١٩٨٠.

■ **هل كانت بينكما صداقة؟**

ـ لا، كانت هناك معرفة.

■ **متى تحدثت معه آخر مرة؟**

ـ خلال اجتماعي مع النواب في بعبدا قبل توجههم إلى الطائف شددت على السيادة. لاحظت أن الهراوي كان يهز رأسه ويبدو أنه كان قد ذهب بعيداً في الطريق التي اختارها.

■ **متى تعرفت إلى الرئيس رفيق الحريري؟**

ـ كنت قائداً للجيش ومرّ على اليرزة. زارني وأعتقد بأن ذلك كان في ١٩٨٦.

■ **من كان وراء الزيارة؟**

ـ لا أعرف إن كان هناك من نصحه أم أنه أراد القيام بزيارة تعارف.

■ **ولم تلتقه بعد ذلك؟**

ـ لا. لكن الحريري قدم تبرعات للمساعدات الاجتماعية في الجيش، نحو ٥٠٠ الف دولار في الشهر استمرت نحو تسعة أشهر أو عشرة أشهر. الشيكات موجودة والحسابات معروفة وكان ذلك في فترة ١٩٨٧ ـ ١٩٨٨.

■ **والرئيس نبيه بري؟**

ـ أعرفه منذ كنت أستدعى أحياناً إلى مجلس الوزراء، وزرته حين كنت قائداً للجيش.

■ **زارك الوزير السابق جان عبيد هنا (في باريس). ماذا جاء يفعل؟**

ـ إنهم يطرحون أفكاراً.

■ **هل طرحت عليك العودة؟**

ـ قال أكثر من ذلك. قال أنت لك تقدير ورجائي أن تأخذ جدياً الدعوات التي توجه إليك للعودة.

■ **ولم تحدث متابعة؟**

ـ لا، تحدث تتمة لهذا النوع من الأبحاث. هم على موقفهم وأنا على موقفي، فماذا تغيّر لأغير. أحياناً أدلي بتصريح وأسمع من يقول

إن الجنرال تغير. يبدو أنهم لم يسمعوني في السابق. يبدو أنهم في السابق كانوا مبرمجين لسماع موجة واحدة. منذ كنت في بعبدا وأنا أتحدث عن السيادة الوطنية والوحدة الوطنية والعلاقات المتكافئة مع سورية.

■ **وجهت إليك نداءات للعودة؟**

ـ وحين تكلمنا على العودة هربوا. أريد أن أكون واضحاً وقاطعاً. أنا لا أريد بطاقة دعوة للعودة إلى وطني. هناك حكومة برئاسة سليم الحص، وكان بين أعضائها نبيه بري ووليد جنبلاط، اتهمتني وهمياً من دون أي تحقيق أو شكوى بارتكاب جرائم ضد الإنسانية وتحويل أموال الدولة. هذا افتراء على براءة مواطن والأمر يقوم على ادعاءات كاذبة ومن حقي أن أقاضيهم. كيف يوجهون الدعوة إلي للعودة بعد الذي فعلوه! لقد ارتكبت جريمة ضدي والحد الأدنى من السلوك اللائق هو إزالة القرار التعسفي والاتهامات التي وجهت إلي.

■ **هل هناك اتصالات أميركية معك اليوم؟**

ـ هذا الموضوع ليس للنشر حالياً.

■ **هل ضايقك وصول جاك شيراك إلى الرئاسة، وهو صديق للحريري؟**

ـ لا. موقف فرنسا معروف أصلاً.

■ **هل تخشى وأنت جالس في هوت ميزون ألا يكون ثمة أمل لك بالعودة؟**

ـ طالما بقيت حياً فإن حقي قائم.

■ **ألا تتقاضى راتبك الآن؟**

ـ كل حقوقي محجوزة.

■ **بحكم قضائي؟**

ـ لا، بقرار تعسفي. حساباتي في البنك كلها مجمدة. جمد حساباتي من سرق أموال الدولة. أتمنى أن تضع العبارة بحرفيتها. جمد حساباتي الذين سرقوا أموال الدولة وباعوا أملاك الدولة. تجاوزوا قانون سرية المصارف وضغطوا على المصارف. كل العملية مخالفة للقوانين. حتى في حال الإحالة على القضاء يحجز جزء من الراتب لا الراتب بمجمله إذ هناك حقوق عائلية.

■ **هل هناك إشارة جدية إلى احتمال حوار بينك وبين المسؤولين السوريين؟**

ـ لا أعتقد، فإذا كانوا أقوياء لا يفاوضون وإذا كانوا ضعفاء لا يفاوضون. لا يعرفون التوازن.

■ **ألا تخاف من ملف معين؟**

ـ على الإطلاق.

■ **أريد أن أسأل هل اتخذت قراراً بتصفية شخص أو باغتيال خصم؟**

ـ بتاتاً. ولهذا أنا طالبت بكشف كل الملفات المالية والأمنية. حتى في المعارك كنت أمنع تغطية عيني الأسير. أنا من أنصار دولة

القانون والمؤسسات والقضاء.

■ هل شعرت بالتشفي حين اعتقل سمير جعجع؟

ـ لا، لم أفاجأ. ذات يوم قلت لجعجع: لماذا تقاتل؟ إذا انتصرت استسلمت وإذا خسرت استسلمت. والاستسلام يعني حالة السجن أصلاً. لم أفاجأ ولم أشعر بالتشفي. المؤسف أن اللبنانيين، خصوصاً الذين لا يحبون جعجع تعاملوا مع هذا الموضوع بروح ثأرية. أنا، لكوني مسؤولاً لا أتعامل بروح ثأرية. موقفي من جعجع معروف لكنني أرى القرار الذي أحال سمير جعجع استنسابياً (...). أرجو الا يفهم أحد انني ضد محاكمته في قضية قتل داني شمعون. أبداً. أنا أقول الأسلوب مافياوي لأن هناك من قتل ولم يحاكم. أنا لم أتابع ملف التحقيق في قضية داني بدقة. وأعود لأقول إنه يجب البحث عن المستفيد وان كل الجهات كانت مخترقة وإن اجهزة الاستخبارات قادرة على التجنيد. أما في ما يتعلق بقضية تفجير الكنيسة فأنا لا أعتقد أبداً أن «القوات» وراءها. لا أجزم الاّ إذا كان الملف بين يدي، لكن لدي اقتناع قوي بأنها ليست من صنع «القوات».

■ هل تنوي خوض الانتخابات؟

ـ كل السفراء يقولون إن المقاطعة لم تكن خياراً حسنا ونحن نقول إنها كانت أبغض الحلال. لا نريد أن نعطي شرعية لأي عملية تزوير انتخابية (...). لا مانع لدينا من خوض الانتخابات حين تتوافر فيها شروط التعبير عن إرادة اللبنانيين بغض النظر عما يمكن أن تكون عليه النتائج.

■ هل تتلقى اتصالات من أجل التحالف في الانتخابات النيابية؟

ـ الاتصالات كثيرة. نحن سنقترح قانوناً جديداً للانتخابات يضمن التمثيل الصحيح. نحن لسنا طلاب تزوير ولسنا جماعة أحقاد نطلق تصريحات كالتي يطلقها وليد جنبلاط الذي يقول عن نفسه إنه تربى على الحقد ليبرر لعب دور الشتّام. نحن لا نريد السيطرة على أحد بل نريد تمثيلاً صحيحاً لكل مجموعة لبنانية ولكل لبنان. المشروع سيطرح ونتمنى أن يقرأوه. نحن نرى أن ما يسمى الاتفاق كان مفروضاً وأن انتخابات ١٩٩٢ كانت تزويراً فاضحاً. نقول بصراحة إنه لكي نتوصل إلى وفاق حقيقي في لبنان وتوافق حول المستقبل اللبناني يجب أن يكون التمثيل الطوائفي صحيحاً وانطلاقاً منه نصوغ الوضع الوطني. الذين يريدون الخروج من الوضع الطائفي إلى الوضع الوطني يجب أن تكون لهم صفة تمثيلية حقيقية.

مثل هذا المشروع يسمح لبري وجنبلاط ولكل صاحب شعبية بأن يكون موجوداً بحجم شعبيته، اذ إن المشروع سيعتمد التمثيل النسبي. فبقدر ما يمثل جنبلاط من الدروز سيكون حاضراً إلا إذا صار أقلية ضمن طائفته. في مشروع قانون الانتخاب الذي سنقترحه هناك نوع من الحصرية ويضمن حق الجميع وأعتقد بأنه سيضمن غلبة الاعتدال. إذا جاء التمثيل الطوائفي صحيحاً فإن الأكثرية لا يمكن إلا أن تكون معتدلة.

■ هل أفهم من كلامك أن التمثيل المسيحي الحالي غير صحيح؟

ـ وكذلك التمثيل الإسلامي. تُفرض الدوائر واللوائح فكيف يكون

التمثيل صحيحاً! مشروعنا يتيح المجال لنجاح كل من يمتلك رصيداً شعبياً. سألتني عن التحالفات. نحن لا نريد الدخول في لعبة اللقاء العابر لخطف المقاعد في المجلس النيابي أو تسلق المناسبات الانتخابية للوصول. نحن لدينا قناعات وطنية نلتقي على أساسها مع الآخرين أو نفترق. ونحن رهاننا على الديموقراطية والوسائل التي تتيحها.

■ هل هناك وسطاء حالياً بينك وبين الرئيس بري؟

ـ لست مختلفاً مع نبيه بري. أنا خلافي هو مع سورية في لبنان ثم يمتد هذا الخلاف ليشمل اللبنانيين الذين يفضلون توظيف الوضع السوري الحالي لكسب مواقع أو تحقيق مصالح بدل أن يطالبوا بعلاقات متكافئة مع سورية. إنني أسأل كل أصحاب المواقع اليوم عن القرار اللبناني الحر وماذا فعلوا لاستعادته؟ القرار اللبناني الحر ليس معادياً لسورية في الضرورة لا بل إنه الضمان لئلا تكون العلاقات معها مرشحة للانهيار عند أول منعطف. أسأل نفسي أحياناً ماذا يقول أصحاب المواقع الحالية لأبنائهم أو أحفادهم وماذا يقولون لضمائرهم؟ أنا بابي مفتوح للجميع، لبري والحريري وغيرهما، لكن على قاعدة القرار اللبناني الحر والديموقراطية الحقيقية والمحافظة على مصالح لبنان. نحن لسنا معادين لسورية ولا نريد أن يكون العداء لسورية نهجاً. نحن نريد علاقات طيبة ووثيقة تماماً مع سورية لكن على أن تكون للبنان شخصيته وهويته وقراره.

هناك ظاهرة غريبة ورهيبة. إذا تكلمت على حقوق لبنان يتهمونك بالعداء لسورية. وإذا انتقدت وضعاً معيناً ينظرون إلى الكلام من الزاوية الطائفية أو المذهبية. هذا معيب فعلاً. صار الطرح الوطني مستغرباً ومستهجناً كأنما كل المسألة نزاع على الحصص بغض النظر

عن الوضع في لبنان. هناك حالة فجور، إذا تحدثت عن حقوق لبنان أو اللبنانيين يقولون إنك تمس المقدسات وتهدد الاستقرار. إنها طريقة في إسكات الناس لإمرار ما هو قائم أو ما هو أدهى.

■ **التمديد للرئيس الهراوي خيار مرجح، كيف تنظر إليه؟**

ـ إنه جزء من المهزلة ـ المأساة. لقد اغتصبت السلطة في ١٣ تشرين الأول/أكتوبر وحصلت على تتمة شرعية ـ تزويرية في انتخابات ١٩٩٢. لا وجود لحكم شرعي في لبنان. هناك أمر واقع مفروض والتمديد جزء من المسرحية. كلهم لم يتخطوا الـ ٤ في المئة من الانتخابات. إن لبنان يعيش في ظل حكم الأقلية الساحقة. في العالم يحكون عن أكثرية ساحقة. نحن نعيش في ظل ديكتاتورية الأقلية الساحقة. وهناك أيضاً مشكلة أخرى هي السياسة الاقتصادية التي ترهن لبنان لكل شيء باستثناء المشاريع التي يمكن أن تؤدي إلى تنمية وترفع مستوى الحياة.

■ **ألا تعتقد بأن الحريري صار من ثوابت السياسة اللبنانية؟**

ـ بأي معنى؟

■ **بمعنى أنه تحول قطباً كنبيه بري ووليد جنبلاط؟**

ـ أنا شخصياً لا أدعي أنني من الثوابت ولا أعطي هذه الصفة لغيري. ثمة جهة وحيدة هي التي تقرر هي الشعب اللبناني. لا يمكن الحديث عن أقطاب وثوابت من دون إجراء انتخابات حرة وأنا أقبل بنتائج هذه الانتخابات أياً كانت. هناك في لبنان حالياً تركيبة تمثل أقلية متعاونة مع الجهة المهيمنة وهي تسيطر على الإعلام

وتتلاعب بالأرقام والدوائر الانتخابية وتعطي وهماً بأن لها صفة تمثيلية. أنا لا أقول إنني أمثل وغيري لا يمثل. أنا أقول إن الانتخابات الحرة هي التي تحسم.

■ تقصد نسبة تمثيل كل شخص لطائفته؟

ـ نعم، فلنبدأ بهذه الصفة التمثيلية. أريد أن أسأل: خُصص مقعد نيابي ماروني في طرابلس فما هذا الدجل! أين الموارنة في طرابلس! هل مقبول مثلاً استحداث مقعد شيعي أو سني في كسروان؟ لو حصل ذلك لقامت القيامة. هناك عملية تزوير ومحاولة لإلغاء ثقل مجموعة لبنانية. إنها عملية قهر مفضوحة وغير مقبولة.

■ ألا تعتقد بأن شعبيتك تراجعت؟

ـ أين الدليل؟ إذا كان التيار الذي أمثله يربح انتخابات الاتحادات في الجامعات فهل تكون شعبيتي تراجعت؟ أعود وأكرر: إذا كانوا يريدون التدليل على تراجع شعبيتي فليتفضلوا بإجراء انتخابات حرة. الشبيبة في الجامعات تعبّر عن تطلعات محيطها أيضاً إلى المستقبل. نحن دعاة تغيير والشبيبة تتطلع إلى التغيير. الخائفون من التغيير هم المتجمدون الخائفون على مصالحهم. بعضهم يحاول التعاطف مع أطراف شفاهة. تُضحكني بعض المواقف مثل القول «نحن مع طروحات الرجل لكننا ضد الأسلوب». هل اختلفت أنا مع الذين اختلفت معهم لأنني أسمر وهم يحبون الشقر! اختلفنا على الطروحات.

■ هل تستطيع القول إنك لو قبلت بما كان مطروحاً لكنت مكان الرئيس الهراوي اليوم؟

ـ بكل تأكيد. وأقول أكثر من ذلك، لو قبلت لما كانوا جميعاً هناك ولو قبلت الصفقة الآن لذهبوا. هؤلاء الذين يحاولون توفير غطاء للوضع الراهن لا يمثلون حقيقة مشاعر من يقولون إنهم يمثلونهم. أنا لا أعتقد بأن اللبناني في أي منطقة يريد دولة بلا قرار أو سيادة منقوصة. لا يمكن بناء صيغة ثابتة استناداً إلى أشخاص ينتظرون كلمة السر وتكفي همسة لتغيير مواقفهم. إذا كان الفهم في السياسة هو الانحناء المتواصل فنحن لا نريد شهادة من هذه المدرسة.

■ لكن هناك إنجازات معينة: عودة السلام وحل الميليشيات؟

ـ ليس هناك من هو أحرص منا على السلام الذي لا يمكن أن يكون راسخاً إلا بتفاهم عميق بين اللبنانيين. وأظن أن موقفنا من الميليشيات معروف. أن توقف زعزعة الاستقرار لأنك نجحت في فرض مطالبك شيء والاستقرار المؤسس على الوفاق ودولة القانون شيء آخر. وأن تحل الميليشيات لتدخلها إلى الدولة بمنطق الميليشيات شيء وبناء المؤسسات شيء آخر. ثم من قال إنه يستحيل علينا وقف التقاتل إلا في ظل سيادة منقوصة؟ ماذا يجري حالياً؟ يكفي أن تقرأ تصريحات المتنافسين والخلافات على حدود مواقع لا تملك القدرة على القرار. ترسم الأدوار في المنطقة ولا يجرؤ لبنان على السؤال عن دوره، وتستمر عملية إلهاء اللبنانيين بحروب الحصص الصغيرة.

■ من هي الشخصيات العالمية التي تعجبك حالياً؟

ـ لا أرى الآن شخصيات استثنائية. الحكم في هذه المرحلة يرتكز

على قوى تحكم من وراء الستار أكثر مما يرتكز على شخصيات قيادية. هناك القوى المالية وغيرها. ثم إن القياديين في العالم لا يبرزون كل يوم. إنهم يظهرون في الازمات الكبرى والتناقضات الشديدة والمنعطفات. وغالباً ما يتبع الرأي العام هؤلاء القياديين لا العكس. القيادي هو من يملك رؤية ويستطيع إقناع شعبه بها.

■ **هل كنت معجباً بشارل ديغول؟**

ـ طبعاً. ذهب بمفرده وأطلق نداءه الشهير من أجل فرنسا الحرة وأعاد بلاده إلى الخريطة الأوروبية والدولية. ومارس ديغول الحكم وحين شعر بأنه لا يملك الأكثرية الساحقة غادر القصر وذهب. المسؤولون اليوم يسايرون الرأي العام ويراهنون على استطلاعات الرأي لتقرير صورتهم مما يريده الرأي العام. القياديون الكبار يتجرأون على مصارحة الرأي العام.

■ **أي أغان تسمع؟**

ـ أسمع الرحابنة بالتأكيد وأسمع خصوصاً ماجدة الرومي. أنا أحب الأغنية اللبنانية.

■ **والشاعر الذي أحببته؟**

ـ المتنبي شاعر كبير. لا تعجبني وصوليته في بعض المواقف: مدح كافور وهجائه. قدرة المتنبي على اختصار الموقف أو التجربة كبيرة. أحببت أيضاً أبا العلاء المعري، فكره يشكل تحدياً كبيراً للواقع الإنساني.

* * *

ولد العماد ميشال عون في حارة حريك في ضاحية بيروت الجنوبية عام ١٩٣٥ في عائلة «تعيش على الخط الفاصل بين الطبقة الوسطى والفقر». ويقول إن ولادته في بيئة متعددة الانتماءات الطائفية رسّخت قناعته بقدرة اللبنانيين على التعايش في إطار الحرية والكرامة، مشدداً على أن «ضرب النسيج اللبناني كان جزءاً من خطة ترمي إلى إسقاط لبنان»، ومحذراً من «محاولات لتضييع هوية لبنان ونسف التوازنات فيه». ويتذكر عون ثلاثة مشاهد صنعت علاقته بالوطن وهي: «حين دخل الجنود الأستراليون خلال الحرب العالمية الثانية منزلنا وطردونا وناموا في أسرّتنا، ويوم تظاهرنا من أجل الاستقلال في ١٩٤٣، ويوم رأيت الفلسطينيين يصلون كلاجئين في حالة مؤلمة في ١٩٤٨». ويضيف: «هذه المشاهد علّمتني التشبث بالأرض ورفض أي تفريط بالسيادة. هذه ثوابت لديّ لا تقبل الاجتهاد».

تلقى عون دروسه في مدرسة اللعازارية ثم في مدرسة رسمية في الشياح وبعدها لدى الإخوة المريميين في فرن الشباك ثم في مدرسة القلبين الأقدسين وانتقل بعد ذلك إلى المدرسة الحربية.

بعد الشهادة الابتدائية توقف عن الدراسة لمدة عامين بسبب صعوبة الأوضاع المالية للعائلة لكنه نجح لاحقاً في تعويض عام منها بسبب علاماته الجيدة.

* * *

■ لماذا ذهبت إلى المدرسة الحربية، هل بسبب الأوضاع المادية أم كان خيار أهلك؟

ـ لم يكن لأهلي رأي في الموضوع. كان الخيار شخصياً لأسباب عدة: أولاً أحب هذه المهنة. وثانياً إن اثر الوضع المالي لم يساعدني

على التردد. في حياتي الاجتماعية حرمت من أشياء كثيرة. مثلاً تأييد أهلي للكتلة الوطنية جعل الشيخ سليم الخوري (شقيق الرئيس الراحل بشارة الخوري) يتدخل ويحرمني من منحة دراسية كنت مرشحاً لها وأعطاها لمؤيد له. هذه الواقعة جعلتني أشعر بالقرف من هذا النوع من السياسة. والجيش كان مؤسسة تتمتع باستقلال، وبعيدة عن السياسة. كان لديّ رفض للمجتمع السياسي وألاعيبه والذهنية النفعية ورأيت في مؤسسة الجيش قيم الانضباط والوطنية والعيش بكرامة وشرف. كنت أفكر في حقوقي بصفتي لبنانياً ورحت أفكر في حقوق كل لبناني. حتى اليوم يصعب عليك الحصول على هاتف إذا لم تكن مؤيداً للسلطة أو أن طلبك يتأخر سنوات. مثل هذا السلوك يمثل انتهاكاً للحقوق الأساسية للمواطن.

■ **هل كانت علاماتك جيدة في المدرسة؟**

ـ نعم وإلا لما تمكنت من القفز فوق سنة دراسية.

■ **في أي مواد كانت جيدة؟**

ـ كان لديّ نوع من التوازن بين المواد العلمية والأدبية. لم أكن الأول لكن علاماتي كانت مرتفعة، ولولا الانهماكات التي رتبها وضعي لكانت النتائج أفضل. نجحت في البكالوريا العلمية العربية والفرنسية مع تنويه.

■ **كان الدخول إلى المدرسة الحربية يحتاج إلى دعم أو «وساطة» من كان وراء دخولك؟**

ـ لا أحد. وهنا سأروي لك حادثة: كان هناك شخص جليل اسمه عبدالله شبير عرف أنني تقدمت لدخول المدرسة الحربية خلال

مشوار بينه وبين والدي على الطريق، وكنت معهما، قال لوالدي: النائب هنري طرابلسي جاركم والعهد عهد كميل شمعون (١٩٥٥) فاذهب إلى طرابلسي. فقال له والدي: سنرى. سألني والدي فعبرت عن رفضي وقلت له: إذا نجحت أنا فستبقى أنت مديناً لهم مدى الحياة، وإذا فشلت يقولون إنهم حاولوا مساعدتني لكنني فاشل. ارجوك ألا تحمّل نفسك هذا الجميل ولا تحمّلني هذه الصفة. استوقف الكلام شبير، رحمه الله، وراح يردد الحادثة راوياً ما قاله ميشال نعيم عون لوالده.

■ **من كان رئيس المدرسة الحربية حين دخلتها؟**

ـ العميد جوزف حرب. حين دخلت صدمت وتأرجحت في الأسبوع الأول وكدت أغادر. بدأوا بالنظام القاسي كأن المرء يتعرض لمحاولة خصيه فكرياً. يحشونك من دون الالتفات إلى قدرتك على الهضم. هناك عملية تطويع للفكر وأنا بطبعي أحب الاحتفاظ بالقدرة على النقد ولا أحب أن يكون كل شيء معلباً ونهائياً. بعد أسبوع قررت أن أبقى وقررت الخضوع للنظام، لكن مع الاحتفاظ بيني وبين نفسي بقدرتي على التقويم بالروح النقدية.

■ **من تذكر من رفاقك؟**

ـ أذكرهم جميعاً. لقد غادروا الجيش. لا أريد أن أسمي لئلا أنسى أحداً.

■ **وبعد التخرج؟**

ـ بعد ثلاث سنوات في المدرسة الحربية أمضينا سنة تدريباً في شالون سيرمار في فرنسا في المدرسة التطبيقية لسلاح المدفعية.

■ **هل خالفت الأنظمة في الحربية؟ مثلاً هل قفزت فوق الحائط وذهبت من دون إذن؟**

ـ قفزنا فوق الحائط ودخلنا في ممارسات يقدم عليها التلامذة. في الشهرين الأولين خرجنا ذات يوم من العشاء واقتربت في العتمة لأرى ماذا يحدث فوجه إليّ أحد الضباط كلمة قاسية. وقفت في وجهه وقلت له لا يحق لك أن تخاطبني بهذه اللهجة. رد: أنت صنف ثانٍ (أي عسكري) فقلت لا أنا تلميذ ضابط.

■ **هل كانت نتائجك في الحربية حسنة؟**

ـ نعم، لكن النتائج اللافتة كانت حين جئت إلى المدرسة التطبيقية لسلاح المدفعية في فرنسا. حصلت على تهنئة.

■ **هل اخترت سلفاً سلاح المدفعية؟**

ـ لا، اخترت السلاح المدرع، لكن أحد الزملاء كان يريدها وهو نجل ضابط في الجيش فحصل عليها وذهبت أنا إلى المدفعية. حين عدت من المدرسة التطبيقية كان اللواء عادل شهاب قائداً للجيش فاستدعاني بعد اطلاعه على النتائج ومنحني تهنئة خطية بسبب المعدل الذي حصلت عليه. عينت في كتيبة المدفعية الثانية في ثكنة الأمير بشير في بيروت.

■ **عندما وقعت أحداث ١٩٥٨ كنت في السنة الثالثة في المدرسة الحربية. كيف نظرتم إلى تلك الأحداث؟ وهل انقسمتم كسائر اللبنانيين؟**

ـ كنا من مختلف المناطق اللبنانية وكنا نراقب الوضع. شعرنا بوجود نزاع سياسي وبتدخل خارجي. تلك الأيام زادتني اقتناعاً

برفض أي تدخل خارجي، ورسخت اقتناعي بأن أي خلاف بين اللبنانيين يجب أن يحل بالحوار. القطيعة ليست مقبولة بين أبناء البلد الواحد. الحل دائماً بالجلوس إلى طاولة وبالمصارحة والبحث عن حلول. قصة الدول مثل قصة العائلة. إذا حصل خلاف بين رجل وزوجته فإن أقرب الطرق إلى حله هو المصارحة بينهما، أما إذا دخل الأهل والأقارب والجيران فإن الخلاف قد يؤدي إلى الطلاق. ما يصدق بالنسبة إلى العائلة يصدق بالنسبة إلى الوطن. إن حدة الصراعات بين أبناء الوطن الواحد، أياً كانت، يجب أن تحل داخل الوطن على قاعدة الإنصاف. أما إذا انزلق كل طرف إلى رهانات تتخطى الحدود فإن الخسارة تلحق بالوطن والمواطنين معاً.

■ انقسم اللبنانيون في أحداث ١٩٥٨، هل كان هذا الانقسام قائماً داخل جدران المدرسة الحربية؟

ـ وجود فروق في النظرة إلى الأحداث مردّه طبيعة التركيبة اللبنانية وتنوعها. لكنني اعتقد بأننا كنا على اتفاق في الشؤون الأساسية خصوصاً لجهة التدخل الخارجي في الصراع. لم يكن لدينا إحساس بأن العسكريين منقسمون. طبعاً في كل مجموعة كبيرة يمكنك العثور على شخص شاذ أو حفنة أشخاص من هذا النوع، لكن المسألة لم تكن أكثر من ذلك. حدثت حالات فرار من الجيش، وكانت مفتعلة في أحيان كثيرة.

■ في تلك المرحلة كان كميل شمعون رئيساً للجمهورية، ماذا كانت مشاعرك تجاهه؟

ـ كنت متعاطفاً مع الرئيس شمعون، وشعرت بأن البلد يدفع ثمن لعبة سياسية فاسدة بمعزل عن رأي الناس في الشخص ورأينا فيه.

كنا نعرف أن المجلس بعد ٣١ أيار (مايو) لم يعد في دورة عادية وأصرّوا على القول إنه ينوي تجديد ولايته. ربما لم تكن سياسة الرئيس شمعون الأفضل، لكن خصومه هوّلوا كثيراً وروّجوا كذبة كبيرة. لم يعدل الدستور وعلى رغم ذلك لم يتراجعوا عن اتهامهم شمعون بالعمل من أجل التجديد. لا أعتقد أن كل هؤلاء لا يعرفون نصوص الدستور. الأرجح هو انهم أرادوا استمرار أجواء الضغط والتوتر وهذا غير مقبول لأن هدفه ضمان استمرار الأزمة. هذه الممارسات تضرب صدقية القائمين بها، ولم تكن لدى الحكم آنذاك شفافية لتعرف أين أخطأ شمعون وأين لم يخطئ. أنا ربيت الجيش، حين كنت في موقع القيادة، على قواعد واضحة. قلت إن الجيش يجب ألا يسمح بإطاحة النظام أو ضربه عن طريق القوة كما يجب ألا يستخدم القوة ضد معارضي النظام أو منتقديه ما دام انهم لا يستخدمون القوة أو التخريب. الجيش يجب أن يكون حارس الديموقراطية. أي عدم السماح لأقلية مسلحة بفرض رأيها على الأكثرية بالقوة وعدم الدخول في لعبة القمع بلا مبرر. مثلاً، الجيش ليس أداة بيد رئيس الجمهورية ليفرض نفسه على الناس بالقوة، وليس أداة لاستمرار الحكومة بالقوة في موقعها. الجيش يتدخل لإنقاذ الديموقراطية والمؤسسات لا لتعطيلهما.

■ يوم كنت طالباً في المدرسة الحربية كان العسكريون العرب يحلمون بالسلطة هل راودتك وأنت في المدرسة الحربية أو بعدها في الثكنة فكرة القيام بانقلاب واحتلال الإذاعة ودخول القصر على ظهر دبابة؟

ـ أقول لك بكل صدق إن هذا الحلم لم يراودني إطلاقاً. في البداية يجب أن نلتفت إلى أن طبيعة التركيبة اللبنانية لا تشجع على مثل

هذا النوع من الممارسات. ففي لبنان لا يجوز الإخلال بتوازنات معينة وأي قهر يستدعي رد فعل أشد. فضلاً عن أن خيط الحوار يجب ألا ينقطع. ما كان يحصل في أنحاء أخرى لجهة الاستيلاء على السلطة وتعليق الدستور وتصفية المعارضين وادعاء تمثيل الناس وتزوير الانتخابات أو عدم إجرائها غير ممكن في لبنان وهو مرفوض. إن تربيتنا قبل المؤسسة العسكرية وفيها ترسخ اقتناعنا بأن الديموقراطية هي الخيار الأمثل للبنان وأن الجيش يجب أن يعمل من ضمن منطق المؤسسات في دولة القانون. الجيش يجب أن يحترم الشرعية المنبثقة من إرادة شعبية. لا يحق لأحد شطب هذه الإرادة أو قهرها.

أعود إلى سؤالك. حين اخترت دخول المدرسة الحربية اخترت مهنة لأعمل فيها وأنتهي فيها لا بغيرها. أنا لم أدخل الجيش لأعمل في السياسة لاحقاً. لقد اعتبرت وصولي إلى قيادة الجيش تتويجاً لعملي في المؤسسة العسكرية. دوري السياسي جاء جزءاً من مهمتي العسكرية، وتحديداً في سياق المحافظة على الشرعية. كثيرون اعتقدوا بأنني مارست ضغوطاً على الرئيس أمين الجميل لتعييني رئيساً للحكومة وهذا غير صحيح على الإطلاق وتستطيعون سؤال الرئيس الجميل.

■ **تخرجت في المدرسة الحربية وسلّمك الرئيس فؤاد شهاب السيف في حفلة التخرج. هناك كلام كثير على فؤاد شهاب ومحاولته بناء دولة المؤسسات، كيف كنت تنظر إليه؟**

ـ نظرتي إليه من شقين: الأول أن فؤاد شهاب رجل دولة من طراز أول وضع أسس دولة المؤسسات، والثاني معارضتي للضغوط التي

مارستها الاستخبارات في عهده وقد دفعت ثمن موقفي هذا. أكنّ اعجاباً للرئيس شهاب وحرصه على بناء المؤسسات لكنني اعتقد بأنه كان يفتقر إلى الشعبية الواسعة لتمرير عملية إصلاح كبيرة. في ظرف من هذا النوع أعتقد بأن على الرئيس أن يتوجه إلى الناس مباشرة لإقناعهم بمشروعه والإفادة من دعمهم وتعاطفهم. لقد فضّل الرئيس شهاب العمل من داخل اللعبة السياسية والتوازنات القائمة. أعتقد أنه لو تمكن من مخاطبة اللبنانيين مباشرة لنجح في بلورة تغيير جذري. ربما كانت قناعاته بالنسبة إلى الوضع السياسي شبيهة بقناعاتي، مع فارق أنه فضّل التعايش معه فيما فضلت أنا مواجهة اللعبة السياسية. طبعاً كل من الخيارين تم في ظروف مختلفة.

■ تبدو معجباً بالزعماء القادرين على مخاطبة الجماهير؟

ـ القدرة على المخاطبة والإقناع شيء، والإثارة شيء آخر. التوجه إلى الناس هو نهج ديموقراطي قبل أي شيء. لكن لا يحق للمسؤول توظيف علاقته بالناس لإثارة مشاعرهم بهدف الإثارة وانتزاع شعبية شخصية. العلاقة مع الناس يجب أن تحكمها مبادئ وبرامج أو تطلعات لمصلحة الناس. لنأخذ أي ديموقراطية تستحق التسمية. الرئيس يخاطب شعبه للحصول عبر انتخابات أو استفتاء على تفويض لتطبيق برنامجه أو الإجراءات التي يقترحها. وإذا تبين للناس أن من يخاطبهم لا يملك رؤية ولا يتمتع بصدقية فإنهم سيعبرون عن ذلك بنزع ثقتهم منه. طبعاً هذا غير وارد في الانظمة التي يستدعى فيها الناس للتصفيق أو البصم على القرارات. الخطاب السياسي يجب أن يكون هادفاً. لنأخذ مثلاً على ذلك: أنا لم أكن ناصرياً لكنني لا أستطيع الإنكار أن جمال عبدالناصر امتلك

مواصفات قيادية وأن قدرته على مخاطبة المصري العادي أكسبت مشروعه قوة شعبية. أذكر الآن مقاطع كاملة من خطبه كان يتوجه فيها إلى الناس ويشحنهم ويصارحهم ويلفتهم إلى حجم المشاكل التي تواجههم.

■ **هذا يعني أنك كنت تقدّر عبدالناصر؟**

ـ الحقيقة أن عيني دمعتا يوم سمعته يستقيل. حاول الخروج بمصر من حال الترهّل والضعف ورفع الروح الوطنية والمعنوية. طبعاً ارتكب أخطاء، ممارسة الحكم معقدة، لكنه كان قادراً على مخاطبة الناس بجرأة وصراحة. مثلاً كانت عملية الإنماء الاقتصادي تصطدم بالتزايد الهائل في عدد السكان. وصل عبدالناصر إلى قمة الجرأة حين وقف في عيد العمال في ١٩٦٥ وخاطب العمال قائلاً: «تنجبون تسعة أو عشرة أطفال وتطالبون عبدالناصر بالعثور لهم لاحقاً على فرص عمل». هذا الكلام ليس بسيطاً إذا أخذنا في الحساب المعتقدات الاجتماعية والدينية. شخص آخر مكانه كان اختار عدم التصدي لهذا الموضوع.

هناك فارق بين الديماغوجية ومصارحة الناس وتفجير طاقاتهم لاستخدامها في معالجة المشكلات وبناء المستقبل. القائد الحقيقي يملك جرأة اتخاذ موقف يتناقض مع توجهات الرأي العام أحياناً. الذي يركب الموجة أو ينحني دائماً للموجة ليس قائداً.

■ **ألم تشعر مثلاً بخطورة عبدالناصر على الوضع الذي كان قائماً في لبنان؟**

ـ قوة عبدالناصر في حد ذاتها ليست مصدر خطر. الخطر يبدأ إذا

تحول إعجاب فريق من اللبنانيين به إلى حالة من التبعية. أنا أقدر كل قائد يعمل لمصلحة بلده ويحوز ثقة شعبه، وكان مطلبي ولا يزال أن يحرص المسؤول اللبناني على مصلحة لبنان كما يحرص المسؤول غير اللبناني على مصلحة بلده. كنا مجموعة من الضباط نستمع إلى خطاب استقالته. دمعت عيناي لأنني رأيت أن الشعب المصري ربما لم يستطع مواكبة تطلعات عبدالناصر، أو أن ظروفاً تدخلت ومنعت هذا التلاحم من تحقيق ما كان يجب أن يحققه. أنا أتحدث عن علاقة الرجل بالناس وقدرته على التعبير عن مشاعرهم، أما مسألة الأخطاء الداخلية والخارجية فتلك مسألة أخرى.

■ من ثكنة الأمير بشير إلى أين؟

ـ انتقلت إلى صيدا، وفي نهاية ١٩٦٤ أسّسنا كتيبة مدفعية في بعلبك.

■ أين كنت عندما وقعت حرب ١٩٦٧؟

ـ كنت في القطاع الشرقي في جنوب لبنان وكنت آمر سرية مدفعية ورقّيت في تلك السنة إلى رتبة نقيب.

■ بماذا شعرت؟

ـ كنت شاهد عيان. أخذت منظاراً مكبراً من ٢٠ إلى مئة مرة وذهبت إلى مركز مراقبة أمامي في نقطة اسمها العمرة، على بعد ٥٠٠ متر من كفريوقال أول ضيعة إسرائيلية، وحوش الريم على مسافة ثمانية كيلومترات. كان باستطاعتي أن أرى بالمنظار أرقام الآليات الإسرائيلية وشاهدت أول اشتباك على تلة العزيزية المشرفة

على الحولة. استغربت يومها إعلان سقوط القنيطرة بينما كان الجنود السوريون لا يزالون يقاتلون على الخط الأمامي. وتولت الوحدة التي كانت بقيادتي نقل آلاف من الجنود والمواطنين السوريين الذين لجأوا إلى القطاع الشرقي.

■ هل شعرت بخطورة تلك الحرب؟

ـ طبعاً شعرت بخطورتها، فقد أدت إلى هزيمة جيوش واحتلال أراض وأدخلت تغييراً على الخرائط. يصعب التكهن سريعاً بالنتائج المحتملة، لكن الحدث كان كبيراً وخطيراً ولبنان في قلب الأحداث حتى ولو لم يحارب ولم تتعرض أرضه للاحتلال. استوقفتني الممارسات التي حصلت يوم استقالة عبدالناصر وعمليات التعبير عن الغضب بتحطيم إشارات السير والأشجار. يومها شعرت بخطورة أن لا يكون للدولة تصور تبلغه إلى المواطنين. في هذه الظروف على السلطة أن تصارح شعبها، فإذا كانت تريد أن تحارب عليها إطلاعه على الثمن وإذا اختارت ألا تحارب فعليها شرح موقفها. غياب موقف السلطة يضاعف البلبلة ويترك الخلاف للناس في الشارع.

■ هل شعرت بالضعف اللبناني آنذاك؟

ـ شعرت بغياب رجال الدولة. شعرت بأننا نتجه إلى وضع يستدعي وجود رجال يملكون الرؤية والشجاعة والقدرة على تحمل المسؤولية. رجل الدولة لا يقاس بما لديه من قوة عسكرية بل بمقدرته على بلورة الموقف المنسجم مع مصلحة شعبه، وقدرته على إعلان هذا الموقف وإقناع الرأي العام بصوابه. وجود رجال من هذا النوع يجنّب البلاد أخطاراً كثيرة. سياسة اللاموقف وترك الأمور للوقت سياسة خطرة.

■ **هل تقصد رئيس الجمهورية آنذاك (شارل حلو)؟**

ـ رئيس الجمهورية ورئيس الحكومة وكل تركيبة الدولة. في الأزمات مطلوب من القيادات السياسية أيضاً أن تتصف بالشجاعة والمسؤولية.

■ **حصلت الحرب وفتح ملف العمل الفدائي الفلسطيني في لبنان؟**

ـ بدأ موضوع الفلسطينيين قبل الحرب، وتحديداً في ١٩٦٥، وأعتقد أن أول فلسطيني أوقفناه كان في تلك السنة في القطاع الأوسط، بعد ١٩٦٧ اتسع حجم المشكلة. هزمت الجيوش فرأى الفلسطينيون أن الحل الوحيد هو العمل الفدائي.

■ **بصفتك ضابطاً في الجيش، ماذا شعرت حين نزل الاسرائيليون في مطار بيروت في كانون الأول/ديسمبر ١٩٦٨ ودمروا الطائرات؟**

ـ طبيعي أن أشعر بجرح من هذه الممارسة يقوم بها جيش أجنبي على أرض وطني. يومها استدعيت من منزلي في بعلبك، وكنت في إجازة، إذ كنت قد تزوجت قبل أسابيع، وأرسلت إلى الجنوب. اتخذت السلطة إجراءات لامتصاص النقمة لا أكثر. وفي تلك الأيام كنت أصارح العسكريين بأن الوضع يتجه نحو أجواء مواجهة مع إسرائيل من دون اتخاذ قرار بالمواجهة ومن دون الاستعداد لما يترتب عليها. المواجهة مسألة جدية تستلزم إعداد الجيش وإعداد المجتمع ومعرفة حجم قوة الخصم. في تلك المرحلة خصصوا للجيش ٢٠٠ مليون ليرة وبدأ السياسيون يتشدقون بأن الجيش يجهز للمواجهة. يومها كتبت، وكنت قائداً لكتيبة في صيدا، وقلت إن السلطة

تخدع الرأي العام، فأرسلوا في طلبي ووجهوا إليّ تأنيباً. لم يتجرأوا على عقوبة خطية لأنني كنت محقاً. قلت لهم إن الجيش الإسرائيلي ينفق ٢٠٠ مليون ليرة على أحذية جنوده. إنكم تخدعون الناس وتدفعون البلد نحو مأزق. إيجاد مشاعر وهمية لدى الرأي العام أسلوب لا يتسم بالمسؤولية الوطنية. أوهموا المواطن العادي بأنهم وفّروا للجيش مستلزمات المواجهة فراح المواطن ينتظر ما سيفعله الجيش.

ولّدت لديّ تلك الأحداث نقمة مزدوجة، على المنظمات الفلسطينية وعلى الحكم اللبناني. المنظمات تريد الاستقلال على أرض لبنان ومنع الجيش من دخول المخيمات وتطالبه في الوقت نفسه بحماية مواقعها حين تتعرض لغارات إسرائيلية. والحكم اللبناني ضائع ومرتبك ولا يعرف ماذا يريد، بعضه يتلطى وبعضه يزايد. يومها وضعوا الجيش اللبناني موضع اتهام. تذكر ما حدث حين نزل كوماندوس إسرائيلي في بيروت واغتال كمال ناصر وكمال عدوان وأبو يوسف النجار (١٩٧٣). في عمليات سريعة من هذا النوع يجب الالتفات إلى القدرات التقنية للجيوش. الجيش الإسرائيلي جيش متطور تقنياً وقادر على هذا النوع من العمليات. جاء الاسرائيليون وخطفوا مصطفى الديراني من البقاع، لماذا لم تقم القيامة؟ هذا يفسر بوضوح أن اتهام الجيش اللبناني آنذاك كان جزءاً من خطة زعزعة الاستقرار لإيجاد فراغ وليتولى الآخرون ملء هذا الفراغ.

■ **قيل في آخر الستينيات إن جهات أمنية لبنانية سهلت دخول فريق من الفدائيين لإيجاد نوع من التوازن بعد فوز «الحلف الثلاثي» في لبنان؟**

ـ أولاً يجب ألا تكون ذاكرتنا ضعيفة. وهناك أطراف عربية كثيرة تتحمل المسؤولية في هذا الموضوع، وبعضها كان يريد تصفية القضية الفلسطينية في لبنان. لحق بلبنان ظلم كبير في هذا المجال. لم تكن هذه الدولة العربية أو تلك تسمح للفلسطينيين بحمل مسدس أو بارتداء ثياب عسكرية إلا إذا كان تابعاً لأجهزتها، لكنها لم تكن تتردد في دعم ممارساته في لبنان. لم يكن مسموحاً للسلطة اللبنانية بأن تثير موضوع المعسكرات والأسلحة. كانوا مع العمل الفدائي، لكن شرط تمركزه في لبنان. أوليس هذا الأمر غريباً؟ كلما وقعت عملية فدائية أعلنت المسؤولية من بيروت وتحمل لبنان النتائج.

■ **في ١٩٦٩ وقع قائد الجيش اللبناني آنذاك العماد إميل بستاني «اتفاق القاهرة» مع منظمة التحرير الفلسطينية. ماذا كان رأيك؟**

ـ كان توقيع الاتفاق خطأ تاريخياً. ولو كنت مكان العماد بستاني وأعطتني الحكومة أمراً بالتوقيع لفضّلت العودة إلى لبنان والاستقالة. هذا الموقف لا يعد تمرداً سياسياً. لا يحق للمرء أن يوقع على ما يتناقض وقناعاته الوطنية. التنازل عن جزء من السيادة ليس أمراً مقبولاً، ومن حق المسؤول أن يصارح السلطة السياسية بأنه ليس مستعداً للتوقيع، وفي مثل هذه الحال قد ترسل السلطة من يوقع وقد تقيلك لكنها لا تستطيع إلزامك التوقيع.

■ **هل كان هناك اتجاه في الجيش معارض لـ «اتفاق القاهرة»؟**

ـ كلنا كنا ضد اتفاق القاهرة وفي الطليعة مديرية المخابرات، غابي

لحود كان معارضاً وكذلك سامي الخطيب. اتفاق القاهرة كله شواذ. دولة يفترض أنها تلتزم المواثيق والاتفاقات وتبرم اتفاقاً مع ثورة لا ترى نفسها ملزمة باحترام تلك المواثيق. يصعب عقد مصالحة بين المنطقين. تستطيع الدولة مثلاً أن تدعم المقاومة سراً وأن يكون عمل المقاومة سرياً من دون تظاهرات ومعسكرات. كيف تستطيع الدولة اللبنانية مثلاً أن تؤكد التزامها اتفاقية الهدنة التي تعطينا حقوق دولة معينة وتوقع في الوقت نفسه مثلاً الأمر نفسه بالنسبة إلى القرار ٥٢٤. التصريحات العنترية مضرّة.

■ في العام ١٩٧٣ أين كنت؟

ـ كنت في صربا وبعد الصدامات مع الفلسطينيين نقلت إلى صيدا ووصلت قبل يومين من حرب ٦ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٧٣. في الصدامات مع الفلسطينيين سيطرنا على مخيم ضبية وكنا في طريقنا إلى تل الزعتر حين تلقينا أمراً بالتوقف بسبب المداخلات والضغوط العربية.

قبل حرب ١٩٧٣ كنت قد قرأت كتاباً نشر بالإنكليزية في ١٩٧٠ واستوقفني قول المؤلف أن الرئيس أنور السادات يحتاج إلى سيناريو حرب ليخرج من المأزق السياسي. وعندما أوقف الرئيس السادات العمليات العسكرية ظهر بوضوح أن الحرب هي حرب تحريك. يومها كنا مجموعة من الضباط نتحدث في هذا الموضوع فقلت لهم مازحاً في نادي الضباط في صيدا: إنه السلام الأميركي المفروض بسلاح سوفياتي. ومعروف ماذا حصل لاحقاً.

■ خلال وجودك في صيدا اغتيل النائب السابق معروف سعد، أين كنت؟

ـ كنت قائد كتيبة المدفعية الثانية. قبل ليلة من إصابته كان معروف سعد عند زميل لنا هو العميد إبراهيم بحسون. كان معروف سعد صديقنا جداً جداً. كانت له مواقف كثيرة لكنه لم يخرج عن الإطار الوطني. كان معروف متضايقاً جداً من الانتشار الفلسطيني المسلح. تطرق البحث إلى التظاهرة التي كان منوياً تنظيمها في اليوم التالي. أنا رأيت إصابة معروف سعد كارثة فهو كان صديقاً للجيش اللبناني. خلال التظاهرة ألقيت أصابع ديناميت وأطلق جنود النار وأصيب معروف سعد برصاصة. لتحديد مصدر الرصاصة لا بد من تحقيق دقيق: أين كان يقف معروف سعد ومن اين جاءت الرصاصة. وحتى إن أصيب برصاصة بندقية من طراز «ام-١٦» فهل هذه البندقية موجودة لدى الجيش وحده؟

■ هل تستطيع الجزم بأن أي جهة في الجيش لم تخطط لاغتيال معروف سعد؟

ـ أعوذ بالله. لا يمكن أن يضلع مسؤول في الجيش في عمل من هذا النوع، ولا يجرؤ جهاز في الجيش على ارتكاب مثل هذا العمل الذي لا بد أن ينكشف لاحقاً. الجيش ليس ميليشيات. يجب أن تضع الحادث في إطاره بغض النظر عن اسم المنفذ أو هويته. قتل معروف سعد صبّ في خدمة الإرادة الإقليمية ـ الدولية في زعزعة الاستقرار في لبنان. هناك طرق لارتكاب هذا النوع من الأعمال، كان يتم تجنيد شخص من جهة ثانية ثم التخلص منه بعد قيامه بدوره، وأحياناً لا يعرف المنفذ الجهة المخططة أو الغرض الأساسي من العملية.

■ ألم يتوصل التحقيق إلى شيء؟

ـ لا، القصة جريمة لزعزعة الاستقرار في لبنان. لو كان الجنود أطلقوا النار على المتظاهرين لقتل عشرة على الأقل، لماذا استهدفت الرصاصة معروف سعد؟ هنا المؤامرة. قتل معروف سعد مثل قتل نسيب المتني، مثل حادثة عين الرمانة، أحداث الغرض منها رفع درجة التوتر والدفع في اتجاه التأزم والمواجهة.

■ في ١٣ نيسان (أبريل) ١٩٧٥ انطلقت الشرارة الأولى في الحرب، أين كنت؟

ـ منذ اللحظة الأولى أدركت خطورة ما حصل، والدليل أنني اتصلت بأهلي وطلبت منهم مغادرة منطقة حارة حريك (في الضاحية الجنوبية لبيروت). شعوري بخطورة الحادث انطلق من مراقبتي للوضع وتحليلي للمسار الذي اتخذته التطورات. بعد أحداث صيدا التي تعرض خلالها منزلي لرشقات نارية نجت زوجتي منها بأعجوبة، ذهبت زوجتي وأقامت لدى شقيقها في شارع محمد الحوت في رأس النبع، ثم طلبت منها أن تغادر وتحولت المنطقة خط تماس.

في ١٣ نيسان (أبريل) مساء حدث هجوم على بلدة المية ومية وخطف مسلحون عائلة العميد كليم واكيم (المفتش العام في قوى الأمن الداخلي). يومذاك طلب المدنيون النجدة ولم يتحرك الجيش لحمايتهم فقدمت استقالتي من الجيش وكتبت فيها أن جيشاً لا يتحرك لحماية المواطنين سيواجه قبل نهاية العام مشكلة، فإما أن يذوبه الحرّ وإما أن يجمده القر. إذا كانت مشاركة الجيش في حماية المدنيين تحمل خطر الاشتباك مع مسلحين فإن المخاطر الناجمة عن عدم قيامه بهذا الدور أكبر بكثير. وهذا ما أكدته الأحداث.

بقيت يومها في صيدا حتى ٢٨ كانون الثاني (يناير) ١٩٦٧. طلبت آنذاك من قائد المنطقة أن يخرج الجيش من الثكنة وأن ينتشر في بقعة يمكن الدفاع عنها بدل حشره في علبة سردين وانتظار توجيه الضربة إلى الثكنة. طلب قائد المنطقة نقلي، ربما اعتقد بأنني أشاغب، لكنني كنت في الواقع أحاول إنقاذ الثكنة التي لا يمكن الدفاع عنها من داخلها. اعتقد أنهم اقتنعوا لاحقاً برأيي لكن متأخرين. نقلت بالهليكوبتر من صيدا إلى اليرزة ومررت فوق الدامور ورأيتها تحترق.

■ في هذه المرحلة تشرذم الجيش، بماذا شعرت؟

ـ بالغضب والمرارة، لكنني لم أفاجأ. أنا اعتبرت أن الجيش فرط منذ ١٣ نيسان/أبريل، وتحديداً منذ حادث المية ومية مساء. قلت ذلك لرؤسائي يومها. قبل ذلك بكثير قلت لهم إن الجيش انتهى يوم طلبت القيادة في ١٩٧٣ من العسكريين ارتداء الثياب المدنية خلال تجوالهم. كيف يبقى جيش لا يستطيع عناصره ارتداء بزاتهم على أرض وطنهم؟ أمر غريب فعلاً. بزة الجيش اللبناني تستفز المسلح غير اللبناني على أرض لبنان! رفض قائد الجيش حنا سعيد في آخر ١٩٧٥ استقالتي وبقيت. والحقيقة أنني كنت أنوي مغادرة الجيش لأنني لا أستطيع أن أكون متفرجاً فيما تتفكك المؤسسات وتنهار الدولة وتستباح السيادة.

■ انفرط عقد الجيش وبدأت علاقات أمر واقع بين وحدات الجيش والمجموعات المسلحة. حُكي عن علاقة مبكرة لك مع بشير الجميل؟

ـ رأيت بشير الجميل للمرة الأولى في ١٩٧٥ بعد حوادث عين

الرمانة. التقينا في بيت المرحوم النقيب الطيار هنري ضاهر الذي قتل بانفجار طائرة تابعة لطيران الشرق الأوسط. قال لي بشير: «يبدو أن قصة عين الرمانة ستستوي ونحن من جهتنا سنسلم المشاركين فيها». كان بشير لا يزال شاباً وتفكيره السياسي قريب من البساطة. شرحت له وجهة نظري والإشارات التي تجلعني أعتقد بأن الحادث لم يقع كي يسوى وتنتهي المسألة. أوضحت له على الخريطة ما اعتقدت أنه سيحدث. قلت له إن محاولة لربط الخطوط الحمر (كانت على الخريطة) ستحدث لربط الجنوب بالبقاع. قلت له إنني اتخوف من أن نكون عشية حرب طويلة لا نعرف إلى أين ستقودنا. لم يفهم واحدنا الآخر وقال إثر الجلسة: كان الكولونيل عون يقول في نفسه على من تقرأ مزاميرك يا داوود، وكنا نحن نقول عنه من أي قمر نزل؟ أعتقد أن روجيه ديب وسامي خويري كانا في ذلك اللقاء.

التقيت بشير بعد انفراط الجيش، بعدها قمت بتنظيم الانتشار المدفعي بين الكحالة وغاليري سمعان وسقطت الكحالة مرتين واستردها الجيش بمساعدة عناصر من «التنظيم».

■ **هل كانت لك علاقة تنظيمية مع عناصر «التنظيم»؟**

ـ لا. لم تكن لي أي علاقة عملانية خارج الجيش. أحياناً بحكم الأمر الواقع نتعامل مع أناس يدافعون عن منطقة أنت أيضاً تدافع عنها.

■ **كيف كانت علاقتك مع بشير في المرحلة اللاحقة؟**

ـ في المناطق التي كنت موجوداً فيها لم يكن هناك وجود عسكري

كتائبي. العلاقة بدأت عملياً بعد ١٩٨٠ إثر عودتي من فرنسا التي ذهبت إليها في ١٩٧٨.

■ ماذا حدث مع بشير الجميل في الثمانينيات؟

ـ عدت من فرنسا في أول تموز (يوليو) بعد دورة في مدرسة الحرب العليا في فرنسا. في السابع من ذلك الشهر حصلت عملية الصفرا وتصفية مسلحي حزب الوطنيين الأحرار. قبل ذلك كان بشير والمرحوم داني شمعون قد طلبا مني المساهمة في تنظيم قواتهما العسكرية فأجبتهما بوضوح بأن خياري معروف وهو الجيش ولا أستطيع العمل في الميليشيا أو معها ولا أريد الخلط بين المسألتين. كنا نلتقي بين وقت وآخر ونتحدث في الأوضاع. لا أسمح لنفسي بنقل ما كان يدور في تلك اللقاءات لأن الرجلين قتلا وأنا لا أحب الحديث عن أدوار غاب الشهود عليها. إذا لم أكن على اتفاق مع كل خيارات «القوات اللبنانية» لأن خياري هو الشرعية والجيش، وهذا خيار قاطع بالنسبة إليّ. لكن من حقي القول إنني ساهمت في التغيير الذي طرأ على طرح بشير الوطني وظهر في ١٩٨٢ خصوصاً في الخطاب السياسي لبشير. لا أريد الحديث عن هذا الدور. رحمهما الله، لا أعرف هل تركا أوراقاً عن هذا الموضوع أم لا.

■ كيف كنت ترى ظاهرة صعود بشير الجميل؟

ـ حصلت تحولات أساسية في موقفه، بعضها مرتبط بدوري الشخصي الذي قلت إنني لن أتحدث عنه. لا أريد الحديث عن الايجابيات لئلا أتطرق إلى السلبيات. مثلاً أنا كنت ضد استخدام البندقية. حين رأيت بشير للمرة الأولى بعد عودتي من فرنسا وكان

ذلك في ١٥ تموز/يوليو كان مسروراً بتوحيد البندقية، فقلت له للأسف أنت أدخلت البندقية في المعادلة الداخلية فكيف ستخرج منها لاحقاً. ومنذ ذلك الحادث صارت البندقية جزءاً من أسلوب التخاطب في «القوات اللبنانية».

■ **هل كنت تعرف إيلي حبيقة في تلك المرحلة؟**

ـ طبعاً تعرفت إليهم جميعاً بعد ١٩٦٧.

■ **هل ذهبت ذات يوم مع بشير الجميل إلى إسرائيل مثلاً؟**

ـ إطلاقاً، لم أذهب إلى إسرائيل ولم أحاور الإسرائيليين. في ١٩٨٢ دخل الإسرائيليون مكتبي محتلّين. هذا الموضوع لا يستطيع أحد المتاجرة به. غيري تواطأ مع الإسرائيليين ضدي وهذه قصة سيسجلها التاريخ عليهم. كلام يضطرني إلى كشف حادثة اكدتها التحقيقات التي جرت في إسرائيل. بعد اغتيال بشير حاول الجنرال أمير دروري قائد المنطقة الشمالية في إسرائيل استدراج الجيش اللبناني إلى بيروت الغربية. كنت رئيساً لأركان قوات الجيش في بيروت. قلت له يجب ألا تنسى أننا في حالة حرب معكم. أنا لا اقبل بدخول جزء من عاصمة وطني تحت مظلة القصف الإسرائيلي. قال لي: نحن القوة هنا ونستطيع أن نفعل كل شيء. قلت له: أنا أطيع أوامر حكومتي. فرد متسائلاً: وأين هي حكومتك؟ فقلت: إنها موجودة بالنسبة إليّ. هذا الحوار جرى في بيروت مصادفة إذ كنت في مكان غداة اغتيال بشير وكان هناك جمع من الناس. فجأة أراد دروري أن يكلمني قبل خروجي ودار الحوار الذي ذكرته على حدة، وقلت له في نهايته أنت لكونك قوة احتلال تستطيع أن تفعل

ما تريد وأنا بصفتي جيشاً لبنانياً لا أدخل عاصمة بلادي مدعوماً بقوة غريبة. عملت لاحقاً في اللجان التابعة للقوة المتعددة الجنسية.

■ **متى رقيت إلى رتبة عقيد؟**

ـ في ١٩٨٠. وفي أواخر تلك السنة تسلمت ما عرف بأفواج الدفاع التي دمجت لاحقاً وصار اسمها اللواء الثامن. توليت هذا القطاع ليلة عيد الميلاد في ١٩٨٠. حصلت بعض المشاحنات مع «القوات اللبنانية» على رغم معرفتهم بمواقفي الوطنية. العلاقة مع قيادتهم لم تحل دون انزعاج في بعض صفوف قاعدتهم خصوصاً انهم كانوا في تلك المرحلة في حالة يأس من التركيبة اللبنانية، فيما كنت أنا وما زلت أعتقد بأن التعايش هو قدر اللبنانيين وخيارهم. أنا لم أراهن في أي يوم على أي صيغة تقل عن مساحة الوطن كاملة. وما ساعد على عدم تفاقم الوضع هو ما تعرضنا له على يد القوات السورية في آذار (مارس) ١٩٨١ ووقع اشتباك طويل مع القوات السورية وجيش التحرير الفلسطيني. اتخذت موقفاً حازماً في تلك الفترة وعرف الجميع أن الجيش ليس قوة تتهرب من المواجهة أو من تحمل مسؤولياتها، ومذذاك بدأ رصيد الجيش في الصعود لرفضه محاولات استضعافه من أي فريق. لم نكن نعمل على إزالة «القوات»، كان هناك أمر واقع على طرفي خطوط التماس، لكنني رسمت حدوداً بين القوى التي أتولى مسؤوليتها وقوى الأمر الواقع.

■ **في تلك المرحلة كانت علاقة الرئيس الياس سركيس ببشير الجميل قد سجلت تحسناً.**

ـ لم أكن مطلعاً تماماً على مجريات العلاقة في تلك الفترة. في فترة

لاحقة، وكنت قائداً للجيش، زرت سركيس بعد تركه الرئاسة وكان مريضاً ولمست لديه قدراً من المرارة والعتب. حكى لي الرئيس سركيس عن معاناته الطويلة خلال الحكم. مات الياس سركيس مجروحاً ولام الأطراف الداخلية لأنها لم تساعده على إبراز موقف لبناني موحد. على أي حال حين وصل سركيس إلى الحكم كان كثيرون قد تورطوا ومعروف ماذا حل بالذين حاولوا تصحيح خياراتهم أو العودة عن بعضها (...). حتى اليوم لا يزال التورط سيد الموقف في لبنان. هل تعتقد أن باستطاعتك الاجتماع اليوم مع أحدهم وأن يوقع معك على بيان صحافي؟ كل واحد منهم يحتاج إلى رحلة للحصول على إذن من شخص ما أو طرف ما.

■ وفي حرب الجبل في ١٩٨٣؟

ـ بدأت في ٨ آب (أغسطس) في الضاحية الجنوبية. كنت في البيت وكنا نحتفل بعيد ميلاد ابنتي ميراي. تلقيت اتصالاً جاء فيه أنهم طلبوا سرية من اللواء الثامن لأن اللواء الرابع يتعرض لقصف من الميليشيات في حي السلم. تركت البيت إلى مقر القيادة فوجدت أنهم يطلبون قوات بالتقسيط. قمنا بعملية كبيرة وسيطرنا على الموقف في الضاحية. بعدها فرطت في بيروت الغربية فسيطرنا على الموقف ثم اندلعت في الجبل فصعد اللواء الثامن إلى سوق الغرب والكحالة.

■ هل كانت معارك سوق الغرب قاسية؟

ـ نعم كانت قاسية جداً. قاتلنا على أرض جرداء كانت تنصب عليها مدافع قوات كثيرة. كنا في الواقع ندافع عن بعبدا لأن سقوط سوق الغرب كان يعني سقوط القصر الجمهوري.

■ وهل كادت سوق الغرب أن تسقط وجرى التفكير في إخلاء قصر الرئاسة؟

ـ الجنرال ابراهيم طنوس تخوف من سقوطها ونصح الرئيس أمين الجميل بمغادرة قصر بعبدا. حصل اجتماع يومها حضره كل المسؤولين الأمنيين بمن فيهم وديع حداد (مستشار الجميل). قلت للرئيس الجميل إن سوق الغرب لن تسقط وحين تعلم أن العميد عون وأفراد اللواء الثامن قتلوا جميعاً يمكنك مغادرة قصر بعبدا. ولم تسقط.

■ كيف كانت علاقتك مع الرئيس الجميل؟

ـ علاقة قائد جيش برئيس جمهورية. أنا عُينت قائداً للجيش في ٢٣ حزيران (يونيو) ١٩٨٤ وتسلمت مسؤوليتي في اليوم التالي.

■ ما هي ملابسات قصة تعيينك؟

ـ لا أعرف. كانوا ينوون تغيير العماد طنوس وكان غيري مرشحاً ومنهم اللواء حبيب فارس. لم يبلغني أحد إلا بعد التعيين. عرفت من الإذاعة واتصل بي ضابط من القصر الجمهوري. لم يتصل بي أي مسؤول. كان هناك حديث عن احتمال تعييني، لكن العقيد سيمون قسيس مدير المخابرات قال لي قبل يومين إن اسمي لن يمر. كان عمري يوم عينت ٤٩ عاماً. طبعاً سبق تعييني حصول انتفاضة ٦ شباط (فبراير) ١٩٨٤ التي خلّفت الوضع المعروف بالنسبة إلى الجيش وألويته.

■ في ١٩٨٥ حصل التهجير في شرق صيدا وسبقت ذلك زيارة قمت بها لدمشق؟

ـ زرت الشام في ١٩٨٥ بناء على دعوة رسمية. كان الرئيس الجميل في الشام وأبلغه المسؤولون السوريون رغبتهم في أن أزور دمشق. نقل إليّ الجميل رغبتهم وطلب مني إجراء اتصالات لتحديد موعد. زرت دمشق وكان اللقاء للتعارف وتطرقنا إلى مواضيع عامة. التقيت عبدالحليم خدام والعماد مصطفى طلاس والعماد حكمت الشهابي واللواء علي أصلان.

قبل ذلك حين طرح في مجلس الوزراء موضوع انسحاب الإسرائيليين ونشر الجيش اللبناني لم أكن موافقاً على خطة الانتشار لأنها لم تكن خطة انتشار عسكرية. أعتقد بأن المحاضر موجودة. قلت لو أن رفاقنا في مدرسة الحرب العليا رأوا خطة الانتشار هذه لطردونا من المدرسة. هذه خطة انتشار سياسي. هذا في عهد حكومة الرئيس رشيد كرامي. قالوا نحن مجلس الوزراء ونحن نعطيك ضماناً، فقلت لهم لستم الفريق الوحيد على الأرض. هناك سورية على الأرض وفاعلة أكثر منكم لأن القوى المسلحة هناك موالية لها. لم نكن نستغيب أحداً ووليد جنبلاط كان موجوداً. وقلت لهم: إذا كنتم تريدون الخطة مضمونة فتحدثوا أنتم مع السوريين.

■ كيف كانت علاقتك مع وليد جنبلاط آنذاك؟

ـ عادية. زرته وزرت الأستاذ نبيه بري. لنعد إلى السؤال السابق: ذهبوا إلى سورية وعادوا ليقولوا إن السوريين وافقوا ولا أحد سيتحرك ولن يجرؤ مسلح على أن ترمش عينه في وجه عسكري. انتشر الجيش وبدا أن القصة مغلوطة.

قبل سقوط إقليم الخروب بـ ٤٨ ساعة ذهبت إلى دمشق وقلت لهم

لماذا لم تسر الأمور وفق ما قيل؟ فأجابني الشهابي إجابات عامة أرفقها ببعض النصائح. قلت لهم ربما كان الأمر بالنسبة إليكم واقعاً يجب أن يحدث. بالنسبة إلينا الأمر مختلف وهو لا يجوز. اختصرت الزيارة وقدموا موعد الغداء ساعة لئلا أرجع من دون غداء. وكانت تلك آخر كلمة مباشرة لي مع السوريين.

■ لم تلتق أي مسؤول سوري منذ ذلك الوقت؟

ـ لا. في اليوم التالي لعودتي جمعت المجلس العسكري وسقط الإقليم. حاولت الاتصال بالمسؤولين السوريين فلم أجد أحداً منهم فصارحت الشباب بما حدث.

■ في آخر ١٩٨٥ طرح موضوع «الاتفاق الثلاثي»، هل كنت معارضاً له؟

ـ الاتفاق الثلاثي كان بين ثلاث ميليشيات. أطلعوني على النص فعبرت عن قلقي. كل نص يحوي التباساً يفسره القوي لاحقاً على هواه.

■ هل تشاور الرئيس الجميل معك في شأن الاتفاق؟

ـ نعم، وأبلغته رأيي بوضوح، وهو رأي معارض، فيما أيد جميل نعمة (المدير العام للأمن العام آنذاك) والعقيد سيمون قسيس (مدير المخابرات) الاتفاق. ونصحت إيلي حبيقة بألا يمشي في الاتفاق. ربما اخطأوا في تفسير موقفي. وربما اعتقدوا أنني كسائر السياسيين أقول لا ثم أمشي. أنا حين أرفض بهدوء أكون في ذروة الرفض.

■ هل كان هناك تنسيق بينكم وبين «القوات» بقيادة

سمير جعجع في ١٥ كانون الثاني/يناير ١٩٨٦ لإسقاط «الاتفاق الثلاثي»؟

ـ إطلاقاً. لم يكن هناك تنسيق. ما حدث كان تحركاً قام به فريق من «القوات» ضد فريق آخر. تعرض الجيش، ويا للأسف، لهجوم في منطقة الدوار وتكبد ضحايا لكننا منعنا الاختراق.

■ **قيل إنك ساهمت في إنقاذ إيلي حبيقة بعد محاصرته في المجلس الحربي بناء على اتصال تلقيته من مسؤول غير لبناني؟**

ـ هذا غير صحيح على الإطلاق. الموقف أملاه عليّ ضميري والمواثيق الدولية. تبلغت من إيلي حبيقة رغبته في الاستسلام فطلبت من «القوات» التوقف حيث هم لمنع المزيد من إهراق الدم وتفادي مجزرة. لم يطلب مني أحد. كان (الوزير) ميشال المر موجوداً في وزارة الدفاع لأن ابنه كان محاصراً مع حبيقة الذي وصل لاحقاً إلى وزارة الدفاع وتفاهموا على صيغة بحضور كريم بقرادوني. غادر إيلي حبيقة. تمنيت عليه أن يرحل في اتجاه أوروبا.

■ **هل وعدك؟**

ـ أترك له أن يكمل الحديث.

■ **ألم تلتق حبيقة لاحقاً؟**

ـ بلى، زارني في بعبدا يوم كنت رئيساً للحكومة. قبل ذلك حصلت محاولة اختراق الأشرفية في ٢٧ أيلول (سبتمبر) ١٩٨٦ منعنا الاختراق وادعت «القوات» أنها هي التي منعته. أما لماذا

منعناه؟ فالسبب هو أنه يجب المحافظة على الوضع القائم ومنع المجازر والاختراقات لأن الخروج عن الوضع مرهون بالحوار. بعضهم كان يقول لي أنت تملك قوة تمكنك من الوصول إلى المختارة (بلدة الوزير جنبلاط) فكنت أجيب ماذا أقول لجنبلاط؟ لو وصلت سأدعوه إلى الحوار وها أنا أدعوه من سوق الغرب. المشاكل بين اللبنانيين لا تحسم باجتياحات واختراقات وليس من حق أحد إلغاء أحد.

■ هل بدأ الخلاف مع قائد «القوات اللبنانية» الدكتور سمير جعجع منذ محاولة الاختراق؟

ـ بدأ حين قتلوا العقيد خليل كنعان (قائد اللواء الخامس). أصلاً لم يكن بيننا غرام.

■ متى رأيت سمير جعجع للمرة الأولى؟

ـ شاهدته مصادفة هو وفؤاد أبو ناضر في ١٩٨١ على ما أذكر ولم يدر بيننا حديث سياسي. هناك مبالغات كثيرة في هذا الموضوع. حين تنشر الوثائق لن يكون لدينا إلا ما نفاخر به. وجودي على جزء من لبنان في وضع انقسام قسري لم ينسني لحظة القسم الآخر وأنا منه وعشت فيه وأعرفه وأمضيت فيه سنوات طويلة من عمري. ولهذا لم تكن لديّ عقدة في انتقاد الآخرين أيضاً. أنا لم أعترف يوماً بالحدود الطائفية، أي أن تكون حقوقي مقتصرة على انتقاد الميليشيات الموجودة في منطقة وأساير الميليشيات في المناطق الأخرى. وأعتقد بأنني كنت مزعجاً لكثيرين لأنني كنت صاحب طرح وطني فيما كان كل واحد من الآخرين يسعى إلى اقتطاع جزء صغير ليحكمه.

■ لنرجع إلى ٢٧ أيلول/سبتمبر ١٩٨٦، هل كان الرئيس أمين الجميل مع منع الاختراق؟ وهل أصدر أوامر من هذا النوع؟

ـ هناك أشياء تحدث على الأرض ولا تحتاج إلى قرار سياسي. مثل هذا القرار ضروري حين تخطط أنت لهجوم مثلاً. ما حصل غير ذلك. انت مسؤول عن الدفاع عن قطاع أو منطقة وتعرضت لهجوم. من حقك اتخاذ إجراءات لإعادة الوضع إلى طبيعته. حين تحدثنا إلى الرئيس الجميل كان الجيش قد أغلق أكثر من نصف الثغرة. جماعة حبيقة وصلوا يومها إلى محيط إذاعة «صوت لبنان» (في الأشرفية شرق بيروت). وانكفأ الآخرون في اتجاه الكرنتينا. عندما أغلقت الثغرة تماماً ادعت «القوات» أنها صاحبة الدور وقتلت عناصر منها خليل كنعان. تبين لاحقاً أنهم هم الذين قتلوا كنعان. يومها لم تزودني المخابرات أي علامة على الجهة التي قتلت خليل كنعان. وهنا يمكنك العودة إلى المراسلات الموجودة في وزارة الدفاع. تعرضت يومها لحملة وكانوا يريدون مني أن أشن حرباً على «القوات» على مسؤوليتي.

لم أقبل أي وساطة للتحدث مع جعجع وتدخل القاصي والداني ولم أقبل. تحدثت معه فقط في ٢١ أيلول/سبتمبر ١٩٨٨ حين ذهب رئيس الجمهورية ومعه غسان تويني إلى سورية قبل يومين من نهاية ولايته. كان الوضع غير عادي تماماً وكان عليّ أن أتصرف بموجب مسؤولياتي الوطنية. ذهب رئيس الجمهورية إلى دمشق وتعذر إجراء الانتخابات الرئاسية ولم تتألف حكومة وأنا قائد الجيش.

■ من رتب الاجتماع الذي عقد في اليرزة بينك وبين جعجع؟

ـ طلب مرات عدة أن يجتمع بي ورفضت. يومها وافقت لأن الوضع كان بالغ الخطورة. جاء وكان داني شمعون وجبران تويني.

■ على ماذا اتفقتم؟

ـ لم نتفق على حكومة أو أي شيء من هذا النوع. وعرف جعجع أنه لولا ذهاب الجميل إلى دمشق والخوف على البلاد لما قبلت بالاجتماع به. في الحالات الاستثنائية والخطيرة تضطر إلى القبول بما لا تقبل به في الظروف العادية.

■ هل اختلى بك جعجع آنذاك وأبلغك أنه يرفض دخول أي حكومة لست عضواً فيها؟

ـ لا أذكر.

* * *

في ١٣ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٩٣ كانت قد انقضت ثلاث سنوات كاملة على العملية العسكرية اللبنانية ـ السورية التي أدت إلى اخراج العماد ميشال عون من قصر بعبدا، بعد ٧٥٠ يوماً من تعيينه رئيساً لـ «حكومة العسكريين». خلال هذه السنوات الثلاث تغير لبنان وتغيرت المنطقة بعدما تغير العالم فهل تغير الجنرال؟

في منفاه الجديد في «هوت ميزون»، وبعد المرور بإجراءات أمنية صارمة، استقبلني الجنرال بابتسامة مرفقة ببعض العتب. كان يحدق في أربع أرزات صغيرة زرعها في الحديقة المطوقة بالأسلاك الشائكة والكاميرات التي تسهر مع الحراس. وعادت بي الذاكرة

إلى ذلك اليوم من آب (أغسطس) ١٩٩١ حين راح زورق مطاطي من طراز «زودياك» يصارع الموج حاملاً أول منفي رسمي في تاريخ لبنان المستقل. وكان المنفي ميشال عون الذي سيمضي الليل في البحر في سفينة فرنسية قبل أن تقله طائرة من لارنكا إلى مرسيليا أولى محطات المنفى بعد إقامة دامت ٣٢٠ يوماً في السفارة الفرنسية في بيروت.

تحدث العماد عون في حواره الشامل هذا عن ١٣ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٩٠ وقرار إزاحته والعروض السياسية والمالية التي سبقته. وكشف قصة الإقامة في السفارة الفرنسية معتبراً اشتراط الحكم عليه بالتوجه إليها فخاً استهدف قتله. وتطرق إلى السلام المقترب في المنطقة وتصوره للبيت الجديد في الشرق الأوسط وخوفه على لبنان الموجود «على طاولة المفاوضات».

ورأى الجنرال عودته «حتمية إذا بقي لبنان»، مؤكداً أن لا علاقة لهذه العودة بإجراء إبعاده لخمس سنوات «فأنا منفي إلى الأبد إذا بقوا».

ولم يجد الجنرال ما يهديه إلى الحكم والحكومة غير بيت من شعر المتنبي:

من يهن يسهل الهوان عليه   ما لجرح بميت إيلام

* * *

■ سنة جديدة في المنفى، ماذا تشعر وماذا تقول؟

ـ هناك شعوري تجاه وطني وشعوري الذاتي. وجدانياً لم تغير

الأحداث شيئاً من راحة ضميري. لم يتبين أنني كنت مخطئاً في شيء وأشعر الآن بالندم بسببه، أو أن هناك ما يهز وجداني. لا بل إن المواقف التي اتخذتها وما عُدّ تصلباً من جانبي عثر حالياً على تبريراته في ضوء ما يحدث في لبنان والمنطقة. قلت سابقاً إنه يجب ألا يكون لبنان على طاولة المفاوضات بل إلى طاولة المفاوضات. وتبين الآن أن لبنان على الطاولة وليس ممثلاً في مفاوضات السلام. هناك وجود جسدي لكن ليست هناك سلطة معنوية تمثل اللبنانيين في مسيرة السلام، ومصالحهم ليست مؤمنة. وما يبقى للبنان هو نتيجة التناقض القائم بين المتفاوضين الآخرين لا نتيجة وجود لبنان في المفاوضات.

هذا الشيء يريحني على الصعيد الشخصي لأنه يثبت صحة مواقفي، لكنه في الوقت نفسه يقلقني جداً على الصعيد الوطني. ليس مهماً أن يرتاح الإنسان ويذوب الوطن، المهم أن يتعب الإنسان ليضمن خلاص الوطن. ما زلت أقوم بأكبر مجهود ممكن مع من أعرفه من ديبلوماسيين وسياسيين، وما لنا من تنظيمات في العالم لها تأثير في بعض مراكز القرار حتى يكون لبنان موجوداً في هذه المفاوضات أو على الأقل أن يحفظ حقه فيها وإن كان غائباً، خصوصاً أن التغييب جاء نتيجة لـ ١٣ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٩٠ (تاريخ إخراج العماد عون من قصر الرئاسة في بعبدا).

■ **هل تقصد القول انك خائف على لبنان من السلام في المنطقة؟**

ـ كل تغيير في حياة الفرد أو المجتمع يمثل مصدر قلق في حد ذاته. هناك مرحلة جديدة وعلى الإنسان أن يواجه حالات جديدة، ولبنان

ليس مهيأً للسلام نفسياً أو تقنياً أو في أي ميدان إذ لم يعدّأه أحد لمواجهة السلام. اللبناني سيلحق بالعملية القادمة بفعل قوة التأقلم، لكنه لن يلتقي معها لأنه لم ينتظرها ولهذا سيلحقها.

■ هل يستطيع اللحاق بحالة السلام أم سيبقى متخلفاً وكل مصالحه متضررة؟

ـ نحن الآن في صدد دراسة عن وضع الشرق الأوسط في مرحلة ما بعد السلام. لن يكون هناك بعد السلام تصور للبنان وحده وللدول الأخرى وحدها. سنرى مرحلة جديدة وآفاقاً جديدة مفتوحة. وكل الحواجز النفسية التي كانت قائمة ستسقط والحواجز المادية ستسقط، وسيكون هناك تفاعل جديد. أما كيف ننظر إلى هذا التفاعل؟ فحتى الآن أرى أن اللبنانيين ليسوا معدين وربما العرب أيضاً.

■ السلام سيفتح باب التعايش في بيت الشرق الأوسط الجديد. فهل ترى أن لبنان سيعثر في حالة التعايش هذه على مبررات جديدة لوجوده؟

ـ مبررات وجود لبنان قائمة فيه أصلاً. لو لم تكن هناك مبررات لوجوده لما وجد. لم يكن وجد إمارة أو بلداً ذا استقلالية ذاتية في الأمبراطورية العثمانية. لولا مبررات الوجود لما كان قام أصلاً. ولبنان أصلاً منطقة تفاعل. إنه على حدود المنطقة العربية والشعوب التي تسكنه تنحدر من جذور مختلفة منها عرب ومنها غير عرب. وإذا قصدنا معنى الحضارة نعرف أننا عصارة حضارات، من الحضارة الفينيقية إلى الحضارة اليونانية إلى الرومانية والبيزنطية والعربية. هناك حضارات متراكمة في لبنان وكلها لها أبعاد حالية. هذا الأمر يجعل حضارتنا نتيجة لحضارات متوسطية قديمة. إن أبعاد حضارتنا هي

أكثر شمولية وأوسع. هناك بعد عربي وبعد إسلامي وبعد مسيحي وبعد فينيقي. ولدينا سهولة تكلم اللغات ولم يحدث أن اكتفى اللبنانيون بلغة واحدة. والقصة بدأت منذ فجر التاريخ. كنا نتكلم الآرامية ثم تكلمنا اليونانية وعلمناها. والأمر نفسه بالنسبة إلى الرومانية والعربية. تعدد اللغات والأعراق والترسبات الحضارية في لبنان ليس جديداً. ومحاولة اعطاء لبنان بعداً واحداً هي في الحقيقة إفقار له بمقدار ما هي وليدة فقر في التفكير.

أجمل شيء في المشرق بأسره هو أن يكون لبنان كما هو واجهة عربية، لأن دول المنطقة تفتقر إلى الأبعاد الموجودة فيه. لا بد من الصراحة في هذا المجال ولا داعي للخجل. لا مبرر أبداً لنظريات توفيقية تقودنا إلى التنكر لميزاتنا وأصولنا. نحن في نهاية القرن العشرين ولا مكان لمنطق الإخضاع بالقوة. نحن لا نعرف اليوم غير قيمة واحدة تدير العالم، ومن يتخلف عنها يكن متخلفاً عن الحضارة الإنسانية وكل الأديان السماوية، القيمة الواحدة هي الحرية. الحرية التي تنبثق منها كل القيم الأخرى وكل المبادئ.

■ **ما هي فكرة لبنان بالنسبة إليك؟ وما هي الأشياء التي لا يجوز التنازل عنها لكي يحتفظ لبنان بجوهره؟**

ـ تميز لبنان بمسألتين: الأولى أنه مكون من مجموعات عدة لها خصائصها. وقد وضحّت هذه المجموعات للمحافظة على خصائصها، ولذلك لجأت إلى الجبل ودافعت ودفعت الثمن غالياً. إنها كلها اجتمعت على قيمة واحدة هي الحرية.

ومن جهة ثانية هناك حرية للجميع وهناك احترام لخصائص الجميع. وهكذا يمكن القول إن لبنان نموذج التعددية الحضارية في الشرق

الأوسط الذي تصعب قراءته من دون العرب واليهود وغيرهم. كل هذه الشعوب موجودة ومتجذرة ومتأثرة، ولا بد أن يعترف بعضها بوجود بعض. لبنان هو النموذج. هل يكون هذا النموذج ثمرة خليط أم في صورة كيانات مختلفة متجاورة هذا موضوع آخر. ربما كان هذا الموضوع هو المطروح للبحث. هل تكون هذه المجموعات متجانسة ويتعامل بعضها مع بعض في أجواء تناغم وتكامل بعيداً عن السعي إلى السيطرة والحذف وهذا يوفر لها غنى وإيجابيات كثيرة؟ إذا بقيت هذه المجموعات أسيرة نزعات السيطرة وإلغاء الآخر تكون عندئذ مصدر فقر لكل المجموعات، فلا أحد يستقر ولا أحد يعرف الرفاهية أو الطمأنينة.

الركيزة الأساسية هي أن التعددية موجودة في الشرق الأوسط. لا بد أولاً من الاعتراف بوجودها، وثانياً تحديد طبيعة العلاقات لا بمعناها المادي أولاً بل بمعناها الفكري، أي أن تكون سعياً إلى التكامل والتبادل ومصدر غنى بعيداً عن الهيمنة ورغبة الحذف اللتين تجعلانها مصدر نزاع دائم. من هنا إذا كان هناك فكر بهذا المستوى يمكن بثه في الشرق الأوسط. وأعتقد بأن المرحلة المقبلة ستكون بالغة الأهمية وجيدة وإلا فما سيحدث هو خلاف ذلك تماماً.

لن تكون هناك حالة وسط لأن المنطقة ستشهد أصولية سياسية، وأنا أسميها أصولية سياسية لا دينية لأن الأصولية الدينية حرام أن نلصقها بالأصولية السياسية التي نراها اليوم. في استطاعة الإنسان العودة إلى مصادر دينه وعبادة ربه، وهذا طبيعي. أما الأصولية السياسية التي تستغل الدين لإثارة التعصب أو مضاعفته فهي بالغة الخطورة. إنها خطرة على حاملها أولاً لأنها تتضمن قدراً من التهديم الذاتي، لأن الأصولية السياسية ـ الدينية هي محاولة بحث عن

حلول في الماضي السحيق لا نظرة مستقبلية. وبهذا المعنى هي تسير حكماً نحو الخطأ، وبعد أن تخرب وتهدم يضطر المجتمع إلى إعادة النظر. لكن ذلك يحصل بعد خراب كبير.

■ **ماذا كان شعورك حين شاهدت ياسر عرفات وإسحق رابين يتصافحان في البيت الأبيض؟**

ـ عادي وطبيعي تماماً. السبب هو أنني رجل عسكري وأعرف شرعة القتال. أعرف أن كل حرب تنتهي إما باستسلام أو بتفاوض واتفاق. هذه انتهت بتفاوض واتفاق بغض النظر عن شروط الاتفاق. ففي الاتفاق يتصافح الأعداء ويفتحون صفحة جديدة. أنا فكرياً جاهز لموضوع من هذا النوع.

أما الشعور العادي لدى أناس فقدوا أولادهم أو إخوتهم أو احترقت بيوتهم وشردوا فأنا ليس لدي هذا الشعور، هذا لا يعني أنني لم أخسر أناساً أحبهم. لكنني من موقعي أنظر إلى الأمر من زاوية أخرى ونظرة أكثر شمولية، أي نظرة رجل الدولة. لا يستطيع المسؤول التوقف عند شعوره الشخصي حيال ما خسره من أصدقاء أو أي خسائر أخرى.

■ **هل شعرت بشيء من الغيرة لأن ياسر عرفات نجا من عاصفة كانت تراهن على إزاحته من طريق الحل ثم صار في قلب الحل، فيما خسرت أنت على الأقل معركة أساسية قبل أن تصل المنطقة إلى الحل؟**

ـ لا، بالعكس. كانوا يرون عرفات منذ ٢٨ سنة إرهابياً ولا أحد يريد الاعتراف به. وبما أنه يمثل شعباً أدركوا الحقيقة ولو متأخرين

وكان هو الحل. وفي المناسبة سأروي قصة شهودها أحياء: كانت إحدى الصحافيات تزورني في ١٩٨٣ في حضور ضابط اسمه فؤاد الأشقر ـ وهو من الذين تركوا الجيش أيضاً ـ يومها كان ياسر عرفات محاصراً في طرابلس وكانت فرنسا تسعى إلى إخراجه. قلت لهم يومها إن المهم أن يخرج عرفات حياً لأنه سيتمكن لاحقاً من محاصرة من يحاصرونه اليوم. ضحكوا وقالوا الناس تمشي في اتجاه وأنت في اتجاه. يومها كنت ألقب عرفات بـ «الكاكتوس» أي الصبير (الكثير الأشواك) للتدليل على صعوبة أن يبتلعه أحد بهدف القضاء عليه. والمسألة بسيطة: عرفات يمثل شعباً والمحاصرون يمثلون نظاماً، ودروس التاريخ تقول إن الشعب هو الذي يستمر. وفي الأيام الأخيرة ذكرني بالحادثة من كانوا شهوداً عليها.

■ هل كانت المرة الوحيدة التي التقيت فيها عرفات في تونس؟

ـ نعم إنها المرة الوحيدة واقتصر الأمر على مكالمات هاتفية لاحقاً.

■ ما هو الانطباع الذي تركه عرفات لديك؟

ـ كان اللقاء ممتازاً. والانطباع كان بخلاف الصورة الإعلامية لدى بعضهم، خصوصاً لدى لبنانيين كانوا يتهمونه بعدم الصدق وعدم الالتزام. لقد مر التيار بيننا بسرعة وبشكل غريب. أنا حدثته بصراحة كلية. قلت له في حينه: نحن كشعب، إذا أحببناك نريد أن تنجح قضيتك، وإذا كرهناك نريد أن نتخلص منك... وفي النتيجة يجب أن تنجح قضيتك لتغادر من عندنا وبالتالي يجب ألا تخاف منا فنحن شعب عاقل. وكان متجاوباً.

وأعتقد بأن الرسالة وصلت بلا حواجز واطمأن إلى أننا لا مصلحة لنا في أن نشكل خطراً على قضيته. وهذا الشيء أوجد ثقة كبيرة فالرجل عاقل ولا خطر حين يتحكم العقل بالمواقف، لكن حين يشرد العقل وتحضر المصالح الخفية وتطل العمالة هناك يظهر الخطر. لقد تعاملنا بشفافية ومن ذلك الوقت لم يحصل أي حادث بين اللبنانيين والفلسطينيين، اللهم إلا التحرشات التي كانت تستهدف الفلسطينيين بناء على توجيهات خارجية.

في النهاية سيصل الشعب اللبناني إلى نتيجة مشابهة لما حدث مع الفلسطينيين. لا يستطيع أي حكم في العالم أن يقول إنه صنع السلام في لبنان بالتفاوض مع النظام القائم حالياً والذي لا يمثل الشعب اللبناني. كلنا نعرف قصة ١٣ تشرين الأول (أكتوبر) وقصة الانتخابات النيابية: مسلسل تزوير استهدف إنشاء حالة لا وجود للبنان. وغير الموجود لا يستطيع توقيع سلام فعلي.

■ لكن هناك اعتراف دولي بالحكم القائم في لبنان؟

ـ أنت تسميه اعترافاً، أما أنا فأسميه فرضاً دولياً. أنا أتحدث عن شيء يمثل الشعب اللبناني. هذا الشعب شعب صغير وتستطيع أن تفرض عليه دولياً ما تريد. نحن قلنا صراحة إن العالم يستطيع أن يسحقنا لكنه لن يأخذ توقيعنا. لم نقل إننا نستطيع أن نغلب العالم لكننا قلنا له إنك لا تستطيع أن تحصل على توقيعنا. في استطاعتهم فرض السلام لكنهم لن يحصلوا على توقيع الشعب اللبناني. ومن يوقع حالياً يبق توقيعه قابلاً للنقض. فبأي صفة يمثل الحكم الحالي الشعب اللبناني عندما يشارك ١٣ في المئة فقط في الانتخابات. ولنقل إن الفائزين يمثلون نصفهم أو أكثر بقليل أي ٧ في المئة.

لنتذكر أن العالم يحكم بـ ٥١ في المئة على الأقل. هل يعقل أن نحكم بـ ٧ في المئة ونحن من نمثل تسعين في المئة لا حق لنا في الوجود في لبنان خصوصاً في هذه المرحلة الأساسية. تغييبنا ليس إذاً لمصلحة لبنان.

■ **هل تعتقد بأن الاجتياح العراقي للكويت كان السبب الأهم الذي سهل اخراجك من قصر الرئاسة في بعبدا؟**

ـ لا، قرار إخراجي من قصر بعبدا اتخذ قبل دخولي إليه. لقد تم ذلك في أوائل أيلول (سبتمبر) ١٩٨٨ في محادثات مورفي ـ الأسد. لم يكن الاتفاق موجهاً ضدي شخصياً بل تقرر إخراج لبنان من اللعبة.

■ **ما هو جوهر هذا الاتفاق في رأيك؟**

ـ نحن نراه من نتائجه. إنها استنتاجات لا معلومات. لا ندعي الوصول إلى الأسرار. إنني أعتقد بأن الحرب على العراق تقررت في ١٩٨٨ وما تبقى كان مجرد خطط. أعتقد بأن قرار الحرب اتخذ بعد خروج العراق من حربه مع إيران. إنه مجرد اعتقاد.

■ **حين حصل الاجتياح العراقي للكويت ألم يكن لديك خيار آخر لتفادي الإخراج بالقوة؟**

ـ بالعكس. اجتياح العراق للكويت إذا نظرت إليه حدثاً وإذا وصفته في إطار القانون الدولي والسياق في الشرق الأوسط كان يجب أن يساعد لبنان على التحرير، إذ لا يعقل في الوضع الدولي والإقليمي نفسه أن تقرر الشيء وعكسه. لقد قرروا ضرب العراق لأنه اجتاح

الكويت وقرروا في الوقت نفسه إعطاء لبنان لسورية! بأي منطق يحدث ذلك من جانب القيمين على القانون الدولي وإدارة جورج بوش خصوصاً؟ إلى ماذا استندوا في قرار التضحية بلبنان؟ كان يفترض أن يؤدي الاجتياح إلى فرض احترام حقوقنا أيضاً. لكن حين ترسم السياسات ضد القانون الدولي والمنطق والأخلاق فالأمر فظيع. كان وزير الخارجية الأميركي جيمس بيكر ينتقد سورية في موضوع الإرهاب ثم يضيف «لكننا ندعم عملها في لبنان»!.

ما حدث للبنان يمثّل سقوطاً للعالم الحر وإهانة للمثل التي يرفعها. منذ أيام سقراط وأرسطو تعلمنا عن اليونان المنطق ومن يستحق المكافأة ومن يستحق العقاب. السيد مورفي ضرب أسس المنطق السليم. وما يقال عن الإدارة الأميركية آنذاك يقال في صورة أشد عن حكومة مارغريت ثاتشر التي قطعت علاقاتها الديبلوماسية مع سورية ووجهت إليها اتهامات برعاية الإرهاب لكنها استمرت في دعم عملها في لبنان. سيقول التاريخ كلمته في هؤلاء، فهم أهانوا العالم بهذا المنطق.

■ ماذا حصل في معركة بعبدا؟

ـ ليس هناك شيء اسمه معركة بعبدا. صرنا موجودين في نقطة تتعرض لقصف الدبابات والطائرات، أي ٣٦٠ درجة. كانت المعركة قاسية جداً. وأنا كنت أتوقعها وعرفت أنها ستحدث، وكان يجب أن تبدأ وأن تتوقف بعد ذلك في أسرع وقت ممكن. كنت في حاجة إلى توقيع العالم على سقوط لبنان بعملية عسكرية لا تحت ضغط الصراعات الداخلية. إنها الشيء الوحيد القانوني الذي يبقى قائماً ونحتفظ فيه بحقنا ولو على المستوى النظري. كل

الحروب فرضت علي باستثناء ١٣ تشرين، أنا فرضتها عليهم.

هذا الشيء ربما بدا مفاجئاً على أساس أن في ١٤ شباط (فبراير) حرضوا «القوات اللبنانية» على التحرش بالجيش فضربناهم ضربة محدودة. يومها روجوا شائعة أن الجنرال عون جاء ومعه وعد بتولي رئاسة الجمهورية إذا أزال «القوات». راجت الشائعة لأن القوة الإعلامية لم تكن معي، لم يكن لدي إذاعة ولا صحيفة فأوضاع الدولة كانت معروفة. أطلقوا الشائعات كأن محادثات تونس دارت في الكواليس. محادثات تونس مسجلة على كاسيتات. لم أذهب إلى هناك للتفاوض على رئاسة الجمهورية. المفاوضات كانت على توفير شروط سليمة لانتخاب رئيس للجمهورية وكان طلبي الوحيد ضمان حرية الانتخابات الرئاسية ترشيحاً وانتخاباً، أي إعطاء مهلة للترشيح وضمان وصول النواب للانتخاب.

تطور الحديث في تونس مع اللجنة السداسية وشمل الإصلاح. سألني وزير الخارجية الأردني آنذاك مروان القاسم عن الإصلاح والمشاركة، وظنوا أنهم يفاوضون ممثل طرف أو طائفة فتبين لهم أنهم يفاوضون رئيساً لبنانياً مسؤولاً. كل أجوبتي كانت لبنانية ولا علاقة لها بطائفتي. أجبتهم عن الوضع في لبنان. وحين تطرقنا إلى الإصلاح أبلغتهم أن المشاركة (بين رئيسي الجمهورية والحكومة) بلغت قمتها بتوقيع الاثنين على المرسوم نفسه. وقلت لهم إنكم تذهبون الآن أبعد من المشاركة وإذا كان هذا المطلوب فهناك صيغة وحيدة هي علمنة الدولة. وهنا يجب وضع شرعة وقيم مشتركة يستوحي منها الحكم لأنه لا يجوز إخضاع السلطة لطائفة أو مذهب من دون وجود شرعة.

حين كانوا يتحدثون عن إلغاء الطائفية السياسية كنت أشعر بأنها زعبرة تشبه نقل أسهم الشركة من مكان إلى آخر. أي تأخذ من الماروني وتعطي الشيعي أو السني أو غيره. هذه زعبرة تبقي النظام طائفياً. النظام الحقيقي المتكافئ لكل المواطنين يقوم على اعتماد العلمنة، لكن بما أننا مجموعات فهل تخلينا عن خصائصنا؟ إن هذا التخلي لا بد منه للقبول بنظام علماني وإلا يبقى الشكل الحالي قائماً.

ولماذا يخجل اللبنانيون بالنظام الطائفي؟ ففي البلدان التي لا أكثريات ساحقة أو مطلقة فيها يعتمدون التفاهم بين الأحزاب. وهذا الأمر يعدّ تفاهماً بين المجموعات السياسية والدينية التي يتألف منها الشعب اللبناني. لا شيء يدعو إلى الخجل إذا كان النظام تفاهمياً. المسيحيون حين كانوا أكثرية أرسوا قواعد نظام تفاهم ولا بد من أن يستمر «تفاهمياً» إلى موعد الوصول إلى العلمنة الشاملة التي لا تتم إلا بوجود شرعة ملائمة تحدد القيم التي يستوحي منها الحكم قراراته وتحدد الحقوق الأساسية للشعب، حينذاك يمكن الحديث عن تطوير. أما الآن فكل شيء ممنوع مسه. رجل دين يمارس السياسة ولا تستطيع أن تنتقده أو تتعرض له. لماذا الحصانة لرجل الدين إذا كان يتعاطى السياسة؟ كلها مسائل تحمل التباسات.

■ **تقول إن ١٣ تشرين هي المعركة التي اخترتها، فهل كان لديك أنت العسكري خطة لمواجهتها؟**

ـ أعلنت خسارتي. طلبت وقف إطلاق نار. ودعوتهم إلى تسلم كل شيء. ألم تكن هذه غاية الحرب. هم لم يقبلوا وتابعوا عمليات القتل، وأنا أحمّل الجهات التي نفذت الهجوم مسؤولية كل ما حصل بعد الساعة الثامنة والنصف (صباح ١٣ تشرين الأول/أكتوبر

١٩٩٠). لقد فعلت كل ما طلب مني بواسطة السفير الفرنسي، لكنهم امتنعوا عن وقف إطلاق النار. وما حصل بعد ذلك التاريخ كان يجب ألا يحصل لو لم تكن هناك رغبة في الدخول والاستيلاء على مستندات تخص المؤسسات اللبنانية. وإنني أسأل عن موقف المسؤولين اللبنانيين. لم تكن الإهانة لي كانت لهم. حين دخل المهاجمون إلى اليرزة كانت قد أصبحت في عهدة الحكم الحالي. لم نسمع منهم أي رد فعل على ما حصل، خصوصاً الممارسات التي استهدفت عسكريين ومدنيين.

■ **لو عدنا بالذاكرة إلى ما حدث؟**

ـ كله تفصيل، المهم هو العبرة من ١٣ تشرين الأول/أكتوبر. كان أمر العمليات السوري موجوداً عندي وأعطيت حجم القوى المهاجمة من كل الجهات وذلك بدءاً من الخميس أي اليوم الذي توافد فيه الناس إلى قصر بعبدا. عرفت أن العملية ستتم وجاءتنا معلومات من المواطنين ومن مصادرنا أن المهاجمين وضعوا الشارات للتعارف. وشوهدت تحركات في الضاحية والجبل. لم أفاجأ وكنت أعرف أنهم سيستخدمون الطيران، وهو ما فعلوه صباح السبت. يوم الجمعة حاولوا اغتيالي لاعتقادهم ربما بأن الاغتيال يحول دون المعركة فلا تظهر بصمات الجريمة الدولية. أعتقد بأنهم شربوا كأساً مرة حين قرروا، في إدارة بوش، مع سورية استخدام الوسائل العسكرية.

■ **ماذا قال الشاب الذي حاول اغتيالك خلال التحقيق معه؟**

ـ كان مخدراً فقد تناول جرعة كبيرة. لم يقل شيئاً مهماً لكنه كشف هويته السياسية. وتبينت صحة ما قاله حين أخذه أحد

الوزراء واعتبره بطلاً قومياً. إنه شاب من الحزب الشيوعي اللبناني مفصول للعمل مع المقاومة الوطنية في الجنوب. كاد العسكريون والناس أن يقتلوه بعد إطلاقه النار في اتجاهي فأرسلت من أنقذه.

في السابعة صباح السبت بدأ قصف الطيران والمدفعية. جهنم. بدأت أتلقى إفادات من العسكر على الجبهات. كان العسكر يقاوم ويرد. بدأت المعركة وأعطينا التوجيهات اللازمة. حوالي السابعة والنصف اتصلت بالسفير الفرنسي رينيه ألا. وكنت قد أرسلت إليه ليل السبت ـ الأحد شروط تسوية وقعتها وتحوي عكس ما يعتقد ريمون إده تماماً، ففيها أعترف بالهراوي رئيساً للجمهورية، على أساس أن الرئيس يذهب بعد ست سنوات وبغض النظر عن شخصيته وطبيعة خلفه، وأن يفك الحصار وتحل الميليشيات. لكن الجوهري هو ألا يصبح اتفاق الوفاق ناجزاً إلا بعد انتخابات برعاية الأمم المتحدة، والمجلس الجديد يؤكد الاتفاق أو يرفضه.

كنت متمسكاً بشيء واحد هو أن يعلن الشعب اللبناني رأيه في مصيره ومستقبله. حتى الآن يربطون لبنان ببلدان واتفاقات والشعب اللبناني مهمش تماماً ولا يؤخذ رأيه.

■ **من كان يفاوض في الليلة الأخيرة؟**

ـ الدكتور بيار دكاش كان عندي وأعطى الورقة للسفير الفرنسي.

■ **ماذا بعد اتصالك بالسفير الفرنسي في السابعة والنصف إثر بدء القصف؟**

ـ قلت له أنت سامع الوضع. بما أن هناك تغطية دولية والطيران

يقصف فلا داعي لانتظار خراب كل شيء. أنا لست في موقع تفاوضي أنا في وضع استسلام. الوضع التفاوضي فيه شيء من القبول. أنا سقطت بالقوة. أنا اعتبرت نفسي ساقطاً بالقوة.

■ من كان صاحب فكرة توجهك إلى السفارة الفرنسية؟

ـ عندما اتصلت بالسفير الفرنسي لوقف العمليات العسكرية قال لي سأقوم بمسعى، فردوا عليه بضرورة توجهي إلى السفارة الفرنسية شرطاً لوقف إطلاق النار. الطلب جاء من الهراوي وألبير منصور، والسفير أقدر على تحديد الشخص. طالبوا السفير بأن أتوجه إلى السفارة، وأن أعلن منها وقف إطلاق النار.

تجادلت مع السفير وقلت له ليس من المعقول أن أذهب وكان القصف كثيفاً إلى درجة لم يكن في استطاعة المرء أن يضع إصبعه في الخارج. وفهمت أن إصرارهم على خروجي وسط كثافة القصف ربما رمى إلى التخلص مني على الطريق. قلت له سأجيبك. فكرت في الموضوع. ولم أجد مخرجاً فالمزيد من المقاومة يعني المزيد من الضحايا. هناك قرار دولي واضح وما كنا نريده تحقق وهو أننا لم نوقع بل غلبتنا قوة عسكرية. ووجود نوعين من الطيران في الأجواء لدولتين إقليميتين أحدهما يقصف والآخر يراقب عن ارتفاع شاهق كانت له دلالات.

قررت التوجه إلى السفارة وصعدت إلى ملالة ورافقتني ملالة مواكبة. تعرضنا للقصف على الطريق لكننا وصلنا. وحين وصلنا قالوا إن ذلك ليس كافياً والمطلوب هو أن أعلن بصوتي عبر الإذاعة وقف إطلاق النار وانتقال السلطة أيضاً. ولم يضعوا صيغة. اتصلنا يومها بمدير الوكالة الوطنية للإعلام وأعطيته النص الذي بثته الإذاعة

وفيه: نظراً إلى الوضع الدولي وإنقاذاً لما تبقى نطلب من الجيش الامتثال لأوامر لحود (قائد الجيش العماد إميل لحود)... فعلنا ذلك لكنهم لم يوقفوا إطلاق النار واستمر القصف ودخلوا اليرزة وحدث ما حدث في بسوس، وادعوا أن الأوامر لم تصل. أرى ما حصل جريمة تاريخية حاولوا عبثاً تغطيتها.

■ **هل نستطيع الجزم بأنه لم تكن هناك خطة مسبقة للجوء إلى السفارة الفرنسية؟**

ـ لا لم تكن هناك أي خطة.

■ **أنت عسكري وتوقعت الهجوم، فماذا أعددت؟**

ـ هجوم هجوم. أنا أواجه مصيري. لست مجرم حرب، لست خائفاً. لم أكن خائفاً من الاغتيال فقد اغتالوا كثيرين. لم أكن أتوقع في أي لحظة من اللحظات أن أذهب إلى السفارة الفرنسية. كان يمكن أن يغتالوني أو أن يقتادوني إلى السجن.

■ **عملياً أنقذتك شروط الحكم؟**

ـ لا. أنقذتني الظروف التي نتجت منها: أولاً لأنني تمكنت من الوصول فقد كانوا يرغبون في التخلص مني على الطريق الخروج في ظل كثافة القصف كان مخاطرة. اعتقدوا بأنني لن أصل وأنهم سيستطيعون القول قتل في القصف وأنهم أبرياء من دمي، ورأوا ذلك أفضل لهم من أن يصلوا إلى القصر ويقتلوني فيه.

■ **هل تعتقد فعلاً بأن المطلوب كان أن تقتل على الطريق؟**

ـ طبعاً لأنهم عادوا وقصفوا السفارة وأنا فيها. والغريب أنني نجوت في السفارة نفسها فقد تكسر كل شيء حولي وبقيت حياً أنا والسفير ألا. ثلاثة صواريخ أصابت بيت السفير حيث كنا. لقد أكملوا القصف على بيت السفير في مار تقلا (الحازمية)، علماً أن لا عسكر في المحلة؟

كانت لديهم رغبة في القتل ولذلك تعقدت الأمور واستدعى رينيه ألا طائرة بعد الظهر معتبراً أن مغادرتي للبلاد ضرورية. لكنهم أوقفوا الطائرة. وكانت الخطة بين السلطة والسفير أن طائرة هليكوبتر ستقلّني بعد الظهر إلى قبرص ومنها إلى فرنسا قبل عائلتي وليس العكس.

■ **كيف ترتبت قصة اللجوء؟**

ـ بمجرد وجودي في السفارة وما حصل من تصفيات، عندئذ أبلغتني فرنسا بموقفها.

■ **هل اتصل بك أحد المسؤولين بعد وصولك إلى السفارة؟**

ـ قطعت عني الاتصالات في السفارة. عندما دخلت السفارة وقبلت الشروط لم يعد في استطاعتي القيام باتصالات. أبلغت قيادة الجيش قبل إذاعة البيان بما سيحدث وأوقفت الاتصالات. ووفقاً للأصول لم يعد لي حق في اتصالات وانقطعت.

■ **ماذا كان شعورك في حينه؟**

ـ طبعاً لم يكن لدي شعور بالاغتباط لكن لم تكن لدي أي مرارة. وأذكر حديثاً مع عائلتي قلت لهم فيه: أنا سأرتاح الآن لكن الشعب اللبناني سيتعب كثيراً.

■ **عائلتك بقيت في القصر بعد مغادرتك؟**

ـ نعم فأنا ذهبت إلى السفارة على أساس أنني سأرجع.

■ **لهذا السبب بقيت إذاً؟**

ـ طبعاً لم نكن هربانين. وعائلتي لم تكن عائلتي المباشرة فقط بل كان هناك العسّية والحراس وبنات يعملن في مكتب الإعلام. كانوا يعيشون معنا كعائلة.

■ **من أخرج عائلتك من القصر؟**

ـ علي ديب (ضابط سوري) وإيلي حبيقة. والأخير أوصلها إلى السفارة حيث أقمت نحو ٣٢١ يوماً.

■ **بماذا كنت تفكر في السفارة وأنت تسمع أنصارك يطلقون منبهات سياراتهم «جنرال... جنرال»؟**

ـ فضلاً عن ذلك، لقد وصلتني الرسائل بكميات وبالأكياس. شعرت بأن الشعب اللبناني لم يتغير وأنه متمسك بموقفه وشعوره والتزامه وما زال. وفكرت في الوسيلة النافعة لنصون الشعب اللبناني فطلبت بالوسائل الممكنة وأوصلت خبراً إلى من يفترض أن يبلغ وخلاصته ارفضوا الأمر الواقع فقط، لكن من دون أي مقاومة عسكرية لأن القرار العسكري بسحقنا اتخذ وتاريخ المنفذين لا يحتاج إلى دليل. ثم إن الظروف غير مواتية للعمل العسكري.

وطلبت منهم التصرف مثل شعب محتل لا كشعب متعاون مع الحكم القائم.

■ **من هندس صيغة خروجك من لبنان؟**

ـ فرنسا والحكومة اللبنانية. أنا لم أشارك فيها. فرنسا والحكومة ظاهرياً، لكن هل هناك من هو خلفهما؟ لا أعرف.

■ **رسمياً أنت في المنفى لخمس سنوات؟**

ـ هذا قرار تعسفي وغير وارد في أي قانون. هذه المسائل لا هم ولا غيرهم يستطيعون تحديدها. إذا بقوا هم فأنا منفي إلى الأبد، وغداً يذهبون وأعود إلى لبنان. هذا ليس قرار نفي إنه قرار اغتيال، «إذا جاء قبل خمس سنوات نقتله». وإذا بقوا في الحكم بعد خمس سنوات ورجعت يبقى قرار القتل قائماً. من يسلم نفسه إلى هؤلاء؟ أعيدك إلى ما تقوله الدول العظمى نفسها عن القوة المهيمنة. ومن يستطيع أن يطمئن حين يجلس في مقاعد الحكومة والمجلس واضعو السيارات المفخخة؟

■ **لنقل على صعيد الحلم، هل تتصور نفسك عائداً إلى لبنان؟**

ـ لنترك الحلم. أنا مؤمن وفي الإيمان هناك الرجاء. والرجاء فضيلة تجعلك وأنت في الظلام واثقاً من وجود النور. لا حاجة إلى رؤية النور لإدراك وجوده. الرجاء يجعلك تتأكد أن الظلام حالة عابرة. ثم هناك الحقائق التاريخية. الشعب لا يموت. ممثلو الأنظمة يموتون. وما قلته لك عن ياسر عرفات صالح بالنسبة إلي. للقضاء على ميشال عون لا بد من القضاء على آخر جيل وعلى من كان في

بطن أمه في عامي ١٩٨٩ و١٩٩٠، ما دامت أنا الحلم الذي حلم به اللبنانيون ولم يتحقق. الحلم لا يزول من ذهن الناس وكذلك تعلقهم به يبقى إلى حين يتحقق.

■ **حلم بماذا؟**

ـ أنا كنت بالنسبة إلى اللبنانيين وبما وعدتهم به بمثابة حلم. وهناك من سأل هل الأمر حلم أم وهم. والأمر راوح بين الحلم والوهم وبين الحلم والحقيقة. هناك قاسم مشترك بين كل ما كتب عني وهو حلم أم وهم وحلم أم حقيقة. الحلم لست أنا بل ما تكونّ عني في ذهن اللبنانيين. الحلم لا يفارق الإنسان. يبقى حلماً ويعمل لتحقيقه وحين يتحقق يكتشف هل كان أجمل مما فكر فيه أم أبشع. وكيف حين يكون الحلم أمنيات شعب ويكون مستنداً إلى واقع يحتاج إلى إصلاح إلى مجتمع يحتاج إلى تغيير إذا كان الفساد مستمراً. وهذا الحلم بما يمثله هو حاجة ملحة ملتصقة بكل لبناني وحين تتغير الظروف القاهرة لا تبقى إلا الثوابت.

■ **هل تشبه تجربتك تجربة شخص أُبعد عن بلده وعاد؟ وهل تشعر بأن وضعك قريب من وضع ذلك الشخص؟ أي هل يمكن أن يتكرر معك شيء حدث مع شخص آخر في ظروف مشابهة إذا لم تكن مطابقة؟**

ـ إذا أردت: الحادثة التاريخية حين حاصروا فخر الدين ونفوه. هذا ما يقوله التاريخ. سقط فخر الدين في معركة عسكرية. الشعب اللبناني كله كان معه وكان هناك بالتأكيد عدد من المتآمرين لكن الشعب كان معه.

■ **نعرف من أحبوك لكن من هم الذين ترى أنهم خانوك؟**

ـ «القوات اللبنانية».

■ **ومن العسكريين؟**

ـ لا أحد، لا مسيحيين ولا مسلمين، لا في الشرقية ولا في الغربية.

■ **ماذا لو قلنا عنك إنك أول جنرال انقلابي في لبنان؟**

ـ لست انقلابياً بل العكس. لم يحصل لي هذا الشرف. كان الوضع يستلزم انقلاباً لكن ذلك لم يحصل. أنا تسلمت السلطة دستورياً.

■ **لكنك كنت تحذّر قبل ٢٢ ـ ٢٣ أيلول (سبتمبر) ١٩٨٨ (موعد خلو مركز الرئاسة في لبنان) من أنك لن تترك البلد ينزلق إلى فراغ؟**

ـ نعم. وقلتها قبل ذلك بأيام. كل أيلول كانت هناك مواقف. لم نكن في حال عادية. مجلس النواب مشلول. الدولة منقسمة. وهناك الوطن والهوية. كل المؤسسات كانت تذوب. ليس هناك رئيس جمهورية. ومجلس الوزراء موجود على الورق، وزير في عكار وآخر في البقاع وثالث في الجنوب، ومجلس النواب لا يستطيع الاجتماع وأنت قائد القوات المسلحة فماذا تقول؟ من هي المؤسسة المؤتمنة على سلامة الأرض. إن قسمها يجبرها على تحمل مسؤولياتها ولا يعتبر ذلك تطاولاً. كنت أتحدث من منطلق مسؤوليتي ولو تكرر الظرف لكررت ما قلته آنذاك من دون أن تكون لدي فكرة انقلابية. إذا تخلت كل هذه السلطات فهل نترك البلد يضيع؟ في الماضي رددت على النائب المرحوم كاظم الخليل حين قال كلكم ترقصون حول نعش لبنان، فقلت له إن الوطن ليس

رئاسة الجمهورية ولا مجلس النواب. الوطن شعب وأرض وإذا حفظت الشعب والأرض تستطيع إقامة نظام جديد برئيس ومجلس. أنا أخذت المبادرة ووعدت اللبنانيين بأنني لن أترك البلد ينهار. حين جئت إلى بعبدا بتكليف دستوري حافظت على القسم وعلى ما وعدت به لكن كان قيام الدولة ممنوعاً في لبنان ولذلك حوربت.

■ هل كان التكليف الدستوري إحدى نقاط ضعفك، وهل كان أفضل لو جئت بعمل انقلابي يحرك من توازنات معينة؟

ـ لا أبداً. الوصول الدستوري كشف المؤامرة أكثر. لو جئت بغير وسيلة لقالوا عني إنني انقلابي وبرروا قتلي في اليوم الثاني بحجة أنني ضد المؤسسات الدستورية. وكل ما حاولوا ترويجه شعبياً كان مغرضاً. كانوا يقولون مثلاً على الجنرال أن يقتل سمير جعجع (قائد القوات اللبنانية) وكانوا يريدون أن أفعل ذلك ليحملوني مسؤولية تفكيك الصف. كانوا يريدون أن أمنع النواب من التوجه إلى الطائف ليقولوا إنني منعت مناسبة دولية لفرض السلام في لبنان، وهذا الرجل مجنون حرب. حاولوا استدراجي إلى أخطاء مميتة ولم أفعل. وفي النهاية أبرموا التحالف بين القوات والبطريرك لتغطية الاتفاق.

■ هل تشعر بالندم لأنك لم تسلم القصر إلى الرئيس الراحل رينيه معوض؟ ألم يكن ذلك أفضل من الاستسلام لاحقاً؟

ـ لا. الأمر نفسه: رينيه معوض لم يقتل لأنه لم يأت إلى بعبدا، قتل لأنه لا يريد أن يكون كغيره.

■ بين انتخاب رينيه معوض واغتياله ماذا حدث بينك وبينه؟

ـ ذهب أناس وجاؤوا.

■ **ماذا طرح عليك؟**

ـ لم يطرح شيئاً. الذين جاؤوا وذهبوا هم الذين طرحوا.

■ **ماذا قالوا؟**

ـ تحدثوا عن مشاركة في السلطة. قلت لهم إن المسألة ليست مسألة مشاركة في السلطة. كل الذين طرحوا وبينهم الأخضر الإبراهيمي وكل الوسطاء طرحوا علي أشياء مغرية من مادية وسلطوية.

■ **هل طرح الإبراهيمي أشياء مالية؟**

ـ وسطاء آخرون طرحوا ذلك، أما الأخضر فطرح علي المشاركة في السلطة بحجم محترم فقلت له هذا كله لميشال عون لكن ماذا أعطيتم للبنان. كلهم اعتقدوا بأنهم يستطيعون شرائي بدور شخصي، من الإدارة الأميركية إلى غيرها. أنا رفضت كل الأدوار الشخصية. وربما لم يصدقوا حتى الآن أنه لو انتهت الأزمة اللبنانية لكنت فضلت نزهة في الطبيعة ولما أقمت في قصر بعبدا أو في مركز المسؤولية. البشر مطبوعون على أشياء تمنعهم من رؤية ما هو استثنائي. السلطة ورائي لا أمامي. أنا مارست قيادة كان فيها حياة وموت ولم يرفض لي أحد أمراً على مدى حياتي. إذا كان الغرض إشباع الشغف بالسلطة في نفسي فأنا شبعت منها، ولن يحدث أن أمارسها أكثر مما مارست. إذا كانت مسؤولية ثانية فذلك أمر آخر. ليس لدي ذلك التوق. زمور زمرولنا. دقولنا الموسيقى. جيش بأكمله استعرضناه. وقفنا مكان الرؤساء. وكمظهر، القيمة نفسها سواء كان

مرة أم كررته كثيراً.

■ **جنرال، أنت متهم بأنك تحب السلطة؟**

ـ لا تستطيع اتهام شخص لمجرد ممارسة المسؤولية بمحبة.

■ **التجارب تقول إن الجنرالات يعشقون السلطة وينظرون إلى المدني كأنه عاجز. يوم كنت في قيادة الجيش في اليرزة ألم يخالجك الشعور مثلاً بأنك لو كنت في بعبدا لما كان حالها كما كان؟**

ـ أبداً. أنا كنت أعرف أبعاد الأزمة، ولذلك امتنعت عن انتقاد أي رئيس سبقني ولو أنه مثل كل الناس يمكن انتقادهم.

■ **تقصد القول إن حلم الرئاسة لم يراودك حين كنت قائداً للجيش؟**

ـ أنا أعرف الأزمة وعشتها. وربما كنت ويا للأسف في وضع فريد. أنا الوحيد المنفذ والشاهد والمقرر في الأزمة اللبنانية. منذ أن كنت برتبة ملازم أول بدأت أصطدم بالمنظمات الفلسطينية. وفي حرب ١٩٦٧ كنت في القطاع الشرقي في الجنوب وشاهدت المعارك أمامي. أنا منفذ وشاهد ومقرر. ربما كان في استطاعتي أن أناور هنا وهناك. لكن لم تسألني عن تصلبي؟ هناك شيء أساسي أغفلته: تقول إن العسكريين يرون أن المدنيين غير صالحين في الأزمات، وأقول إنني كعسكري لا أفهم أكثر أو أقل. لا علاقة للأمر بصفتي العسكرية. بصفتي شخصاً يحلل يصبح هناك خلاف بيني وبين غيري في شأن الأزمة. كل اللبنانيين تعاملوا مع الأزمة كأنها ظرفية بينما هي أزمة وجودية تتعلق بوجود لبنان، وكل طرف عالجها

حسب تصوره. بدل أن يعالجوا السرطان حاولوا علاج وجع الرأس مثلاً. المشكلة في التشخيص الخاطئ. فريق تعامل عن حسن نية من دون إدراك الجوهر، وفريق آخر كان مجرد أداة لأطراف مختلفة وفقد قراره وموقعه الوطني.

على مدى ١٥ سنة حرباً حدث ارتباط للقوى المسلحة (الميليشيات) بقوى خارجية وباتت مستعبدة لهذه القوى، والقرار السياسي الكبير الذي يدير الأزمة يمسك بالاثنين، إذا لم تتحرك يحركون من هو في المقابل فيحصل رد فعل من جانبك. لم تعد اللعبة في أيدي اللبنانيين. أنا حاولت بكل إمكاناتي المتواضعة تحرير اللعبة وإرجاعها إلى الساحة.

■ **ألم تخطئ في التوقيت؟**

ـ ليس هناك توقيت. لبنان كان رايح. وإذا كان هناك الآن أمل بإعادته فإن مرد ذلك إلى موقفي أنا. لو جاء مخايل الضاهر في ١٨ أيلول/سبتمبر ١٩٨٨ بالشروط المعروفة ماذا كان بقي من فرص مقاومة قرار ضم لبنان؟

■ **لماذا سميتها حرب تحرير ما دامت فرضت عليك؟**

ـ ماذا تريد أن أسمي حرب الضعيف ضد القوي الذي يحتله؟

■ **ألم تبدأ أنت بإطلاق النار؟**

ـ لا هم الذين بدأوا. هل نسيت قصف المرافئ؟ ألا تتذكر أن الرئيس سليم الحص طلب إثر قصف الأونيسكو تشكيل لجنة تحقيق عربية بعدما اتهموا الجيش بقصف المنطقة وكنت أنا من أثنى على طلبه؟ ولماذا سكت وأنا ما زلت أطالب. هم قصفوا الأونيسكو.

المؤلف

كاتب وصحافي لبناني.

رئيس تحرير صحيفة «الحياة».

بدأ عمله في صحيفة «النهار» محرراً ثم معلقاً في قسم الشؤون العربية والدولية.

انتقل إلى وكالة الصحافة الفرنسية.

عمل في صحيفة «الشرق الأوسط» في لندن.

تولى رئاسة تحرير مجلة «الوسط».

صدر له:

«**مسعود بارزاني يتذكر**».

«**في عين العاصفة**» (قصة رمضان شلح زعيم «الجهاد الإسلامي» في فلسطين).

«جورج حاوي يتذكر»، (دار النهار).

ذاكرة الاستخبارات ـ حـــوارات مع: جميل السيد، جوني عبده، غابي لحود ومحمود مطر ـ رياض الريّس للنشر ـ ٢٠٠٧.

فهرس الأعلام

أ

ح

خ

د

ر

ز

س

ش

ن

هـ

و

ي

فهرس الأماكن

أ

ب

قبرص ٦٣، ٢٩٥، ٣٥٦، ٤٢٦

ك

ل

م

ن

و

ي

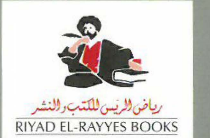
لعنـــة القصـــر

غســان شربل

في هذا الكتاب يحاور الصحافي غسان شربل أربعة أسماء تربط بينها «لعنـة القصـر»: الياس الهراوي ونبيه بـري ورفيق الحريري وميشال عـون. إن «لعنة القصر» التي شطبت في ١٩٨٢ الرئيس المنتخب بشير الجميـل، مـا لبثـت ان اغتالـت الرئيس رينيـه معوض. ثـم تحركت فجأة لتضرب رفيق الحريـري والبلاد والتوازنات والوجود العسكري السـوري في لبنان. فخرج «الحكيـم» لينضوي في مهب ١٤ آذار، وعاد الجنرال ليصبح حليفاً لـ«حزب الله» وصديقاً غير معلن لدمشق.

«لعنة القصر» غيّرت أيضـاً تفسير الطائف ومصير الهراوي وجعلته رئيسـاً. وأسنـدت رئاسة البرلمـان الى نبيه بري رئيـس حركة «أمل» الذي جاء من عباءة الإمام المغيّب.

الحوار الذي يجريه غسان شربل مع الرؤساء الأربعة في هذا الكتاب، وكذلك حواراته السابقة مع الضباط الأربعة في «ذاكرة الاستخبارات» ليس حواراً من طرف واحد يمليه الرئيس أو الضابط إنما هي روايات واعترافات تكشف موقع المتحدث ونهجه وخياراته. وتضع مادة ما في تصرف أي باحث مثقف أو مؤرخ.



ISBN 9953-21-318-6

